

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة

جامعة الأمير عبد القادر

والحضارة الإسلامية

للعلوم الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

قسنطينة

الرقم الترتيبي:...../.....

رقم التسجيل:...../.....

قيم العلوم الطبيعية  
في القرآن الكريم

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في

فلسفة العلوم

إشراف الدكتور:

مصطفى بن الناصر وينتن

إعداد الطالب:

صالح بن لفي

أمام اللجنة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/اسعيد عليوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
د مصطفى وينتن	أستاذ محاضر	المركز الجامعي - غرداية	مقررا
أ.د/صالح نعمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د/كمال جحيش	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الدراسية: 2010-2011

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأزهر  
عبد القادر للعطوم الإسلامية

## شكر وعرهان

أأقدم بالحمد والشاء لله أعالى على إعانته بأتمام هذا العمل، راجيا منه أعالى القبول والأأاوز عن الأقصير والأأأأ.

كما أأقدم بأأالص الشكر والشاء، لأستاذي الأاضل الأكتور مصطفى وبنأن على أأهده في الأوأية، فأزاه الله أير الأزاء، وأبارك في أأهده الأير لأأمة العقيدة الإسلامية، والأأر الإسلامية.

ولأأنة الموقرة الأي أفضأنا بأناقشة الموضوع أأأيري الأبالأ، لإسهامهم في بيان ما يمكن أن يكون في الأأنا من قصور أو أأل.

## مقدمة:

ورد في القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الكريمة، تصل إلى أكثر من ألف آية قرآنية صريحة<sup>1</sup>، تتضمن إشارات إلى مكونات الكون وظواهره، وتكشف عن حقائق علمية وسنن طبيعية، تثير دهشة العلماء المتخصصين وإعجابهم.

ولقد استثمر بعض العلماء التطابق بين ما جاء به القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرناً، وما كشف عنه العلم الحديث لإثبات إعجاز القرآن الكريم في المجال العلمي، للاستدلال به على أنه كلام الله عز وجل، موظفين ذلك لانبجاز الوظيفة التي كُلفت بها الأمة، وهي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، يقول الله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُونَ بِالْمَعْوِفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>2</sup>.

وإذا كان هذا الجانب مهما لارتباطه بالعقيدة الإسلامية، وتعلقه بإثبات صلاحية كتاب الله تعالى لكل زمان ومكان، فإن البحث عن القيم والمثل العليا المرتبطة بالعلم والتفكير العلمي في ضوء كلام الله عز وجل، تفرضه التطورات الهائلة في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقات هذه العلوم في الميادين الصناعية العسكرية والمدنية والصحية...؛ فالتقدم العلمي أفرز مشكلات وأخطار بيئية وصحية واجتماعية وسياسية تهدد الإنسانية في وجودها، عوض أن يوفر لها ما تحافظ به على بقائها، ويساهم في رقيها نحو الأفضل.

إن العلم نشاط إنساني راق، لا ينفصل عن النظرة الكلية للإنسان والكون والحياة، "والنظرة التي ينبنى عليها العلم الحديث، تعتبر القوة أو المنفعة هدف العلم، فهي تتصور العلم إما محالاً غزو طبيعة معادية والسيطرة عليها، وإما ساعياً وراء نعيم مادي مثالي على الأرض من خلال مخترعات علمية باهرة"<sup>3</sup>، وتحقيق هذه الغايات اقتضى تجريد العلم من الأخلاق وقواعد الأدب الإنساني والقيم الإنسانية.

<sup>1</sup> زغلول النجار، الإعجاز العلمي في السنة، ج1، ص10.

<sup>2</sup> آل عمران: 110.

<sup>3</sup> روبرت م أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال الخليلي، ص105.

ولقد ترتب على هذه النظرة مخاطر جمة على الإنسان، كالتلوث بكل أشكاله، واستنزاف موارد الطبيعة، والإسهام في انقراض التنوع، واختراع الأسلحة الفتاكة (النووية والهيدروجينية) التي تنذر بتدمير الحياة الإنسانية .

إن هذه المخاطر تشكل تحديات تفرض على الإنسان بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، تقديم رؤية كونية شاملة، تجعل العلم بالطبيعة في خدمة الإنسان وخلافته، ووسيلة لإعمار الأرض وإصلاح ما أفسده الإنسان والاستزادة من مواردها، وأداة لرعاية الكون والكائنات، فالعلوم تنطلق من غايات وتصورات وتسعى لتحقيق تلك التصورات والغايات، والمرحلة الراهنة من تاريخ العلم في أمس الحاجة لتحديد الغايات الموافقة لمصلحة الإنسان.

وأمام عجز العقل عن تقديم رؤية متكاملة، رغم كل ما أنتجه من أفكار وفلسفات، وقصوره عن ضبط السلوك الإنساني في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، بما يتوافق والمصلحة الحقيقية للإنسان، تظهر الحاجة إلى اعتماد الوحي مصدرا للكشف عن التصور الصحيح للكون والحياة والإنسان، باعتباره محددًا للغايات وموجهًا للسلوك الإنساني نحوها.

لقد حقق العقل نجاحا باهرا في مجال الكشف عن القوانين الكونية، واستثمار تطبيقاتها، ولكن هذه التطبيقات استغلت في خدمة الأهواء والرغبات الفردية والطبقية، وهي الغايات التي تنبثق من التصورات التي انبنى عليها العلم الحديث، و هنا يأتي دور الوحي الذي حدد غايات الإنسان، ورسم له المعايير، ووجهه نحو الأهداف التي تتناسب وفطرته، وتتوافق مع السنن الكونية التي أقام الله عليها الكون، يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِمَنِّي هِيَ أَقْوَمٌ﴾<sup>1</sup>.

إن الطبيعة خاضعة لقوانين عامة، يمكن كشفها بوسائل المعرفة من حس وعقل، وقد أمر الله عز وجل بالنظر في مكونات الطبيعة، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾<sup>2</sup>، وإذا كان الإنسان قد استطاع كشف الكثير من القوانين الكونية، وتقدم علميا، فإن هذا التقدم يحتاج إلى الترشيد

<sup>1</sup> الإسراء: 09.

<sup>2</sup> الغاشية: 17-20.

عقائديا وأخلاقيا، ولاشك فالقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، هو الأقدر على القيام بوظيفة الترشيد والتوجيه، فهو ليس كتاب رياضيات ولا كتاب فيزياء ولا طب ولا فلك، وإنما كتاب هداية، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ مَتَابِعَ رِضْوَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>1</sup>.

إن القرآن الكريم عندما يذكر الظواهر الطبيعية، إنما يذكرها في سياق بيان قدرة الله تعالى على هداية الإنسان إلى الحمد والشكر ودلالة الخلق على الخالق وبيان وظيفة الإنسان وعلاقته بالكون، ولا يذكرها مجردة كما نجدتها في كتب الفيزياء والطب ....

والفقر المدقع للقيم العقائدية و الأخلاقية الذي نلمسه في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، يقتضي إبراز هداية القرآن الكريم في هذا المجال في نسق عقلي ومنهج علمي، حتى تكون العلوم الطبيعية في خدمة الإنسان، ووسيلة لتحقيق مصلحته ودفع المفسدة عنه، وهذا ما نحاول إبرازه في هذا البحث " قيم العلوم الطبيعية في القرآن الكريم".

### الإشكالية :

تتعلق الدراسة بما يوفره القرآن الكريم من قيم للعلم الطبيعي، تجعله يتفادى مزالق العلم الطبيعي الوضعي، وما تسبب فيه من مأس، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

- 1- ما هي القيم الحاكمة للبحث العلمي الحديث؟
  - 2- ما هي المشكلات الناتجة عن المنهج العلمي الطبيعي الحديث، والتي تحتاج إلى قيم من خارج النسق القيمي الغربي؟
  - 3- ما هي قيم العلوم الطبيعية في القرآن الكريم؟
  - 4- كيف تساهم القيم القرآنية في توجيه العلوم الطبيعية لخدمة الإنسانية؟
- أسباب اختيار الموضوع: يمكن تلخيص الأسباب، فيما يلي:

- 1- نقص الدراسات التي أفردت القرآن الكريم بالبحث حول هذا الموضوع.

<sup>1</sup> المائدة: 15-16.

2- تقديم حلول للأضرار الناتجة عن تجريد العلوم الطبيعية من القيم التي يرشد إليها الوحي.

3- البحث عن أسباب المفاصد الناجمة عن التطور العلمي الحديث.

4- اكتشاف القيم القرآنية المؤسسة للبحث العلمي بما يحقق مصلحة الإنسان.

### الأهداف المتوخاة من البحث :

1- الكشف عن هداية القرآن الكريم في مجال العلوم الطبيعية، وإبراز مدى حاجة البشرية إليها.

2- ربط العلوم الطبيعية بالرؤية التوحيدية .

3- الكشف عن القيم الحاكمة للعلوم الطبيعية الحديثة.

4- ترشيد العلوم الطبيعية لتكون في خدمة الإنسان والإنسانية .

### الدراسات السابقة:

لم أعر على دراسة تتناول الموضوع بالمعنى المحدد له في هذه الدراسة حسب استقصائي لما كتب في الموضوع وقراءته، ولكن توجد دراسات تناولت أجزاء من الموضوع، وهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول: اهتم بالقيم المتعلقة بالعلوم الطبيعية، ومعظم ما كتب فيه من تأليف علماء غربيين، ولهذا نجد منطلقاتهم العقائدية وما يتفرع عنها من قيم، تباين التصور الإسلامي، وإن كانت تتقاطع معه في العديد من التفاصيل، ومن الدراسات في هذا النوع: "العلم في منظوره الجديد"، للعالمين روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو، ترجمة كمال الخليلي، والذي نشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة.

يتضمن الكتاب مدخلا وثمانية فصول: المادة- العقل- الجمال- الله- الإنسان والمجتمع- العالم- الماضي- الحاضر.

استهل المؤلفان الكتاب بالقول: " لكل حضارة من الحضارات تصور كوني للعالم، أي نظرة يفهم وفقا لها كل شيء وقيم، والتصور السائد في حضارة ما هو الذي يحدد معالمها، ويشكل

اللحمة بين عناصر معارفها، وبملي منهجيتها ويوجه تربيتها، وهذا التصور يشكل إطار الاستزادة من المعرفة والمقياس الذي تقاس به"<sup>1</sup>.

**النوع الثاني:** يشتمل على الدراسات التي تناولت العلم بمفهومه العام في القرآن الكريم، أو على مواضيع خاصة كموضوع الكون أو المنهج التجريبي...، ومن هذه الدراسات: "العقل والعلم في القرآن الكريم"، للدكتور يوسف القرضاوي، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، تتضمن الدراسة ستة فصول، اعتمد فيها المؤلف منهج التفسير الموضوعي هادفاً إلى إبراز دعوة القرآن الكريم إلى التمسك بالعلم واستخدام العقل لفهم الظواهر المختلفة، وكيف يغرس هذين المعنيين الكبيرين في القلوب، وكيف يربي الأمة في ضوئهما.

**النوع الثالث:** دراسات تتناول قضية أخلاقيات العلم؛ ومن هذه الدراسات، كتاب الدكتور سعيد محمد الحفار، "البيولوجيا ومصير الإنسان"، الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة.

يتضمن الكتاب بيان العلاقة المتبادلة بين البيولوجيا والثقافة والقيم والأخلاق والتشريع، وهذا ما تبرزه بعض عناوين فصول الكتاب، منها: الإثارة الحقيقية للبيولوجيا المعاصرة، التغيرات البيئية والصحة والمرض، إنسان المستقبل والقيم، الثورة البيولوجية المعاصرة والقيم الإنسانية، القيم الإنسانية... هل هي بعد من أبعاد المعرفة البيولوجية؟، المسيرة البيولوجية والمفاهيم الجديدة للحياة والإنسان والمجتمع، أهمية التلاحم بين البيولوجيا والتربية وبقية العلوم.

### منهج الدراسة:

لما كانت الدراسة تهدف إلى الكشف عن القيم الكامنة في القرآن الكريم والمتعلقة بالعلوم الطبيعية، فإن المنهج المناسب يتمثل في المنهج التحليلي المقارن، حيث يقتضي الموضوع استنباط القيم من القرآن الكريم وتحليلها، وإبراز ما تضمنته من مثل وأهداف، ومقارنتها بقيم العلم الطبيعي الحديث.

**خطة البحث:** لقد قمت بتقسيم البحث إلى أربعة فصول وخاتمة.

<sup>1</sup> روبرت م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص15.



الفصل الأول: تحديد المفاهيم، تناولت فيه النقاط الآتية:

الأولى: تحديد مفهوم القيم، ومفهوم العلوم الطبيعية.

الثانية: تحديد مصدر القيم؛ أ هو الله عز وجل أم الإنسان؟.

الفصل الثاني: العلم الحديث ومشكلاته، وتناولت فيه المباحث الآتية:

الأول: نشأة العلوم الطبيعية الحديثة، والعوامل التي ساهمت في ذلك.

الثاني: أسس العلوم الطبيعية الحديثة، وفيه محاولة للكشف عن القيم والتوجهات والتصورات

المتعلقة بالإنسان والكون والحياة، التي يقوم عليها العلم الحديث.

الثالث: صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم: ناقشت فيه العلاقة بين العلوم الطبيعية والدين

باعتباره مصدرا للقيم الروحية والإنسانية.

الرابع: مشكلات العلم الحديث، يتضمن بيانا لما أفرزه العلم الحديث من مشكلات تتعلق

بالإنسان والبيئة.

الفصل الثالث: القرآن الكريم والعلوم الطبيعية: ناقشت من خلاله النقاط الآتية:

الأولى: هل تناول القرآن الكريم "العلوم الطبيعية"؟ .

الثانية: ما هو حكم العلوم الطبيعية؟ وما قيمتها؟ وما هي خصائص المعرفة العلمية من خلال

القرآن الكريم؟

الفصل الرابع: بينت فيه ضرورة القيم، لمعالجة ما أفرزه العلم الحديث من مشكلات، ثم شرعت في

بيان القيم القرآنية ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية، والتي استخرجتها من الآيات القرآنية التي تناولت

الظواهر الطبيعية، إذ لا تخلو آية منها من قيمة عقائدية أو خلقية، وبينت كيف أن هذه القيم ذات

أثر في ترشيد النشاط العلمي للإنسان في العصر الحديث.

## الصعوبات:

تتلخص الصعوبات التي واجهتها أثناء البحث في الآتي:

- افتقار المكتبات للدراسات المتخصصة في مجال فلسفة العلوم.
- نقص المراجع التي تناولت الموضوع، وصعوبة الحصول عليها.

خاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من البحث.

وبعد هذه الرحلة مع كتاب الله تعالى، الهادفة إلى إبراز ما تضمنه كلام الله تعالى من قيم، يمكن بها معالجة ما تسبب فيه التقدم العلمي في دراسة الطبيعة من مشكلات وأخطار على الإنسان والبيئة المحيطة به، أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا العمل، وأرجو أن أكون قد وفقت لتحقيق الأهداف المسطرة، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الأول

### تحديد المفاهيم

المبحث الأول: تعريف القيم.

المبحث الثاني: مصدر القيم.

المبحث الثالث: مفهوم العلوم الطبيعية.

## تمهيد:

تهدف هذه الدراسة، إلى بيان القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية، ولهذا يقضي التأصيل العلمي البدء بتعريف تحليلي للفظة القيم، يتبعه تعريف للعلوم الطبيعية.

### المبحث الأول: تعريف القيم:

يكاد يجمع الباحثون على غموض معنى القيمة، وصعوبة تحديد ما تدل عليه لكونها لا مادية<sup>1</sup>، ولكن هذا الغموض لا يعفينا من محاولة إبراز مفهوم مناسب لدلالاتها اللغوية، ومتناسق مع التعريفات الاصطلاحية، التي تفوق الحصر، كمدخل لتحديد القيم الموجهة للعلوم الطبيعية في القرآن الكريم.

### المطلب الأول: التعريف اللغوي للقيم:

"القيم" في اللغة العربية جمع كلمة "قيمة" وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "قَوَمَ"<sup>2</sup>، وهو يأتي على معان متعددة منها:

أ- الاستقامة والاعتدال والاستواء: ورد في مختار الصحاح: "القيمة واحدة القيم، وقوم

السلعة تقويماً، وأهل مكة يقولون: استقام السلعة، وهما بمعنى واحد، والاستقامة: الاعتدال، يقال استقام له الأمر، يقول الله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾<sup>3</sup>، أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم<sup>4</sup>، وفي لسان العرب: القِيمُ تعني الاستقامة، والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه<sup>5</sup>.

ب- الثبات والدوام على الأمر: من ذلك قولهم: "ماله قيمة" إذا كان لا يدوم ولا يثبت

على شيء، يقول الله عز وجل: ﴿دَيْنًا مَّا﴾<sup>6</sup>، أي ثابتاً مقوماً لأمر معاشهم ومعادهم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الربيع ميمون، نظرية القيمة في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، ص25.

<sup>2</sup> أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج5، ص 3781.

<sup>3</sup> فصلت: 06

<sup>4</sup> محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح (باب الميم، فصل القاف)، ص498.

<sup>5</sup> ابن منظور، مرجع سابق، ص 3782.

<sup>6</sup> الأنعام: 161.

<sup>7</sup> الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص417.

ج- المحافظة والإصلاح: ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا هُمْتَ عَلَيْهِ آتِ مَا ﴾<sup>1</sup>، أي ملازما حافظا<sup>2</sup>.

والتأمل في هذه المعاني اللغوية، يكشف لنا عن الملاحظات الآتية :

### الملاحظة الأولى:

أنها معان تدل على الكمال، بينما يدل مقابلها على النقصان، فالثبات والاستقامة والاعتدال وغيرها صفات مستحبة في الإنسان<sup>3</sup>، أمر الله عز وجل بها ونهى عن ضدها، كما تدل على ذلك هذه الآيات الكريمة، يقول الله عز وجل:

- ﴿ نَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>4</sup>.

- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾<sup>5</sup>.

- ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ آمَانًا ﴾<sup>6</sup>.

### الملاحظة الثانية :

أن مصطلح "القيم" لم يكن مستخدما في اللغة العربية، وإنما دخل إليها عن طريق الترجمة، فاستخدمه المحدثون في دراساتهم مع اختلافهم في تحديد مفهومه، وسيأتي ذكر الألفاظ المستخدمة في اللغة العربية في المطلبين الآتين.

### المطلب الثاني : القيمة في الاصطلاح القرآني :

باستقراء الآيات القرآنية، وجدنا أن القرآن الكريم يتضمن ألفاظا ذات علاقة بجذر القيم مثل ( نقيم , مقام , قوامون... )، ولكن لفظ القيمة بالمفرد أو بالجمع، لم يرد فيه. وقد وردت مشتقات لفظ القيمة في حوالي ستمائة وتسع وخمسين موضعا<sup>7</sup>. وتتركز دلالتها في أربعة مجالات<sup>8</sup>:

أ - الوزن والفائدة والثمن والخيرية، كما في قوله تعالى:

<sup>1</sup> آل عمران: 75.

<sup>2</sup> محمد مرتضى الزبيدي، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، ج9، ص36.

<sup>3</sup> الربيع ميمون، مرجع سابق، ص28.

<sup>4</sup> الأحقاف: 13.

<sup>5</sup> الأعراف: 31.

<sup>6</sup> النساء: 05.

<sup>7</sup> فتحي حسن ملكاوي، التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، ص06.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص08.

﴿وَأَنَّكَ الْبَاقِيْنَ كُفُوًا يَا أَيُّهَا الرَّحْمَنُ وَلِئِنَّكَ لَآتِيَهُمْ رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ فَجَحَّطْتَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾<sup>1</sup>.

- ب - الثبات والاستقرار والتوازن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَحْقَقِينَ فِي مَقَامٍ آمِينَ﴾<sup>2</sup>.  
 ج - المسؤولية والرعاية، كما في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾<sup>3</sup>.  
 د - الاستقامة والصلاح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلِّوْا سَبِيحَاتِكُمْ لِحَقِّ الْكَلِمَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>4</sup>.

وتدل هذه المعاني على أمرين:

- إن القرآن الكريم لم يوظف مشتقات لفظ القيمة في معنى شرعي، وإنما احتفظ بالمعاني اللغوية للكلمة.

- إن الألفاظ ذات العلاقة بجذر القيم، تستخدم فيما هو مرغوب فيه من الصفات، لا فيما هو مرغوب عنه.

### المطلب الثالث: مصطلح القيمة في الفكر المعاصر:

من العلوم التي اهتمت بمصطلح القيمة ووظيفته في دراساتها: الفلسفة، علم الاجتماع، علم التربية، ونقلته بعض الدراسات الإسلامية عند معالجتها للعديد من المواضيع كما سنرى فيما يأتي. إلا أن الملاحظ في هذه الدراسات الفلسفية والاجتماعية والتربوية، هو الاختلاف في تحديد مفهوم الكلمة، وهذا ما يستدعي إبراز بعض التعريفات لمصطلح القيمة في المجالات العلمية المذكورة ومناقشتها، للتمكن من تحديد مفهوم للقيم في هذا البحث.

### 1- مفهوم القيم في الدراسات الفلسفية:

مبحث القيم هو واحد من المباحث الثلاثة التي تشكل الفلسفة، مع مبحث الوجود ومبحث نظرية المعرفة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الكهف: 105.

<sup>2</sup> الدخان: 51.

<sup>3</sup> النساء: 34.

<sup>4</sup> الجن: 16.

<sup>5</sup> عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 30.

ولقد وظفت الكلمة بديلا للمصطلحات التي كانت شائعة في الفلسفة القديمة، مثل الخير BIEN، والخير الأسمى *severain bien*، والكمال *perfection*<sup>1</sup>.

وأهم من عمل على انتشار الكلمة ورواجها الفيلسوف الألماني نيتشه؛ فنجاح فلسفته، هو الذي حمل الفلاسفة على الاهتمام المتزايد بها، وعلى أخذها موضوعا للبحث بشكل نظرية فلسفية بأكملها<sup>2</sup>.

ولقد نقلت هذه الكلمة من دلالتها المادية إلى دلالة معنوية؛ إذ أنها كانت تستعمل في الاقتصاد بمعنى قيمة المبادلة، أي الثمن المقرر للسلعة، ثم استعملت بمعنى القدر والمنزلة للدلالة على ما في الأشياء من خير أو جمال أو صواب<sup>3</sup>.

ورغم اهتمام الفلاسفة بالقيم، إلا أن الاختلاف حول تحديد مفهوم المصطلح كبير، وفي هذا يقول جون ديوى: " إن الآراء حول موضوع القيم يتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى قيما ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير القبلية الفعلية ضرورية، ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق"<sup>4</sup>.

ويشير بالرأي الأول إلى الوضعية المنطقية، التي ترى أن اللفظة يكون لها معنى حين تمثل وجود الوقائع، يقول فيتغنشتاين: " ليس في العالم قيمة وإذا وجدت قيمة كانت غير ذات قيمة"<sup>5</sup>، ففي رأي هذه المدرسة، فكل ما ليس له رصيد في الواقع فهو لغو، مهملةً بذلك الوجود المعنوي رغم أهميته في حياة الإنسان، وهذا الرأي يعكس النظرة المادية المتطرفة للوضعية المنطقية، التي تتجاوز ما يشعر به كل إنسان، وما تمتلكه الإنسانية من رصيد ثقافي، يدلان على أن الإنسان هو الكائن الأخلاقي الوحيد الذي يتعالى على الواقع، وينفرد بالقدرة على التطلع إلى ما ينبغي أن يكون<sup>6</sup>، ويتميز بالقدرة على الاختيار بإرادته الحرة، ولذلك يحتاج إلى معايير قبلية يحدد بها الطريقة التي ينبغي أن يتصرف بها، والغايات التي تجسد طموحاته وأماله، وهو ما تراه المذاهب الفلسفية المختلفة. والقيم في مفهوم الفلاسفة تتناول ثلاثة مباحث، وهي :

<sup>1</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، ص30.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> فهمي محمد علوان، القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص91.

<sup>4</sup> عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، ص32.

<sup>5</sup> بيتر كزنرمان، أطلس الفلسفة، ص215.

<sup>6</sup> صلاح الدين بيوي أرسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، ص35.

أ - الحق : فالإنسان بفطرته ينشد الحق وعليه يبني علومه.

ب - الخير : وهو مقياس لقياس صواب السلوك.

ج - الجمال : وهو حلقة وسطى تقع بين الإدراك من ناحية وبين السلوك من ناحية أخرى، وهي ما يطلق عليه النشوة الجمالية وبغية المرء أن تجيء هذه الحالة بما يشبع فيه الطمأنينة والرضا، فتراه على هذا الأساس يختار ثيابه ومسكنه وأثاثه<sup>1</sup>.

وفي ضوء هذه المباحث، صاغ الدكتور عادل العوا تعريفاً، عبر فيه عن مفهوم القيمة في الفكر الفلسفي، فقال: "القيمة تطلق على ماله شأو في التصور وفي الفعل لدى أفراد وجماعات"<sup>2</sup>.

وهذا التعريف يعبر عن الواقع، إذا أخذنا بعين الاعتبار تباين الثقافات، واختلاف اهتمامات الأفراد؛ فلكل بيئة ثقافية مسلمة تعتقد أنها الحق، فتبنى عليها نمط حياتها، وتحدد أهداف حياتها وفقاً لها، ولكن هذا التعدد في الرؤى يدفع إلى التساؤل: هل الحق يتعدد؟ وهل كل ماله شأو في بيئة ما هو حق؟ وهل كل سلوك يرى صاحبه أنه مهم، ينطوي على قيمة الخير؟

ولما كان البحث في هذه المسائل خارج عن نطاق هذا البحث، فإنه من الواجب التأكيد بأن مرجعية الثقافة الإسلامية واضحة في تحديد : الحق والخير والجمال، وهي الوحي ومالا يتعارض مع الوحي.

## 2. مفهوم القيم في الدراسات الاجتماعية :

لم يستطع الباحثون في علم الاجتماع أن يجمعوا على رأي محدد خاص بمصطلح " القيمة "؛ فمنهم من يوسع معناه، مما يزيده غموضاً، كما يظهر من هذين التعريفين :

أ . القيمة بأوسع معانيها هي أي شيء خيراً كان أو شراً.

ب . القيمة هي أي شيء موضوع اهتمام<sup>3</sup>.

ومنهم من يحصر معناه فيما يتوافق عليه المجتمع من أحكام ومبادئ، تعطي لهذا المجتمع هويته الخاصة، وتوجه سلوك أفرادة نحو أهداف مشتركة، وهو ما يعكسه هذا التعريف: " القيم أحكام

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، ص16.

<sup>2</sup> عادل العوا، في مقدمته لكتاب: جان بول رزقير، فلسفة القيم، ترجمة: عادل العوا، ص05.

<sup>3</sup> فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص21؛ نبيل توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع: دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، ص213.



مكتسبة من الظروف الاجتماعية، يتشربها الفرد، ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه، وتؤثر في تعلمه"<sup>1</sup>.

### 3- مفهوم القيم في الدراسات النفسية والتربوية :

من التعريفات التي وضعها الباحثون التربويون للقيم، ما يلي :

أ- "القيم هي مجموعة من القوانين والمقاييس، تنبثق من جماعة ما وتتخذها معايير للحكم على الأعمال والأفعال والتصرفات، ويكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عن اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا"<sup>2</sup>.

ب - "لفظ القيمة له معنيان مختلفان تمام الاختلاف، فهو من جهة يدل على موقف الاعتزاز بشيء وإثارته على اعتبار أنه ثمين ونفيس من أجل ذاته...، ومن جهة أخرى يعني التقويم بمعنى عمل عقلي مميز قوامه المقارنة والحكم"<sup>3</sup>.

### 4. مفهوم القيم في الفكر الإسلامي<sup>4</sup> :

إذا تأملنا في التعريفات السابقة، في المجالات العلمية المذكورة، فسلاحظ ما يلي :

أ - أنها تختلف في تحديد ماهية القيم، ولعل السبب في ذلك، يعود إلى النظرة التي يحملها كل باحث إلى علاقة الفرد بالمجتمع؛ فمنهم من يرى أن الإنسان حر له أن يفعل ما يراه مهما يجلب اهتمامه حتى وإن كان يصطدم مع ما تعارف عليه مجتمعه، ومنهم من يعتقد أن الفرد ملزم بالخضوع لثقافة مجتمعه وتصوراتها، وبصيغة أخرى، إن سبب الاختلاف يعود إلى تباين الآراء حول مصدر القيم؛ أهو الفرد أم المجتمع؟

ب - إن هذا الاختلاف لا يحول دون رؤية اتفاق التعاريف المختلفة على اعتبار القيم معايير نحكم بها على كل ما يصدر عن الإنسان من أفكار وأعمال، من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوءها وعدم الرغبة فيها، وفي هذا يقول ربيع ميمون: "إن القيمة مهما كانت الزاوية التي

<sup>1</sup> أحمد زكي بدري، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص438.

<sup>2</sup> لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، ص20.

<sup>3</sup> راف ن وين، قاموس جون ديوي للتربية: مختارات من مؤلفاته، ترجمة: محمد علي العريان، ص176.

<sup>4</sup> الفكر الإسلامي: هو ثمرة التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الخالدة. ينظر: حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، ص09.

نتأملها منها، لا يمكننا أن نرى فيها سوى وجوب وجود يسبق الوجود الواقع ليخرجه إلى الفعل ويسايره ليدعمه ويمسكه، ويأتي بعده ليعرض نفسه عليه كالغاية التي يجب عليه أن يطمح إليها<sup>1</sup>. وهي بهذا المعنى تعمل بوعي أو بدون وعي كجزء من المؤثرات التربوية والاجتماعية في سلوك الإنسان، والقرارات التي يتخذها والمنجزات التي ينجزها<sup>2</sup>. ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى الفكر الإسلامي، قديمه وحديثه، لتحديد مفهوم للقيم في إطار الرؤية الإسلامية.

### أولاً : مفهوم القيم في التراث الإسلامي<sup>3</sup> :

لم يرد مصطلح القيم في التراث الإسلامي، ولعل السبب في ذلك يعود إلى حداثة المصطلح في الفكر الإنساني عامة<sup>4</sup>، ولكن يمكن تحديد كلمات عديدة، استخدمت في هذا التراث بنفس الدلالة التي تحملها كلمة القيم.

فالقرآن الكريم يستخدم لفظ الخير للتعبير عن القيمة، لاتصافه بالعموم ولعمق دلالاته على الأخلاق وكل يتصل بها من قيم روحية ومادية<sup>5</sup>، كما في قوله تعالى في الآيات الآتية :

- ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُؤْتُونَ حَتَمًا مِمَّا كَفَرُوا﴾<sup>6</sup>.
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>7</sup>.
- ﴿وَمَا تَنْقُضُوا مِّنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾<sup>8</sup>.

فكلمة " الخير " في هذه الآيات وردت بمعان مختلفة، ولكنها تشترك في دلالتها على ما صلح من الأعمال ودوافع السلوك الحسن؛ ففي الآية الأولى استخدمت في مجال الحكمة، التي تعنى العلم

<sup>1</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، ص 18.

<sup>2</sup> ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 337.

<sup>3</sup> التراث الإسلامي يشمل ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وآداب... ينظر: أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، ص 27.

<sup>4</sup> صلاح الدين بيوي أرسلان، مرجع سابق، ص 138؛ فتحي حسن ملكاوي، مرجع سابق، ص 08.

<sup>5</sup> صلاح الدين بيوي أرسلان، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

<sup>6</sup> البقرة: 269.

<sup>7</sup> آل عمران: 110.

<sup>8</sup> البقرة: 272.

والعمل به<sup>1</sup>، وفي الآية الثانية وردت بمعنى الإيمان بالخالق وما يترتب عنه من صلاح الأعمال<sup>2</sup>، أما في الآية الثالثة فجاءت بمعنى المال، لما يوظف لتحقيق المنافع المشروعة للإنسان العاجلة أو الآجلة<sup>3</sup>. أما علماء الإسلام، فيوظفون كلمات عديدة لتمييز السلوك الحسن عن السيئ، مثل: الشمائل، الأخلاق، ويتناولون أركان الإسلام ومفاهيم التقوى والعبادة والجزاء كدوافع ومحددات للسلوك الحسن<sup>4</sup>.

وهذا الترابط الذي نجده في مؤلفات علماء المسلمين بين السلوك وبين العقيدة والعبادات، مستمد من طبيعة الإسلام، الذي يملك تصورا كلياً متكاملًا عن الإلهية والكون والحياة والإنسان، ومن ثم فلا مجال للفصل بين العقيدة والسلوك، ولا بين علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقته بالناس.

### ثانياً : مفهوم القيم في بعض الدراسات الإسلامية المعاصرة :

استخدم العديد من الباحثين الإسلاميين مصطلح القيم في دراساتهم، بوصفه يعبر عن رؤية الإسلام الكلية، للوجود والحياة والإنسان، ويعكس أثر هذه الرؤية على السلوك الإنساني بأوجهه المختلفة: العلمي والاقتصادي والاجتماعي...، يقول فتحي حسن ملكاوي: " الإسلام هو الدين القيم ودين القيمة، وقد تكرر ذلك في القرآن ست مرات، الأمر الذي يسوغ القول بأن دين الإسلام هو دين القيم الفاضلة والثابتة، ومن ثم فإن نظام القيم في الإسلام هو نظام الإسلام بصورته الكلية العامة عقيدة وعبادة وشرعية وأخلاقاً<sup>5</sup>.

وانطلاقاً من هذا المفهوم، تُعتبر موضوعات القيم، هي موضوعات الإسلام بوصفه عقيدة وشرعية ونظام حياة ينظم شؤون الفرد والمجتمع، وتتكامل فيه متطلبات العمل للدنيا والآخرة<sup>6</sup>. وعلى هذا الأساس يبرز كل باحث القيم المتعلقة بموضوع دراسته؛ فعبد الحميد أحمد أبو سليمان يذكر أن أهميات القيم الإسلامية في القرآن الكريم، هي:

1 - وحدة الربوبية والإلهية.

2 - وحدة الإنسان وغاية وجوده ومسؤولية ضميره.

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص316.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص400.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص317.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (كله)؛ فتحي حسن ملكاوي، مرجع سابق، ص08.

<sup>5</sup> فتحي حسن ملكاوي، مرجع سابق، ص 11-12.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 09.

3- العدل والإصلاح.

4 - عدم الفساد والظلم والإسراف.

5 - الصدق والأمانة والإحسان.

6- العلم والمعرفة والإعمار.

7 - النوايا وقصد الخير<sup>1</sup>.

أما محمد شديد، فيرى أن القيم تضبط السلوك، وتوجه مجري الحياة إلى أهداف تليق بالإنسان، فهي تنير طريق الإنسان وتهديه إلى الطريق المستقيم<sup>2</sup>.

ولما كانت هذه هي غاية القيم، فالإيمان الذي يقر في القلب ويصدق العمل، هو القيمة الأولى في الحياة، بل هو المنبع الذي تنبع منه جميع القيم<sup>3</sup>.

ويقسم توفيق محمد سبع القيم الإسلامية إلى سبعة أقسام، وهي :

1- القيمة الإيمانية.

2- القيمة العلمية.

3- القيمة العملية.

4 - قيمة الجهاد.

5- قيمة العبادة.

6- قيمة الأخلاق

7 - قيمة الحرية<sup>4</sup>.

**وخلاصة القول:**

أن منطلق الباحثين الإسلاميين في معالجة موضوع القيم، هو تصور الإسلام العام والشامل واستيعابه للزمن كله والحياة كلها وكيان الإنسان كله<sup>5</sup>، ولما كانت حياة الإنسان في الكون تتقوم بمنظومة من القيم، تحدد تصوراته وعلاقاته، وأعماله الظاهرة والباطنة<sup>6</sup>، فإن معاني

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 45 إلى 51.

<sup>2</sup> محمد شديد، قيم الحياة في القرآن الكريم، ص 14.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 178.

<sup>4</sup> توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم صنعه القرآن، ص 151 إلى 184.

<sup>5</sup> مساعد بن عبد الله الحيا، القيم في المسلسلات التلفزيونية، ص 63.

<sup>6</sup> فتحي حسن ملكاوي، مرجع سابق، ص 07.

معاني القيم ودلالاتها هي نفس مواضيع الإسلام، التي تسع كل مجالات الحياة الإنسانية، بناء على أن الإسلام وهو يتولى تنظيم الحياة الإنسانية، لم يفصل بين العقيدة والسلوك ولا بين العبادة والحياة الاجتماعية.

#### المطلب الرابع : مفهوم القيم في هذه الدراسة :

بناء على ما سبق، حيث تبين لنا أن القيم - في الفكر الإسلامي - تنبثق من نظام الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، غايتها توجيه السلوك الإنساني نحو الغايات التي تتناسب وفطرة الإنسان وتقومه.

وفي ضوء القرآن الكريم، الذي يستعرض الآيات الكونية في سياق بيانه للحقائق الأساسية المتعلقة بالله والكون والحياة<sup>1</sup>، مما يضيف على الكون معنى سامياً يتناسب مع الاكتشافات المذهلة المتحققة في مجال العلوم الطبيعية، ويدعو في الوقت نفسه إلى استخدام عناصر الطبيعة المسخرة للإنسان فيما يعود عليه وعلى الإنسانية بالمصلحة.

بناء على هذه المعطيات يمكن أن نعرف القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية، بأنها:

مجموعة المبادئ والمعايير التي تستهدف :

. توضيح الحقائق الأساسية المتعلقة بالله والكون والحياة.

. ضبط السلوك الإنساني في مجال "البحث العلمي"، وتوجيهه نحو تسخير الكون

وعمارته بما يعود على الحياة الإنسانية بالنفع<sup>2</sup>.

#### المبحث الثاني: مصدر القيم :

<sup>1</sup> طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، ص06.

<sup>2</sup> فتحي حسن ملكاوي، المرجع نفسه، ص13.

بعد النجاحات المذهلة التي تحققت في مجال العلوم الطبيعية، ظهر جليا في الفكر الأوروبي المعاصر الاهتمام المتزايد بالقيم والأخلاق، لتعارض بعض التطورات العلمية مع القيم الإنسانية المتعارف عليها، (مثل ظاهرة تحديد النسل، أثر الصناعة والتكنولوجيا على البيئة)، وتزايد الميل إلى إخضاع العلم ونتائجه للأخلاق والقيم، بخلاف ما كان سائدا في القرن التاسع عشر، حيث كان التوجه المسيطر هو العمل على إخضاع الأخلاق للعلم<sup>1</sup>.

ولكن القضية الأساسية التي يجب دراستها قبل بيان القيم ذات العلاقة بالعلم، تتمثل في تحديد مصدر القيم. أهو الله عز وجل أم الإنسان؟، وما هو أساس القيم: الدين أم العقل؟ وتتحلي أهمية القضية، عندما ندرك أن الغاية من القيم والمتمثلة في ضبط السلوك، لا تتحقق إلا إذا كانت هذه القيم ذاتها تتصف بالمشروعية، وتقوم على أساس يجعلها في موقع يتناسب ودورها المتمثل في توجيه الإنسان نحو ما يحقق مصلحته ومصلحة الإنسانية جمعاء. فما هو مصدر القيم؟

#### أ - مصدر القيم في الفكر الأوروبي المعاصر :

تتفق المذاهب الفلسفية الأوروبية - رغم تنوعها - على أن الإنسان هو مصدر القيم، وتنكر أية قوة خارجية تعلق فوق الإنسان<sup>2</sup>، وتعتبر عبد الوهاب المسيري ( تنكر أية مرجعية تتجاوز الإنسان)<sup>3</sup>، وهذا ما يظهر من الآراء الآتية:

- يري أصحاب نظرية الأصل الاجتماعي، أن المجتمع هو الذي يخلق قيمه، التي تخدم مصالحه، عن طريق إتباع رأي الأغلبية، وعليه، فإن ظاهرة الأخلاق ظاهرة وظيفية اجتماعية<sup>4</sup>.  
- ويعتقد مفكرو نظرية الأصل العلمي، أن الأخلاق تتأسس على هدي القوانين العلمية المجردة والحسابات الرياضية، كما هو الحال في الفلسفة النفعية التي حصرت الأخلاق في المنفعة واللذة، وجعلت الهدف من الحياة هو البحث عنهما بتعظيم الإنتاج والدخل<sup>5</sup>.  
- أما فريدريك نيتشه (1844-1900)، الذي اشتد الاهتمام به في السنين الأخيرة من القرن العشرين، بوصفه إحدى المرجعيات الرئيسية التي تؤسس خطاب نقد الحداثة، فيعتبر الأخلاق

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص35.

<sup>2</sup> فهمي محمد علوان، المرجع نفسه، ص103.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص77.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص138.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

أنواعاً من السلوك، صادرة عن الطبيعة الإنسانية، وما يكونها من غرائز وفي مقدمتها غريزة حب السيطرة وإرادة القوة<sup>1</sup>.

- ويختلف رأي المثاليين عن الآراء السابقة التي تجتمع على اعتبار القيم جزءاً لا يتجزأ عن الواقع الموضوعي للحياة والخبرة والإنسانية، فيذهبون . أي المثاليون . إلى وجوب وضع قيم عليا تستند إلى العقل، تقوم وراء القيم الجزئية النسبية المتغيرة، تكون ملائمة لأنبل الحاجات في طبائع البشر، وهو الجانب العاقل المشترك بينهم<sup>2</sup>.

وعلى أساس هذه الآراء وغيرها، تتخذ المجتمعات العلمانية من الإنسان مصدراً لتمييز الصواب عن الخطأ، والخير من الشر.

ويتخذ بعض المفكرين العرب نفس الموقف من مصدرية الإنسان للقيم، مستبعدين أي مرجعية أخرى؛ فالدكتور فؤاد زكريا يرى أن العلم الذي يمكنه أن يحل جميع المشكلات التي أفرزها التطور العلمي هو العلم الإنساني، ويتحقق ذلك بالاهتمام به بالشكل الكافي لتحقيق التوازن المفقود بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية<sup>3</sup>.

وتطوير هذا العلم الإنساني الذي يكشف عن طريقة توجيه حياة الإنسان، وتنظيم مجتمعه، يجب أن يشارك في إنجازها المفكرون والأدباء والفنانون والفلاسفة والعلماء، كما يجب الاعتماد على لغة العلم التي تحلل الظواهر وتوضح أسبابها<sup>4</sup>.

وتتخذ العديد من الدراسات العربية وغير العربية التي تتناول أخلاقيات العلم من العقل الإنساني والحياة الإنسانية مصدراً للقيم التي ينبغي أن توجه البحث العلمي لتفادي ما نتج من مفاصد عن التطور العلمي، ومنهجها في ذلك دراسة الواقع العلمي المعاصر للكشف عن القيم الموجهة للبحث العلمي الذي أفرز ما تعانیه الإنسانية من أضرار، ومن ثم وضع قيم بديلة، يعتقد أصحابها أنها ستوجه المسار العلمي نحو تحقيق الخير والمنفعة للإنسانية جمعاء، فهي تدعو إلى تجاوز القيم المادية التي سادت البحث العلمي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واستبدالها بقيم تتصف بالإنسانية، مثل: التنوع الإنساني والأخلاقية... ، وهذا ما يظهر في هذين النصين:

<sup>1</sup> عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي: نيتشه، ص 163 إلى 201.

<sup>2</sup> صلاح الدين بيوي أرسلان، المرجع نفسه، ص70؛ الجابري، المرجع نفسه، ص35 إلى 39.

<sup>3</sup> فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص203 إلى 205.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص206.

1. يقول سعيد محمد الحفار: "ويبدو أن الإنسان قد نسي قيمتين أساسيتين قد تفوقان القيم الأخرى عامة، وهما: قيمة التنوع الإنساني وقيمة التكيف الفردي، فلا سبيل لحماية هذه القيم إلا في وجود ما يعزز تقبل الاختلافات بين البشر، ومعرفة قيمة ما يمكن أن يقدمه أناس متنوعو الصفات كمساهمة لكفاءة البشرية بوجه عام"<sup>1</sup>.

2. أما "جان ماري بيلت" فيقول: "سوف يتعين على مجتمع المستقبل أن يجد من السلطة المطلقة للاقتصاد والتكنولوجيا، نظراً لأنها تهدد بالهبوط بالإنسان إلى مستوى المنتج المستهلك السليبي، وذلك لصالح الإيكولوجيا والأخلاقية وعالم الثقافة والروح، وكلها شروط لا غنى عنها لإضفاء نوعية حققة على الحياة"<sup>2</sup>.

ولقد جهت لهذه الرؤية التي تتخذ من الإنسان مصدراً للقيم، عدة انتقادات منها:

1- لا يمكن عزل العقل وفصله عن الهوى والعاطفة تماماً، وبذلك فليس ثمة ما يضمن لنا صدق أحكامه حين يفضل نوعاً من السلوك على نوع آخر<sup>3</sup>.

2- قد يصل الإنسان إلى بعض القيم كالمساواة، وضرورة حماية البيئة، وإيثار التعاون على النموذج التنافسي...، ولكن الاقتناع العقلي لا يكفي وحده كضمانة للالتزام بها، والتصرف وفقها، فالفكرة الوحيدة التي تسيطر على الغرائز وتنظمها في علاقة وظيفية مع مقتضياتها هي الفكرة الدينية<sup>4</sup>.

3- تتصف القيم التي مصدرها الإنسان بالنسبية، فهي تتأثر بالأحكام الذاتية والمواقف الشخصية، ولهذا تفتقد إلى القدرة على التوجيه؛ فلا يمكن عزل الإنسان عن رغباته وأهوائه ومصالحه، وبذلك يتعذر جمع الناس على قيم مشتركة تكون محل قبول منهم جميعاً.

4- القيم التي نادي بها الطبيعيون (التجريبيون، الوضعيون...)، ومنهم أصحاب نظرية الأصل العلمي للأخلاق، تنحصر في تلبية الحاجات الأولية الضرورية المتمثلة في اللذة والإنتاج والاستهلاك، أما الحاجات الروحية، فهي متروكة لرغبات

<sup>1</sup> سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، ص 194-195.

<sup>2</sup> جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان ص 234.

<sup>3</sup> صلاح الدين بيوي أرسلان، مرجع سابق، ص 135.

<sup>4</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 75-76.



الإنسان واختياراته وهذا من شأنه أن يفتح المجال لاستغلال العلم بلا ضوابط، وبالتالي الإضرار بالإنسانية.

وإضافة إلى هذه الانتقادات النظرية، نلاحظ في الواقع أن القيم الإنسانية التي ينادي بها الفلاسفة والمهتمون " بأخلاقيات العلم"، لا تؤثر في المسار العلمي التأثير المطلوب، رغم كل الآلام التي عاشتها الإنسانية بسببه، فتلويث البيئة مستمر، والمصانع تنتج من الأسلحة الفتاكة أكثر مما يكفي لتدمير العالم، وثقافة الإنتاج والاستهلاك هي السائدة....

### ب. مصدر القيم في الفكر الإسلامي:

إن قصور الإنسان عن بلورة منظومة قيمية فعالة، يدعو إلى التفكير في تطوير منظومات قيمية، تحقق السعادة للإنسان، بالاعتماد على مرجعية متجاوزة للإنسان<sup>1</sup>. فالإنسان مجهز بأخطر الصفات والملكات، كصفة العقل، الأنانية، القوة....، وهي أسلحة ذات حدين، أحدهما يأتي بالخير العميم، والآخر يجيء بالشر الويل والفوضى الهائلة<sup>2</sup>. وتوجيه هذه الصفات الوجهة الصالحة، لا يتحقق إلا بقوة أخرى تمنع الإنسان من استعمال أسلحتها فيما يعود بالضرر على الإنسان، وهذه القوة تتمثل في الدين الحق الذي يقوم على الإيمان بالله عز وجل الذي لا سلطان في الكون غير سلطانه ولا قوة قاهرة غير قوته<sup>3</sup>. فالمؤمن بالله تعالى يشعر في أعماق كيانه أنه عبد الله تعالى، مما يترتب عنه ضبط الصفات الإنسانية، واستعمالها فيما يحقق المصلحة له ولبنى جنسه<sup>4</sup>. ومن هذا المنطلق، "فالقيم من اختصاص الدين، وليس من اختصاص علماء الإنسانيات"<sup>5</sup>، فهي من عند الله عز وجل المتصف بالعلم والقدرة والحكمة، وبذلك فهي متناسبة مع مصلحة الإنسان، إذ توجهه للسلوك القويم العقلاني الذي لا يتعارض مع طبيعته الإنسانية، وهذا ما يؤكد

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 77.

<sup>2</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 65.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 66-67.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 68؛ مالك بن نبي، مرجع سابق، فصل: أثر الفكرة الدينية في توجيه الحضارة، من ص 68 إلى ص 80.

<sup>5</sup> ابراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين العلم والدين، ترجمة: ماجد عرسان الكيلاني، ص 18.

القرآن الكريم في قوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾<sup>1</sup>، أي للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها<sup>2</sup>.

ولهذا يلجأ المسلمون إلى القرآن الكريم، باعتباره الوحي المحفوظ من التحريف والتبديل، لاستنباط القيم الموجهة للإنسان في كافة مجالات حياته<sup>3</sup> والمطلوب هو الكشف عن هذه القيم، وتحليلها، وبيان أثرها على البحث العلمي في مجال العلوم الطبيعية، بإبراز توجيهاتها للإنسان في هذا المجال.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن التوراة والإنجيل، رغم نسبتها إلى الله عز وجل من طرف المؤمنين بهما، إلا أنهما يتضمنان من التناقضات مع الحقائق الناصعة التي كشف عنها العلم الحديث الشيء الكثير، مما يفقد الثقة فيما ورد فيهما<sup>4</sup>، وعليه فكلمة الدين في هذا البحث تنصرف إلى الإسلام المحفوظة مصادره من التبديل والتحريف.

القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> الإسراء: 09.

<sup>2</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج2، ص651.

<sup>3</sup> ينظر: ص9-10-11 من هذا البحث.

<sup>4</sup> Maurice Bucaille, la Bible, le Coran et la science, pp34-53, et pp89-97.

### المبحث الثالث : مفهوم العلوم الطبيعية:

كلمة العلوم الطبيعية, مركبة من لفظين " العلوم "، و"الطبيعية"، وهو ما يقتضي تعريفها باعتبارين :

أ. تعريف كل لفظ على حدى.

ب. تعريف الكلمة باعتبارها علما على الفن الخاص به , من غير نظر إلى الأجزاء المكونة له.

#### المطلب الأول: تعريف العلوم :

##### أ - في اللغة :

العلوم مفردة علم. يقول الزبيدي: " علمه كسمعه علما, عرفه, وعلم به أي شعر, وهذا صريح في أن العلم والمعرفة والشعور بمعنى واحد, وأنه يتعدى بنفسه في المعنى الأول, وبالباء إذا استعمل بمعنى شعر"<sup>1</sup>.

ويفرق ابن القيم بين العلم والمعرفة؛ فالعلم يقتضى مفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن عَلِمْتُمْ هُوْنَ يُؤْمِنَاتٍ﴾<sup>2</sup>, ويعنى حضور أحوال الشيء وصفاته ونسبتها إليه, أما المعرفة فتقع على مفعول واحد، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾<sup>3</sup>, وتعني حضور صورة الشيء ومثاله في النفس<sup>4</sup>.

##### ب- في الاصطلاح :

يعرف الجرجاني العلم بقوله: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"<sup>5</sup>.

أما التهانوي فيقول: " يطلق العلم في عرف العلماء على معان، منها :

- الإدراك مطلقا تصورا كان أم تصديقا, يقينا أم غير يقين.

- التصديق مطلقا يقينا كان أم غيره<sup>6</sup>.

وإذا تأملنا في التعريفين اللذين ذكرهما التهانوي، فسنجد أن المعنى الثاني هو الذي يعكس واقع

العلوم المختلفة، ومنها العلوم الطبيعية، التي تبحث عن صفات الأشياء، والقوانين التي تحكمها،

<sup>1</sup> محمد مرتضى الزبيدي، مرجع سابق، ج8، ص 405.

<sup>2</sup> الممتحنة: 10.

<sup>3</sup> البقرة: 146؛ الأنعام: 20.

<sup>4</sup> ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ص 335-336.

<sup>5</sup> الشريف الجرجاني، التعريفات، ص137.

<sup>6</sup> محمد علي بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج4، ص1055.

وتشتمل على حقائق ونظريات؛ فالحقائق تشتمل على القوانين المحدودة في تعميماتها بخصائص الظواهر والمواد في صورتيهما الحية والجامدة، وهي قوانين تجريبية تعتمد على الرصد المباشر عن طريق الحواس، أو ما يقوم مقامها من أجهزة الرصد والقياس، مثل تمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة، أما النظريات فتعني القوانين النظرية المتعلقة بكيانات معينة لا يمكن رصدها أو قياسها بوسائل مباشرة، مثل كيانات الذرة والإلكترون ومجال الجاذبية<sup>1</sup>.

واشترط اليقين في العلوم، معناه تضيق المعرفة الإنسانية، وحصرها في عناصر محدودة جدا لا تستقيم الحياة الإنسانية بها، ولذلك نجد العلوم النقلية كالفقه والعقيدة لا تقتصر فقط على تناول اليقيني، وإنما تتضمن كذلك أموراً لم تصل رتبة اليقين؛ فالفقه - مثلاً - يحوي أحكاماً ثابتة بأدلة قطعية وأخرى بأدلة ظنية<sup>2</sup>، وعلم العقيدة يشتمل على أصول الإيمان، وهذه متفق عليها، أما النصوص القرآنية التي تحتمل التأويل فقد اختلف المسلمون في تفسيرها، وكان هذا أحد العوامل التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس، فالعلم يشتمل في الثقافة الإسلامية على كل ما يدركه الإنسان من تصورات وتصديقات، سواء كانت يقينية أم غير يقينية؛ فكل المعارف الإنسانية المنظمة هي علوم مهما كان مصدرها، سواء كان العقل كالرياضيات والمنطق، أم الحس والتجربة بالإضافة إلى العقل كالتب والكيماويات والفيزياء والفلك، أم كان الذوق والخيال والعاطفة كالأدب، أم الوحي والنبوة كعلوم الدين<sup>4</sup>.

أما في الثقافة الغربية الحديثة، فقد اتخذت كلمة العلم "science" منذ القرن الثامن عشر معنى أضيق وأدق؛ فكل معرفة لا يتوفر فيها صفتي اليقين والصحة الكلية ولا تقوم على الحس والتجربة، لا تعتبر علماً<sup>5</sup>.

وهذا التحديد للعلم، يتجاهل مسألة تميز كل نوع من أنواع المعرفة بطريقته ووسائله للوصول إلى حقائقه وموضوعاته<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، ص 164.

<sup>2</sup> وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج 1، ص 20.

<sup>3</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص 138-139؛ مصطفى بن الناصر وينتن، الوحدة في توحيد الأصول الإيمانية، ص 02-04.

<sup>4</sup> محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص 15.

<sup>5</sup> بيير بلانشي، نظرية العلم، ترجمة: محمود يعقوبي، ص 14.

ويتجاهل كذلك واقع العلوم الطبيعية التي تتضمن نظريات عديدة، وهي ظنية وليست يقينية<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني : تعريف الطبيعة :

كلمة " الطبيعة في اللغة العربية , تعني ما جبل عليه الإنسان، "فالطبع والطبيعة: الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، والطباع كالتبيعة، وهو ما طبع عليه الإنسان من طباع في مأكله ومشربه وسهولة أخلاقه وحزونها وعسرها ويسرها، وشدته ورخاوته، وبخله وسخائه"<sup>3</sup>، والمعنى نفسه نجده في مختار الصحاح، " مادة ط ب ع: الطبع، السجية التي جبل عليها الإنسان، وهو الأصل مصدر والطبيعة مثله"<sup>4</sup>.

وإضافة إلى هذا المعنى الذي نجده في القواميس، تعارف الناس على استخدام كلمة " الطبيعة" للدلالة على مكونات الكون، من العناصر المادية، وهو المعنى الذي تحمله كلمة " natura باللاتينية، ففي القاموس الفرنسي "le petit larousse" ورد تعريف كلمة "la nature" كالآتي:

(Nature: ensembles des êtres et les choses qui constituent l'univers, le monde physique, réalité)<sup>5</sup>

ويبدو أن المسلمين ترجموا هذه الكلمة، natura ب (الطبيعة)، منذ مطالعتهم للفلسفة اليونانية، فالفارابي (ت 339 هـ)، يعرف العلوم الطبيعية بقوله: " العلم الطبيعي ينظر في الأجسام الطبيعية، وفي الأعراض التي قوامها في هذه الأجسام، ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها والتي لها توجد هذه الأجسام، والأعراض التي قوامها فيها"<sup>6</sup>.

وواضح من هذا التعريف أن كلمة الطبيعة لا يقتصر معناها على الطباع الإنسانية، وإنما يتعداها إلى كل مكونات الكون من العناصر المادية، وهو المعنى الشائع الذي يتبادر للذهن عند إطلاق هذه الكلمة.

<sup>1</sup> محمد المبارك، مرجع سابق، ص16.

<sup>2</sup> سنتناول الموضوع بتفصيل أكثر في الفصل الثاني، ص 51-52.

<sup>3</sup> ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص2634.

<sup>4</sup> محمد بن أبي بكر الرازي، مرجع سابق، ص314.

<sup>5</sup> le petite larousse, 2009, p 681.

<sup>6</sup> أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، ص53.

### المطلب الثالث : تعريف العلوم الطبيعية:

العلوم الطبيعية تشتمل على الدراسات التي تتناول عناصر الواقع المادي ومعطياته، للوصول إلى نظريات وقوانين سواء عن طريق الاستقراء أو الاستنباط<sup>1</sup>.

وبناء على هذا المفهوم، يتعلق موضوع العلوم الطبيعية بالواقع المادي الملموس القابل للتجربة، أما ما لا يخضع لها فخارج عن مجالها<sup>2</sup>.

ولا يختلف هذا المفهوم الحديث عن المفاهيم التي كانت متداولة للعلوم الطبيعية في الحضارتين اليونانية والإسلامية، وهو ما يتجلى في هذين التعريفين :

#### 1- تعريف أرسطو:

العلم الطبيعي هو البحث في الوجود من حيث هو محسوس متحرك، وهو علم نظري غايته مجرد المعرفة<sup>3</sup>.

#### 2- تعريف ابن خلدون:

العلم الطبيعي هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية، وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك، وفي مبدأ الحركة للأجسام، وهو النفس على تنوعها في الإنسان والحيوان والنبات<sup>4</sup>.

وإذا كانت الحضارات المختلفة متفقة على موضوع العلوم الطبيعية، فإن تحديد وظيفة هذه العلوم يختلف من حضارة إلى أخرى، تبعا للموقف الفكري لهذه الحضارة أو تلك من العالم المحسوس، وعلاقة الإنسان به.

وسنقتصر في هذا المطلب على الحضارتين، اليونانية والإسلامية، أما العلم في ظل الحضارة الغربية المعاصرة فسيكون موضوع الفصل الثاني.

### أولا: العلوم الطبيعية في الحضارة اليونانية:

<sup>1</sup> منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، ص15؛ توبي أ هف، فجر العلم الحديث: الإسلام. الصين الغرب، ص264؛ فاطمة إسماعيل، منهج البحث عند الكندي، ص188.

<sup>2</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، قصة الكون (من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم)، ص319.

<sup>3</sup> وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص187.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص535.

يظهر من تعريف أرسطو، أن اليونانيين لم يكن لهم من وراء المعرفة أي هدف عملي، وهذا ما يفسر إدراج أرسطو للعلوم الطبيعية ضمن العلم النظري الذي يشمل كذلك على علم ما بعد الطبيعة والرياضيات<sup>1</sup>.

وتتلخص خصائص العلوم الطبيعية عند اليونان، فيما يلي:

- 1- سيادة النظرة الكيفية إلى الأشياء الطبيعية.
- 2- البحث عن الأسباب في محاولة لتفسير العالم.
- 3- الاعتماد على التأمل، أما المنهج التجريبي فالاعتماد عليه كان محدودا جدا<sup>2</sup>.

### ثانيا : العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية :

نمت العلوم الطبيعية وازدهرت في الحضارة الإسلامية، في ظل حاكمية القرآن الكريم، الذي شكل - ولا يزال يشكل - الموقف الفكري للإنسان المسلم، فصاغ التصورات الكلية للإنسان والكون والحياة، وضبط عملية البحث العلمي بالهدف، حتى لا يجنح العالم بعلمه عن الغاية الصحيحة المشروعة<sup>3</sup>.

ويتمثل هذا الهدف في تحصيل الحقيقة التي تتعدى آثارها حدود هذه الدنيا، وهو ما يؤكده القرآن الكريم، كما تدل عليه هذه الآيات:

- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَهْلَهْلَهُ الْحَقُّ﴾<sup>4</sup>.
- ﴿وَأَتَّبِعْ غُفَيْرًا مِمَّا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْمَلْتَهُ إِلَىٰ لَيْلِكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفٰسِلِينَ﴾<sup>5</sup>.

ومن هذا المنطلق، فغرض العلوم معرفة ما يؤدي إلى معرفة الحقيقة والفوز بالآخرة<sup>6</sup>، وهذا ما كان يبرزه العلماء في كتبهم ويؤكدون عليه، كما يظهر من هذا النص المنقول عن الشيرازي(ت 710هـ): "إن الطبيب إذا عرف بالتشريح ما أودعه الله تعالى من العجائب والغرائب في هذا البدن

<sup>1</sup> عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية التفكير الإسلامي، ص35.

<sup>2</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص142.

<sup>3</sup> زيني بن طلال بن حامد الحازمي، النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي (من منتصف القرن

2هـ إلى القرن 7هـ) ص20.

<sup>4</sup> فصلت: 53.

<sup>5</sup> القصص: 77.

<sup>6</sup> ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، ص90.

النحيف والتركيب الضئيل، كان ذلك من أقرب الوسائل له إلى الاعتراف بالخالق الحكيم، الذي أحسن كل شيء خلقه. إن الطب جامع لجهات النفع، فإن أراد الإنسان معرفة حقائق الأشياء فهي حاصلة هاهنا، لأنه يعرف بهذا العلم عجائب قدرة الله تعالى في تركيب هذا العالم...، ويتوصل إلى معرفة الصانع الحكيم الرحيم"<sup>1</sup>.

ويظهر من هذا النص كما في غيره من النصوص التي كتبها علماء الطبيعيات المسلمين، أن الهدف الديني لا يحول دون استغلال العلم لتحقيق المنافع المادية<sup>2</sup>.

ولتحقيق هذه الغايات، اعتمد المسلمون على المنهج التجريبي لمعرفة طبائع الأشياء وقوانينها<sup>3</sup>، متجاوزين بذلك منهج "التأمل العقلي" الذي قامت عليه المعرفة اليونانية.

ويلخص روجيه دي باسكويه نظرة المسلمين للعلم، بقوله: " العلم في الحضارة الإسلامية يهدف إلى إيجاد إجابات شافية لأسئلة العالم، وإلى وضع وسائل كافية عمليا وتقانيا تحت تصرف الإنسان، لتيسر له الماديات الضرورية"<sup>4</sup>.

#### المطلب الرابع: مشكلة المصطلح:

يطلق على العلوم التي تتخذ من المادة موضوعا لدراستها، مصطلحات عديدة، منها :

أ- العلوم الطبيعية: وهو المصطلح الشائع الاستعمال في المناهج الدراسية، وفي المؤلفات الخاصة بالموضوع.

ب - العلوم الكونية : ويستخدم كمرادف للعلوم الطبيعية<sup>5</sup>.

ج- العلوم الاستقرائية : يقول بيير بلانشي : " فلسفة العلوم الاستقرائية عنوان لوليام هوبول، يتعلق بعلوم الطبيعة"<sup>6</sup>.

وهذه المصطلحات وغيرها تدل على مسمى واحد، وهو الدراسة المنهجية للمادة من أجل الكشف عن القوانين التي تحكمها، إلا أن بعضها (العلوم الاستقرائية، العلوم التجريبية) يعكس المنهج الذي تعتمده هذه العلوم، أما البعض الآخر فيدل على موضوع الدراسة.

<sup>1</sup> قطب الدين الشيرازي، بيان الحاجة إلى الطب والأطباء وآدابهم ووصاياهم، ص20.

<sup>2</sup> سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ص14.

<sup>3</sup> منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص81.

<sup>4</sup> روجيه دي باسكويه، إظهار الإسلام، ص146.

<sup>5</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص51؛ محمد المبارك، مرجع سابق، ص23، ص25.

<sup>6</sup> بيير بلانشي، مرجع سابق، ص11.



وإذا كان العديد من علماء الإسلام لا يرون حرجاً في استخدام هذه المصطلحات . كما تبين لنا فيما سبق أثناء عرض بعض التعريفات للعلوم الطبيعية -، فإن بعضهم انتقد استخدام كلمة " الطبيعة "، لكونها غامضة الدلالة، ويقترح بدلها كلمة " الكون "؛ يقول الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: " إن التعبير الدقيق الذي تفرضه علينا الدقة العلمية في الربط بين الألفاظ ومدلولاتها، يقتضي استخدام لفظ الكون، الذي يعني المكونات المتنوعة المختلفة الخاضعة لتسخير الإنسان، أما لفظ الطبيعة فكلمة عمياء لا يستبين لها أي حجم علمي يمكن أن يعتمد عليه"<sup>1</sup>.

ويبدو من خلال هذا النص أن النقد مؤسس على أمرين:

أ - معنى لفظ " الطبيعة " في اللغة العربية، الذي يعني ما جبل عليه الإنسان في مأكله ومشربه...، وهو غير المعنى المقصود عند إطلاق " لفظ الطبيعة " كمصطلح للدلالة على الأشياء المادية، والقوانين التي تحكم العلاقات بين هذه الأشياء، ولكننا إذا تأملنا في المعنيين، اللغوي والاصطلاحي، فسنجد بينهما قاسماً مشتركاً يتمثل في صفة " الثبات "، فقوانين الطبيعة كعادات الإنسان، تشتركان في هذه الخاصية "، وهذا ما يبرر استخدام العلوم الطبيعية في الفكر الإسلامي بلا حرج.

ب - اقترن مصطلح " العلوم الطبيعية " في العصر الحديث بالمادية العلمية، وهي الفلسفة التي سادت الحضارة الغربية منذ عصر النهضة، وكان لهذه الفلسفة تأثير كبير على مسار العلوم الطبيعية في أوروبا، ومن ثم في بقية العالم<sup>2</sup>.

ومن المقولات الفلسفية المادية التي سيطرت على العلماء الذين برزوا في ظل هذه الحضارة:

- اعتبار الإنسان جزءاً من الطبيعة، وإنكار تميزه عن الكائنات الطبيعية المادية.

- اعتماد مناهج العلوم الطبيعية فقط لتحصيل المعرفة، أما ما لا يمكن إدراكه بهذه المناهج فلا

قيمة له في نظرها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ص 20-21. ويعرف الشيخ البوطي الكون بأنه المظاهر الكونية التي نراها من حولنا. ينظر: مرجع سابق، ص 81.

<sup>2</sup> روبرت أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال الخلابي، ص 15.

<sup>3</sup> إم بوشنسكي، الفلسفة العاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قربي، ص 69-70.

ولكن ما ذكر لا يبرر التحفظ على المصطلح، فنشأته قديمة؛ استعمله اليونان ومن بعدهم المسلمون بمعنى محدد وهو دراسة الأشياء المادية والعلاقات التي تربط بينهما، ولا علاقة لهذا المفهوم بما يعتقدونه المفكرون المنتمون إلى المذاهب الفلسفية المادية.

إلا أن هذا المفهوم المحايد لا يمكن فصله عن القيم الثقافية التي تسود المجتمع الذي يظهر فيه<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يقول بورتواند راسل: "وكما هو المعتاد في حال كل نظرية علمية جديدة، كان هناك اتجاه من كل فيلسوف نحو تفسير أعمال اينشتاين على نحو يتفق ونظامه الميتافيزيقي، ولأن يقترح أن المحصلة هي نصر للآراء التي يعتنقها هذا الفيلسوف"<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس، فالمصطلح يمكن إخضاعه للرؤية الحضارية الإسلامية، إذا اتصف المسلمون بالفعالية، واستطاعوا استيعاب هذا الفرع من العلوم وصاغوه وفق القيم التي تحدد طبيعة حضارتهم.

وتجربة المسلمين في الأخذ من الحضارات الأخرى المشترك الإنساني، والتعامل معه وفق رؤيتهم الخاصة للكون والحياة والإنسان غنية، فالكندي كان يجعل الطبيعيات قسمين:

**الأول:** ما كان مركبا من مادة وصورة وهي الأجسام.

**الثاني:** ما كان مستغنيا عن الطبيعة، قائما بذاته غير محتاج إلى الأجسام، ومع ذلك يوجد مع الأجسام مواصلا لها بأحد أنواع المواصلة، وهو النفس، وبذلك ولأسباب دينية، يخالف أرسطو الذي كان يرى أن الطبيعة تشمل الأجسام التي تتحرك وتنمو وتكون وتفسد بذاتها من جماد ونبات وحيوان وإنسان<sup>3</sup>.

وما نخلص إليه من خلال هذا أن مصطلح "العلوم الطبيعية"، لا يحمل أية دلالات فلسفية منافية للرؤية الحضارية الإسلامية، فقد استخدم في الحضارة الإسلامية وحمل من المعاني ما يتناسب وتصوراتها للكون والإنسان.

<sup>1</sup> فيليب فرانك، فلسفة العلم: الصلة بين العلم والفلسفة، ترجمة: علي علي ناصف، ص221.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص223؛ عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد: فقه التحيز، ص39.

<sup>3</sup> فاطمة إسماعيل، مرجع سابق، ص96؛ وينظر: سيد حسين نصر، مرجع سابق، (كله).

ومن الجدير بالذكر أن التطور العلمي في القرن العشرين يدعم الاتجاه غير المادي، يقول هايزنبرغ: " إن الفيزياء الذرية قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر"<sup>1</sup>.

### المطلب الخامس: العلم والتكنولوجيا:

لقد صاحب التطور في موضوع " العلوم الطبيعية "، تقدم هائل في الوسائل التقنية، التي يسرت سبل الحياة الإنسانية، فما هي العلاقة بين العلوم الطبيعية والتقنية؟

#### 1- تعريف التقنية (التكنولوجيا):

تعني ذلك العلم التطبيقي الصناعي الذي يتم تحصيله بواسطة الأجهزة العلمية، وتقوم على تحويل القوانين والاكتشافات العلمية التي تحكم العالم الطبيعي إلى منجزات واقعية<sup>2</sup>.

#### 2-علاقة العلوم الطبيعية بالتكنولوجيا:

يتضح من التعريف أن العلم هو الأساس الذي تقوم عليه التقنية، فالعلم يتناول الجانب النظري، أما التكنولوجيا فهي الجانب التطبيقي للعلم.

#### 3. الغرض من التكنولوجيا:

يمكن تلخيص الغرض من التكنولوجيا في الأمور الآتية:

- أ- تسخير المعرفة الإنسانية في مجال الطبيعة للحاجات البشرية العملية<sup>3</sup>.
  - ب- توفير الوسائل التي يستعين بها الإنسان في عمله الاقتصادي أو العلمي<sup>4</sup>.
- ولقد تحققت هذه الغايات إلى حد بعيد، فالتقدم العلمي أثمر وسائل تكنولوجية فائقة الدقة، مكنت الإنسان من تيسير حياته، وتلبية الكثير من حاجياته، فوسائل النقل من طائرات وسيارات... والأجهزة المنزلية، وغيرها من الوسائل وفرت على الإنسان جهودا كبيرة.
- ولكن هذه الايجابيات، صاحبها سلبيات ألحقت بالإنسان والطبيعة أضرارا بالغة؛ ففي الوقت الذي أبدعت فيه وسائل أدخلت البهجة على الإنسان ووفرت الراحة له، عرفت الإنسانية من

<sup>1</sup> روبرت أغروس وجورج ستانيسيو، مرجع سابق، ص16.

<sup>2</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص92.

<sup>3</sup> توبي أ هف، مرجع سابق، ص264.

<sup>4</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، نفس الصفحة.

وسائل الدمار كالأسلحة الفتاكة، ومن تلوث البيئة، ومن استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ما جعلها تعاني من الثورة المعرفية والتقنية الحديثة. وهذا ما يدعو للتساؤل :  
ما سبب الأضرار الناجمة عن العلم؟ أهو العلم أم الرؤية الفلسفية التي يقوم عليها العلم في ظل الحضارة الغربية؟

الإمام الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

## الفصل الثاني:

### العلم الحديث ومشكلاته

المبحث الأول: نشأة العلوم الطبيعية.

المبحث الثاني: أسس العلوم الطبيعية الحديثة.

المبحث الثالث: صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم.

المبحث الرابع: أزمة العلم الحديث أو مشكلات العلوم الطبيعية

الحديثة.

## تمهيد:

لقد أثرت العلوم الطبيعية الحياة الإنسانية بمعارف جديدة حول الظواهر الطبيعية، وتمكن الإنسان باستغلالها من اختراع أدوات وأجهزة ذلل بها الكثير من الصعاب، ولكن هذا التطور أفرز سلبيات ومخاطر لم تعرفها الإنسانية من قبل.

وإزاء هذه الحالة التي عليها العلوم الطبيعية، يجب أن نطرح السؤال الآتي:

كيف تكون العلوم الطبيعية مهددة للإنسانية في وجودها، وأول آية قرآنية نزلت تنوه بالعلم وتدعو إليه؟

إن ما أفرزته العلوم الطبيعية من آثار سلبية، جعلت بعض العلماء يحذرون من أن اطراد التقدم العلمي والتقني، بنفس الوتيرة التي عرفتها الإنسانية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، سيؤدي إلى القضاء على الحضارة الإنسانية<sup>1</sup>.

فما هي العوامل التي جعلت العلم سبباً للعديد من المخاطر على الإنسانية؟

إن الإجابة على هذا السؤال، تقتضي دراسة حالة العلم في العصر الحديث، والايولوجيا الحاكمة له، لتحديد العناصر التي ساهمت في دفع العلم وتطبيقاته، نحو ما يتنافى مع مصلحة الإنسان.

وهذا ما نحاول الإجابة عنه من خلال المباحث الآتية:

. نشأة العلوم الطبيعية الحديثة.

. أسس العلوم الطبيعية الحديثة.

. صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم.

. أزمة العلم الحديث.

<sup>1</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص 35.

## المبحث الأول: نشأة العلوم الطبيعية الحديثة:

يحدد العديد من أروحا للعلوم الطبيعية، بداية نشأتها بالقرن السابع عشر الميلادي، وبالتحديد مع أبحاث غاليليو (1564-1642م).<sup>1</sup>

ويتفق هؤلاء الباحثون، على أن ما يميز مرحلة -ما بعد غاليليو- وهي مرحلة العلم الحديث، هو اعتماد العلماء على المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، وتخلصهم من الرؤى الميتافيزيقية التي تشتمل على المفاهيم الأرسطية والتصورات اللاهوتية المسيحية.

ومما يوضح نوعية التفكير التي كانت سائدة في الغرب قبل بزوغ فجر العلم الحديث، هذا المثال الذي ذكره الجابري، من أن كبلر الذي عاش في الفترة (1571-1630م)، كان يعتقد أن على الكواكب أن تتخذ شكلا اهليلجيا في حركتها حول الشمس، لأن هذا الشكل هو الأنسب، فهو يحاكي شكل البيضة، وبما أن البيضة هي أصل الحياة، فإنها في نظره هي المؤهلة دون غيرها لتمثيل حركة العالم الحقيقية.<sup>2</sup>

ويقارن نظمي سالم بين العلم عند اليونان، والعلم الحديث فيقول إن جهود اليونان العلمية منصبة على العلوم الاستنباطية كالرياضيات والمنطق؛ فالتفكير عندهم يبدأ بالمسلمات المفروضة، ثم يستنبطون منها ما يمكن استنباطه من نظريات، وبالتالي فصحة التفكير عندهم متوقفة على صحة استدلال النظريات من المسلمات الأولى، ولا شأن لهم بالطبيعة، بخلاف العلوم الحديثة التي تعتمد على المنهج التجريبي.<sup>3</sup>

ولكن الملاحظ في كتابات هؤلاء، أنهم أهملوا حقبة تاريخية مهمة، وهي الفترة التي سادت فيها الحضارة الإسلامية؛ فالدكتور محمد عزيز نظمي سالم أشار إلى الحضارات القديمة؛ حضارة الأشوريين والمصريين واليونانيين في معرض حديثه عن تطور العلوم الطبيعية<sup>4</sup>، ولم يتطرق بأي شكل من

<sup>1</sup> عبد الله العمر، طاهرة العلم الحديث، ص 5.

. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ص 229؛ محمد عزيز نظمي سالم، المنطق الحديث وفلسفة العلوم ومناهج البحث، ص 164؛ فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 52.

<sup>2</sup> الجابري، مرجع سابق، ص 230.

<sup>3</sup> محمد عزيز نظمي سالم، مرجع سابق، ص 164.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 163.

الأشكال لما عرفته الحضارة الإسلامية من اهتمام بالعلم والعلماء، ومن تطور هذه العلوم في ظل هذه الحضارة، رغم أن التطور العلمي في أوروبا هو امتداد واستمرار لما بدأه المسلمون وطوروه، يقول برانتل: "إن روجيه سيكون أخذ كل النتائج المنسوبة إليه في العلوم الطبيعية من العرب"<sup>1</sup>.

ولقد أثبت العديد من الباحثين أن للحضارة الإسلامية دورا كبيرا في توجيه الحضارة الغربية والفكر الأوربي، الوجهة التي اتخذتها عندما أخذ الأوروبيون منها المنهج التجريبي والمعارف التي توصل إليها المسلمون في العلوم والرياضيات<sup>2</sup>.

ومما يدعم ما سبق، النشأة المبكرة للعلوم الطبيعية في ظل الحضارة الإسلامية، والتي تعود للقرن الأول الهجري<sup>3</sup>.

فالبينة الحضارية الإسلامية بيئة ملائمة لهذا النوع من العلوم، بما تمتلكه من مقومات وخصائص تشجع على البحث لاستكشاف عالم الطبيعة.

#### أ- عوامل نشأة العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية:

يرجع فؤاد سزكين عوامل النشأة المبكرة للعلوم الطبيعية، إلى ما يلي:

1. تكون المجتمع الإسلامي من بيئات شتى، وثقافات مختلفة، وألسنة متباينة، مما أدى إلى تواصل المدارس ببعضها البعض وتلاقح أفكارها.

2. وراثته العرب جغرافيا للآراميين وغيرهم، ولم يكونوا معزولين عن أصحاب الثقافات الأخرى.

3. بدء الترجمة في القرن الأول الهجري، وليس مع بيت الحكمة كما هو شائع<sup>4</sup>.

وإذا تأملنا في طبيعة الحضارة الإسلامية، التي تأسست على أسس دينية، أمكننا أن نضيف إلى العوامل الخارجية التي ذكرها سزكين، عوامل داخلية شكلت - ولا تزال - الدافع القوي للاهتمام

<sup>1</sup> فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم، ص 19.

<sup>2</sup> محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص 126.

<sup>3</sup> فؤاد سزكين، مرجع سابق، ص 33.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 12 - 13.



بهذا النوع من العلوم؛ فالتمكن منها يقتضيه الالتزام بما كلف الله عز وجل به المسلمين، ومما يدل على ذلك:

- اعتناء القرآن الكريم بتوجيه المسلمين للبحث في الحقائق الكونية، وفي المعارف التجريبية<sup>1</sup>.
- ربط العبادات الأساسية في الإسلام بالظواهر الكونية، ويتجلى ذلك في هذه العبادات الثلاثة ذات الطبيعة الدينية البحتة، ولكن أداءها يتطلب قدرا من المعرفة ببعض الظواهر الكونية، وهذه العبادات، هي:

1. الصلاة: وهي أعظم ركن في الإسلام، ربطها الله عز وجل بظاهرة كونية، تتمثل في حركة الشمس، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَجْعَلِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَوْجِبًا مِّنَ الصَّلَاةِ لِيَأْتُوا بِذِكْرِ اللَّهِ - فَذِكْرُنَا إِلَى الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾<sup>2</sup>.

2- الصيام: يبدأ شهر الصيام بظهور الهلال، وله وقت محدد، يتمتع فيه الإنسان عن الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات، ولما كان بعض الناس لا يقدر على تحمل الصوم، فإن ذلك من شأنه أن يدفع للتساؤل: من يستطيع الصوم ومن لا يستطيع؟ وهل المدة المقدرة للصيام تناسب مع طبيعة الإنسان؟ والإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، لا تتعلق بالجانب الفقهي فقط، وإنما تتطلب إجابات تتعلق بطبيعة الإنسان البيولوجية.

3- الجهاد في سبيل الله: فريضة دينية، تقتضي دراسة المناطق الجغرافية، والأوقات المناسبة، للقيام بهذه الفريضة، دفاعا عن الإسلام، وتحريرا للأراضي، وردا للعدوان.

ومن خلال هذا العرض، للترابط بين بعض العبادات والكون الذي يحيا فيه الإنسان، يمكن الاستنتاج أن الإسلام أوجد لدى المسلمين الاستعداد والرغبة للكشف عن المعارف المتعلقة بالطبيعة، وهذا ما جعلهم يقبلون على دراسة هذه العلوم، ويبحثون في الظواهر الطبيعية.

والعلوم الطبيعية في العصر الحديث، هي امتداد للتطور العلمي الذي شهده المسلمون، ولكنها في القرون الأربعة الأخيرة عرفت تطورا كبيرا، إذ استطاع العلماء في ظل الحضارة الغربية أن

<sup>1</sup> محمد موسى بابا عمي، مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان، ص50. وستناول هذا الموضوع بتفصيل في الفصل الثالث.

<sup>2</sup> الإسراء: 78.

يحققوا نتائج باهرة في مجال الكشف عن الطبيعة، ويجولوا الكثير من المعارف المكتسبة إلى منجزات مادية.

## ب- عوامل نشأة العلم الحديث:

يذهب العديد من المفكرين المسلمين، إلى القول بأن سبب نهضة أوروبا علمياً، يتمثل في أخذها عن المسلمين العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة<sup>1</sup>، وهذا الرأي يوحي بأن اقتباس المنجزات الحضارية من حضارة ما كفيلاً بتحقيق النهوض الحضاري والتقدم العلمي، وهو ما لم يتحقق للمسلمين في العصر الحديث، فقد أرسل محمد علي في منتصف القرن التاسع عشر البعثات العلمية إلى أوروبا، وحاول النهوض بالقطاع الصناعي والعسكري، ولكن محاولاته لم يكتب لها النجاح<sup>2</sup>، مما يدل على أن الاقتباس، إن لم يجد الأرضية المناسبة، فلن يغني الأمم شيئاً.

وعلى هذا الأساس، فالعوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى التقدم العلمي والنهوض الحضاري، وهو ما تبين لنا عند التطرق للعوامل التي أدت إلى نشأة العلم في الحضارة الإسلامية، وهو كذلك ما تكشف عنه الظروف التاريخية التي نما في ظلها العلم الحديث.

وفيما يلي بيان لأهم العوامل التي ساهمت في ظهور العلم الحديث:

1- التحرر من القيود الكنسية والميتافيزيقية التي كانت طاغية قبل القرن السابع عشر، ووضع الكثير من المقولات والمسلمات الفكرية المسيحية عن العالم موضع التساؤل، وقد ساهم في ذلك نشر الآداب والكتابات الكلاسيكية، التي كسرت الجمود الذي كان سائداً في القرون الوسطى<sup>3</sup>.

2- ظهور المؤسسات المستقلة المخصصة للتعليم العالي، التي أخذت بمجموعة أساسية من القراءات والمحاضرات ذات الطبيعة العلمية في أساسها، وقد تميزت هذه الجامعات بالقوة المنهجية، والغنى الميتافيزيقي، حيث استبدلت النظرة القديمة للكون، على أنه يتسم بالرتابة، بنظرة جديدة،

<sup>1</sup> ينظر: محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ص8؛ فؤاد سزكين، مرجع سابق، ص18-19.

<sup>2</sup> برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ص5-6.

<sup>3</sup> توبي أ هف، فجر العلم الحديث: الإسلام-الصين-الغرب، ص360؛ عبد الله العمر، مرجع سابق، ص78، ص94.

تتميز بالدينامكية، واعتمد على المنهج العلمي القائم على السببية، وهو المنهج المناسب لدراسة الطبيعة<sup>1</sup>.

إن هذا التحول النفسي والاجتماعي، قد هيا الأورويين لقبول العلم، وإعطائه المكانة العالية في سلم القيم الاجتماعية، وعلى أساس هذا التحول، استفادوا مما أخذوه من المسلمين وطوروه، وخاصة في الجانب المنهجي.

عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

---

<sup>1</sup> عبد الله العمر، المرجع نفسه، ص84.

## المبحث الثاني: أسس العلوم الطبيعية الحديثة:

يعتقد بعض الباحثين، أن العلم بصفة عامة، ومنها العلوم الطبيعية، يتصف بالحيادية، ولا يخضع لاختلاف الجنس أو السلالة أو اللغة أو الدين<sup>1</sup>.

فإلى أي مدى تصدق هذه الصفة . أي الحيادية . على العلوم الطبيعية، التي نمت في ظل الحضارة الغربية؟

للإجابة على هذا السؤال، ننتقل من مثالين، لنحدد ما تتضمنه العلوم الطبيعية، ومن ثم بيان ما إذا كانت هذه العلوم غير مجردة من التصورات الفلسفية، التي تنبثق منها المنطلقات والغايات، أم أنها حيادية تتوافق مع كل الثقافات؟

المثال الأول: عندما انتهى الاستنتاج الرياضي إلى أن مجموع طاقتي الموضع والحركة لجسم ما يساوي مقداراً ثابتاً، وأمكن إثبات "إمكانية تحول إحدى صور الطاقة إلى صورة أخرى، كأن تتحول طاقة الموضع إلى طاقة حركة، والعكس بالعكس، بحيث يظل مجموعهما ثابتاً، أطلق على هذا القانون اسم "قانون بقاء الطاقة"<sup>2</sup>.

ففي هذا القانون نقطتان:

- الأولى: تتعلق بالقانون المكتشف، ومضمونه أن "كمية المادة أو الطاقة ثابتة"، فهذه مسألة علمية، تأييدها أو دحضها يخضع للمنهج التجريبي، ولا علاقة لها بأي مذهب فلسفي.

- أما الثانية، فتتعلق بما سمي به هذا القانون، فالاصطلاح عليه "قانون بقاء الطاقة"، يوحي بالمقولة الفلسفية التي تدعي أن المادة أزلية، وهي الفكرة الأساسية في المذهب المادي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العلوم عند العرب، بقلم التحرير، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، ص 6؛ فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص 10.

<sup>2</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص 44.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 4544.

المثال الثاني: مصطلح الانفجار العظيم، أطلقه "هوبل" على التصور الذي قدمه العالم البلجيكي "جورج لوماتر" لبداية الكون، بديلاً لمصطلح الخلق"، لأن هذا المصطلح الأخير لا يعبر عن الفلسفة المادية التي يؤمن بها.<sup>1</sup>

ومن هذين المثالين نخلص إلى أنه يجب التمييز بين أمرين:

1. موضوعية الحقيقة والسنن والطبائع، فهذه لا تخضع إلا لمنهج واحد، والعلم من هذا الجانب يتسم بالوحدة.

2. ذاتية الاستخدام الإنساني والاجتماعي للحقائق والسنن والطبائع، فالعلم من هذه الزاوية، مرتبط بالفلسفة، فهي التي تحدد تصوراتها وغاياتها.<sup>2</sup>

فالعلوم الطبيعية لا تتعامل مع الكليات أو المطلقات أو الغائيات، وإنما تتعامل مع الجزئيات والإجراءات، وتترك القيمة والصدق والغاية للإنسان، يحددها كيفما تملي عليه معتقداته.<sup>3</sup>

وهذا ما يدل عليه واقع العلوم، فهي ليست دراسات عشوائية في طبائع المواد والكائنات، وإنما هي دراسات وعلوم تنبعث من غايات وتصورات ذاتية للإنسان، وتسعى إلى تحقيق تلك التصورات والغايات.<sup>4</sup>

ومن هذا المنطلق، يجب أن نضع ما أنتجته الحضارة الغربية من معارف في مجال العلوم الطبيعية في إطاره الصحيح، فنبحث عما تنطوي عليه من قيم وتوجهات وتصورات، تتعلق بالإنسان والكون والحياة والغاية من الحياة والدين، وهذا ما سنبحثه في هذا المبحث من خلال بيان أسس العلوم الطبيعية.

<sup>1</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، مرجع سابق، ص 197.

<sup>2</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 203 إلى 205، إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، ص 10.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز: فقه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، ص 39.

<sup>4</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 204.

## الأساس الأول: المادية:

المادية مذهب فلسفي، يَعتبر المادة الشرط الوحيد للحياة، ومن ثم يرفض الإقرار بوجود الله، وينكر ما أخبرت به الأديان من وجود عناصر غير مادية<sup>1</sup>.

وهي مذهب قديم، تعود جذوره إلى ديموقريطس (370. 460 ق م)، الذي يرى أن الأجسام تتحدد عبر ما يعرف بالصفات الأولية، مثل: ملء الخلاء والكثافة والصلابة والتراخي، أما اللون والرائحة والطعم، فهي صفات ثانوية ذاتية، تُضاف إلى الأجسام من خلال الإدراك، ولا يستثنى من هذا التصور أي شيء<sup>2</sup>.

أما في العصر الحديث، فقد برزت مع الرؤية النيوتينية للكون، التي تستند إلى الحتمية الميكانيكية، وترى أن الأشياء جميعاً قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب، ومالا يقبل التفسير المادي فهو وهم من الأوهام<sup>3</sup>.

وتتلخص مقولات الفلسفة المادية، فيما يأتي:

- أ . الإيمان بوحدة الطبيعة، فالأشياء كلها ذات خصائص متماثلة.
- ب . الإيمان بقانونية الطبيعة، فنفس السبب يؤدي إلى نفس النتيجة.
- ج . الإيمان بأن الطبيعة بأسرها، تخضع لنفس القوانين المنتظمة الحتمية المطردة والآلية.
- د . نفي الغائية عن العالم المادي.
- هـ . نفي وجود أي غيبيات أو تجاوز للنظام المادي، فالطبيعة هي علة ذاتها، لا تفتقر في وجودها لوجود آخر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 16.

<sup>2</sup> بيتر كونزمان وزملاؤه، أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، ص 33.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 22.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 15. 16.

## 1. أثر المادية في العلوم الطبيعية:

لقد كانت الرؤية المادية، هي المسيطرة على العلم في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر<sup>1</sup>؛ وتتجلى هذه السيطرة في الافتراضات المعرفية والمنهجية التي أطرت العلوم الطبيعية، والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أ . اعتبار المادية جزءاً من الأسلوب العلمي، وقد ترتب على ذلك، تطبيق منهج الفيزياء والكيمياء ليشمل علوم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد<sup>2</sup>.

ب . النظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي، لا يتميز عن الظواهر المادية، فهو جزء لا يتجزأ من الطبيعة<sup>3</sup>، وقد ترتب على ذلك تفسير تصرفاته بلغة الغريزة والفيسيولوجيا(علم وظائف الأعضاء) والكيمياء والفيزياء، فأقصيت حرية الإرادة، بحجة أن المادة تتصرف بضرورة ميكانيكية<sup>4</sup>.

ج . اعتبار الجمال والغائية والألوان والمذاقات والأصوات من الأمور الذاتية، فلا صلة لها بالعالم الحقيقي، الذي يشتمل فقط على ما يمكن قياسه، والتعامل معه بلغة الرياضيات<sup>5</sup>.

د . ساد الاعتقاد بأنه يمكن وصف العالم من غير التحدث عن الله، أو عن أنفسنا، على أساس أن المادة التي هي الحقيقة الوحيدة، تخضع لنظام ميكانيكي لا يتخلف<sup>6</sup>.

ولقد ارتكز العلماء على الفيزياء النيوتينية لتأييد المذهب المادي، حيث قدم العلماء الأوائل، كديكارت وغاليليو ونيوتن، تصورا للكون يعتمد على الآلية؛ فهو في نظرهم شبيه بألة معقدة تتحرك بقوانين ثابتة، وبالتالي فلا ضرورة تدعو إلى الإيمان بالله عز وجل<sup>7</sup>، وقد عبر لابلاس(1749-1827) عن هذا الموقف لما قال: " لو استطاع عقل أن يعلم في لحظة معينة جميع القوى التي تحرك الطبيعة وموقع كل كائن من الكائنات التي تتكون منها، ولو كان ذلك العقل من السعة بحيث

<sup>1</sup> روبرت م أغروس وج ستانسيو، مرجع سابق، ص16.15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص20؛ فيليب فرانك، مرجع سابق، ص294.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحدائثة والعمولة: حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حربي، ص38.

<sup>4</sup> ر م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص25.26.

<sup>5</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص293.

<sup>6</sup> ر م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص72 إلى 76.

<sup>7</sup> مهدي كلشني، من العلم العلماني إلى العلم الديني، ص26؛ وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص42.

يستطيع إخضاع هذه المعطيات للتحليل، لاستطاع أن يعبر بصيغة واحدة عن حركة أكبر الأجسام في الكون، وعن حركات أخف الذرات وزنا، وكان علمه بكل شيء علما أكيدا، ولأصبح المستقبل أمام نظريته كالحاضر تماما<sup>1</sup>.

فإلى أي مدى يتصف التصور المادي للكون بالعلمية؟

إن القول بأن الحقيقة الوحيدة هي المادة، لا يمكن إثباتها بالمنهج التجريبي الم<sup>3</sup> معتمد في العلوم الطبيعية، ولا يمكن إخضاعها له لمعرفة مدى صحتها، فالمنهج التجريبي يتعامل مع أجزاء من الطبيعة، أما التصور الكلي للكون والوجود فهو عمل عقلي بحت؛ فلا نستطيع أن نحدد ما إذا كان الوجود هو مادة وحسب، أم أن هناك عوالم أخرى ذات طبيعة غير مادية، اعتمادا على الملاحظة والتجربة، فما نراه ليس هو الوجود كله، ودليل ذلك ما تكتشفه العلوم الطبيعية من عوالم، لم يكن أحد يتصور وجودها فيما مضى من الزمن.

ولكن لما كان من غير الممكن، فصل العلوم الطبيعية عن الأفكار الفلسفية التي يعتنقها العالم، أو الوسط العلمي الذي ينتمي إليه، لكونها ضرورية لتفسير المواد والحقائق العلمية المكتشفة، وكانت المادية هي التي تشكل الخلفية الفلسفية للعلوم الحديثة، اعتبرت علمية، ومما رسخ هذه الفكرة صياغة القوانين العلمية وتفسيرها وفق الرؤية المادية<sup>2</sup>.

وهذا المثال الذي ذكره المسيري، يوضح لنا العلاقة الكامنة بين العلم والمادية، مما جعل هذه الأخيرة تظهر وكأنها فكرة علمية؛ فالعالم إن نظر في حركة النواة، ووجد أنها تتحرك خارج أي نمط معروف لديه، فبوسعه أن يقول "العالم فوضي وخاضع للصدفة"، ولكن بوسعه أن يقول "العقل الإنساني محدود، فهو غير قادر على الإحاطة بكل شيء في الكون"، وقد شاعت المقولة الأولى، بسبب النموذج المعرفي الكامن وراء العلم الغربي، مع أن المقولة الثانية ذات مقدرة تفسيرية عالية<sup>3</sup>.

أما ما أقامت عليه الفلسفة المادية بنيانها في العصر الحديث، وهو اكتشاف بعض القوانين الثابتة التي يخضع لها بعض أجزاء الكون، فلا ينهض دليلا على أن الكون مادي؛ فالعثور على

<sup>1</sup> بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد زكريا، ص78.

<sup>2</sup> سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ت: سيف الدين القصير، ص11.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، فقه التحيز، مرجع سابق، ص86.



ميكانيكية أي مادة، لا يعني أن المادة ذاتية التسيير، إذ يحتمل أن يكون وراء هذه الميكانيكية من يسيرها ويحفظ ثباتها، فلماذا تستبعد هذه الفرضية؟ ثم إن الكشف عن بعض القوانين، لا يعني أن الكون كله يسير بنفس الطريقة، وهذا ما يؤكد العلم في القرن العشرين.

وعلى هذا الأساس تدرج الافتراضات المادية، ضمن التفسير الميتافيزيقي للعلم، وليس ضمن العلم ذاته.

إلا أن هذا التفسير الميتافيزيقي، يبين حاجة الإنسان إلى المعرفة الكلية حول الكون والإنسان والحياة، ولما كانت المعرفة الموثوق بها في الغرب، هي فقط المعرفة العلمية القائمة على المنهج التجريبي، فقد حاول المفكرون إشباع حاجتهم المعرفية، بتعميم النتائج العلمية، لتشكيل صورة كلية، تجيب على الأسئلة الفطرية لدى الإنسان، وهذا النص المقتبس من كتاب فيليب فرانك، يؤكد لنا ذلك، يقول: "إن التأكيد على أن الكتل المادية هي وحدها الشيء الحقيقي ليس مرتبطا بالفيزياء النيوتينية ارتباطا لا ينفصم عراه، فقد كان هناك في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، مدرسة الطاقين، التي يؤمن أصحابها، بأن الطاقة هي الحقيقة الوحيدة في الفيزياء...، وظهر علماء آخرون، أكدوا أن الحقيقة الوحيدة في فرع الكيمياء الذرية، تتألف من أمواج دي برولي"<sup>1</sup>.

وهذا العجز عن تقديم تفسير للكون يتسم بالثبات أمر منطقي؛ إذ ليس من اختصاص العلوم الطبيعية أن تبين لنا: لماذا وجدت هذه العوالم؟ وما حقيقة الكون؟ وهل توجد عوالم أخرى غير العالم المنظور؟ فالعلوم الطبيعية تحاول فقط أن تفسر لنا: كيف تحدث الأشياء؛ فتقدم لنا نظريات عن النجوم والذرات وغيرها من العوالم<sup>2</sup>.

وعلى هذا، يجب الفصل بين المادية كمذهب فلسفي، والعلوم الطبيعية التي تتناول عالم المادة بالدراسة والبحث، لأجل الكشف عن القوانين الطبيعية.

وإذا استرجعنا التاريخ الأوروبي، فسنجد أن أهم عامل ساهم في سيطرة المادية على العلم الأوروبي، يتمثل في التناقض بين الموروث الديني للكنيسة المتعلق بوصف العلم، وما اكتشفه العلم من

<sup>1</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 294.295.

<sup>2</sup> جون كلوفر مونسيما، الله يتحلى في عصر العلم، ت: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص 34.

ظواهر وقوانين، مما جعل العلاقة بين الدين والعلم في المنظومة الحضارية الغربية تتسم بالعداء والرفض المتبادل<sup>1</sup>.

## 2. العلوم الطبيعية في القرن العشرين والمادية:

اكتشف العلم في القرن العشرين عوالم جديدة، كالذرة ومكوناتها، والفضاء الفسيح، وتقدم في مجال دراسة الإنسان، ولقد كان لكل ذلك أثر على النظرة الكلية للكون؛ إذ استنتج العلماء من خلال هذه الاكتشافات أن المادة ليست هي الحقيقة الوحيدة، وأن الإنسان كائن متميز بالعقل، يقول هنري مارجينو: "العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة، وهذا رأي كان مقبولاً بعض القبول في آخر القرن الماضي (أي في القرن 19)، غير أن أموراً كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي"<sup>2</sup>.

ومن هذه التطورات العلمية التي حدثت في القرن العشرين:

. أظهرت تجارب بنفيلد أن الإنسان يتميز بالإرادة، وهي شيء غير مادي، ومن هذه التجارب؛ أنه قام بعرض مجموعة من الصور على مريض، وكان المريض يسمي كل صورة باسمها الدقيق، ثم وضع قطبا كهربائيا على قشرة المخ الخاصة بالنطق، فظل المريض صامتا للحظات، ثم طقطق بأصابعه كما لو كان غاضبا، ولما سحب منه القطب الكهربائي، قال المريض: الآن أقدر على الكلام، إنها فراشة، لم أكن قادرا على الكلام.

ولقد توصل بنفيلد بعد هذه التجربة وغيرها، أنه ما من عمل من الأعمال التي نعزوها إلى العقل قد ابتعثه التنبيه بالقطب الكهربائي، مما يعني أنه ليس في قشرة الدماغ أي مكان يستطيع التنبيه الكهربائي فيه أن يجعل المريض يعتقد أو يقرر شيئا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Maurice Bucaille, La Bible Le Coran et La science, pp33-54.

. عبد الله العمر، مرجع سابق، ص 62.41.

<sup>2</sup> روبرت م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص 16.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 35 إلى 38.

. أعادت ميكانيكا الكم الاعتبار للعقل بعد أن كان جل العلماء الطبيعيين ينكرون وجوده؛  
فعملية قياس أي من إحدائيات الإلكترون، تحدث في وضع الإلكترون تغيرا يختلف بحسب قياسنا  
للموقع أو للزخم<sup>1</sup>.

. نفى التطور العلمي فكرة أزلية المادة، باكتشافه توسع الكون، مما يعني أن له بداية، وهو ما  
أطلق عليه "الانفجار العظيم"<sup>2</sup>.

. لا حظ بعض الفيزيائيين، الدقة المذهلة الموجودة في قيم الثوابت الفيزيائية، مما أدى إلى  
الاستنتاج أن الكون قد اختيرت خاصياته بدقة مذهلة، لضمان ظهور الإنسان عند زمن ما من  
تاريخ الكون، وهو ما يصطلح عليه "المبدأ الأنثروبي"<sup>3</sup>.

إن هذه الاكتشافات أعادت الاعتبار للعديد من القضايا التي أنكرها العلماء باسم العلوم  
الطبيعية في القرنين الماضيين، "فجعلت بعض العلماء الطبيعيين ينسجون الخيوط بين علومهم والقيم  
العليا في حياة الإنسان: الله، الروح، حرية الإرادة..."<sup>4</sup>

ولكن هذا التطور العلمي، لم يؤثر إيجابيا في الواقع العلمي، وفي تطبيقات العلوم؛ ففي القرن  
العشرين، ظهرت الأبحاث اللاأخلاقية للهندسة الوراثية، وتطورت الأسلحة الفتاكة، ولوثت البيئة...

فلقد تحدث مؤلفا كتاب "العلم في منظوره الجديد"، باستفاضة عن التطورات العلمية، وما  
ترتب عنها من نتائج أعادت للقيم مكانتها الطبيعية في حياة الإنسان، إلا أن المقارنة بين هذا  
الحديث الموثق في كل فصول الكتاب، وبين الواقع العلمي، تستدعي التساؤل عن جدوى اتخاذ  
العلوم الطبيعية مصدرا لاستخلاص وتثبيت القيم العليا الموجهة للعلم وتطبيقات العلم نحو الحق  
والخير من خلال التفسير الميتافيزيقي لنتائج العلوم.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 22.

<sup>2</sup> جمال ميموني وزميله، مرجع سابق، ص 195 إلى 240.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 292-293.

<sup>4</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 288.

والنتيجة التي نخلص إليها، هي أن المادية التي ارتكزت على العلوم الطبيعية، لتأييد تصوراتها، لم تصمد أمام التطور العلمي الذي كشف، أن الكون أكبر وأوسع من الكون الذي صورته لنا، وبذلك فهي لا تمثل الحقيقة المطلقة، وإذا كانت قد سيطرت على التفسيرات والصياغات النظرية للعلوم الطبيعية، وكانت هي الموجهة للعلوم التطبيقية، فالسبب يعود إلى خلو البيئة التي نمت فيها العلوم الطبيعية في العصر الحديث، من رؤية كلية، تحمل إجابات مقنعة ومطمئنة وغير متناقضة، مع ما يكشف عنه العلم، وعليه "الفلسفة المادية ذاتية ووليدة بيئتها، فمن غير المعقول تعميمها، بل الواجب نقضها لما جلبته من فوضى واضطراب في حياة الإنسان، وفي مملكات الطبيعة الثلاث، أي مملكات الحيوان والنبات والجماد"<sup>1</sup>.

### الأساس الثاني: المنهج التجريبي:

يعتبر العلم الحديث المنهج التجريبي، الذي دعا إليه فرانسيس بيكون (1561 . 1626) نظرياً، وأرسى دعائمه غاليليو عملياً، المنهج الشرعي الوحيد الممكن لدراسة الطبيعة<sup>2</sup>، يقول بيير بلانشي: "إن صدق أو كذب قول من الأقوال، لا يمكن تقريره إلا باللجوء إلى التجربة، أي إلى الملاحظة بشكل مباشر أو غير مباشر، وهذه هي المصادرة الأساسية في كل علم تجريبي، وهي بهذه الصورة ليست عرضة للمناقشة"<sup>3</sup>.

والمنهج التجريبي يشتمل على المراحل الآتية:

أ. الملاحظة: وتعني توجيه الحواس لظاهرة معينة، لكسب معرفة جديدة عن تلك الظاهرة، تتعلق بصفاتهما أو خصائصها<sup>4</sup>.

ب. التجربة: أي ملاحظة الظاهرة بعد تعديلها كثيراً أو قليلاً، بإضافة بعض الفروض بغرض الكشف عن خصائص الظاهرة، التي لا يمكن ملاحظتها في الظروف الطبيعية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سيد محمد نقيب العظاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ت: محمد الطاهر الميساوي، ص155.

<sup>2</sup> محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص264؛ ر م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص111؛ سيد حسين نصر، مرجع سابق، ص94.

<sup>3</sup> بيير بلانشي، مرجع سابق، ص111.

<sup>4</sup> محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ص45

ج . فرض الفروض: هو عبارة عن محاولة للتفسير، وظيفتها أن تربط بين عدد من الملاحظات والتجارب، وتكشف عن بعض العلاقات الثابتة بين تلك الملاحظات، ومتى ثبت صحة التفسير، أصبح قانوناً عاماً يمكن الرجوع إليه، لتفسير جميع الظواهر التي تمتلك نفس خصائص الظاهرة التي أوحى لنا بوضعه، أما إذا ثبت بطلانه فيجب البحث عن تفسير آخر<sup>2</sup>.

د . تحقيق الفروض: ويتم ذلك بالطرق الاستقرائية، وهي طرق مباشرة تعتمد على الملاحظة والتجريب، حيث يبحث عن حالات جزئية تؤكد صحة الفروض الموضوعية لتفسير الظاهرة، وبذلك يصل الفرض إلى مرتبة القانون<sup>3</sup>.

ولقد حقق هذا المنهج نتائج باهرة في مجال معرفة الطبيعة، والكشف عن كثير من القوانين التي تفسر وفقها الظواهر الطبيعية، مما يدل على فعالية هذا المنهج وقيمه العلمية.

ولكن نجاح هذا المنهج أدى إلى افتراضات، اعتبرها العلماء مسلمة لا تقبل النقض، رغم أنه لا يمكن الاعتماد على المنهج التجريبي، لإثبات ما إذا كانت صادقة أم خاطئة، ومن هذه المسلمات:

أ . استبعاد كل مالا يخضع للتكميم من مجال العلم، "ففي نظر العلم الحديث السمات الكمية للأشياء هي وحدها الحقيقة"<sup>4</sup>، وهذه النظرة فيتاغورية؛ ففيتاغورس (500.570 ق م)، كان يعتقد أن العالم عدد وتوافق أو نغم، ويرجع الاختلاف في الكيفيات إلى مجرد اختلاف في الكم<sup>5</sup>.

وقد تبني بعض المفكرين العرب هذه المسلمة، واعتبرها من الأسس التي يقوم عليها التفكير العلمي، رغم أن العلم في القرن العشرين تجاوزها واعتبرها مرحلة من مراحل التقدم العلمي<sup>6</sup>، يقول

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص46.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص48؛ محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، ص89.

<sup>3</sup> محمد محمد قاسم، مرجع سابق، ص90؛ عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، ص05.

<sup>4</sup> روبرت م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص100 و140.

<sup>5</sup> بيتر كوزنمان وزملاؤه، مرجع سابق، ص31؛ فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص134.

<sup>6</sup> ر م أغروس وزميله، مرجع سابق، (كله).

فؤاد زكريا: "التفكير العلمي يعمل على الكشف عما يوجد وراء المظهر السطحي للأشياء، وما وراءها ليس إلا النسب العددية التي هي حقيقة الأشياء"<sup>1</sup>.

ب. إنكار عالم الغيب: وهذه هي المسلمة الثانية الناتجة عن اعتبار المنهج التجريبي هو المنهج الوحيد الموصل إلى الحقيقة، وإنكار ما عداه من المناهج؛ فالمفكرون المنتمون إلى المناهج الفلسفية المنضوية، تحت تسمية الفلسفة المادية، يرون أن ما لا يمكن إدراكه بالمنهج التجريبي فهو وهم لا يستحق الاهتمام<sup>2</sup>.

إن هذين الافتراضين، يتسمان بطابع فلسفي؛ فالمنهج التجريبي وسيلة لدراسة الظواهر المادية الجزئية، ولا يمكننا أن نثبت به أو ننفي وجود عوامل أخرى، فذلك يتطلب البحث عن مصادر معرفية أخرى، توصل الإنسان إلى الحقيقة.

وقد ترتب على حصر المعرفة في المنهج التجريبي، اختزال الحياة الإنسانية في المطالب المادية، التي لا تتجاوز مطالب الغرائز، وتوظيف العلوم الطبيعية لتحقيق هذه المطالب دون غيرها من الحاجات الروحية، مما أنتج علما كسيحا وحقائق كسيحة<sup>3</sup>.

ومن النتائج التي ترتبت على هذه الرؤية المعرفية، التأثير سلبا على التدين؛ فالدين يعتمد لإثبات ركائزه الأساسية على المنطق العقلي، ويتم ذلك باستنباط الحقائق الكبرى في عالم الغيب من التأمل في عالم الشهادة، وكان من نتائج زعزعة القناعات الدينية تجريد الحياة الإنسانية من القيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية، "فأصبح العلم سلعة تكنولوجية يمكن لأي شخص أن يشتريها لأي غرض، وأصبح الكثير من العلماء مرتزقة يتكسبون بالعلم في أي مكان كما حدث للعلماء الذين عملوا للأهداف النازية والشيوعية والأمريكية"<sup>4</sup>.

ولقد كان لهذا الاعتقاد. أي الإيمان بالمحسوس فقط بحجة أن المادة هي الشيء الوحيد الذي يمكن التعامل معه بالمنهج التجريبي. رواج واسع بسبب الكم الهائل من المؤلفات والمقالات التي

<sup>1</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 135.

<sup>2</sup> إم بوشنسكي، مرجع سابق، ص 69-70.

<sup>3</sup> ابراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين الدين والعلم، ت: ماجد عرسان الكيلاني، مجلة الأمة، العدد: ربيع الأول،

1401هـ، ص 21

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 18.

تدعو إليه<sup>1</sup>، ولافتقار المنظومة الثقافية الأوروبية لمصادر معرفية تحوي إجابات مقنعة عن الأسئلة الفطرية رغم أن التأمل في المنهج التجريبي يكشف أن الاستنباط العقلي عنصر أساسي من عناصره؛ فالانتقال من استقراء حالات جزئية وإجراء التجربة عليها، إلى قانون عام يطبق على جميع الجزئيات والحالات المماثلة من صنع العقل وليس من صنع الحواس، فلماذا يحل استخدام الاستنباط العقلي في العلم، ولا يجوز استخدامه لإثبات الحقائق الدينية؟

وإذا استعرضنا مادة العلوم الطبيعية، فنسجد أنها تشتمل على أشياء كثيرة لا تجري عليها التجربة بحال، كالألكترونات وموجات اللاسلكي والراديو...، وإنما تعرف من خلال آثارها، يقول البروفيسور ماندير: "هناك حقائق كثيرة لا سبيل إلى معرفتها إلا بالاستنباط"<sup>2</sup>، فلماذا تقبل هذه الأشياء في العلم، ولا تقبل الحقائق الدينية التي تشهد عليها الآيات الكونية؟

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ لِمَنْ نَفَعِ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ حَيٍّ بِهِ الْحَيَاةُ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالْمُخْرَجِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>3</sup>.

وبناء على ما سبق، يمكن القول أن المنهج التجريبي، منهج مهم لدراسة الطبيعة، ولكنه ليس المنهج الوحيد للمعرفة، لكونه لا يلي جميع مطالب الإنسان المعرفية.

### الأساس الثالث: السيطرة على الطبيعة:

حصرت الحضارة الغربية وظيفة العلوم الطبيعية في تمكين الإنسان من السيطرة على الطبيعة، لإشباع حاجاته المادية، فهدف العلوم الطبيعية . حسب فرانسيس بيكون . يجب أن يكون النفعية، ويرى أن سبب الانحطاط والتخلف هو اشتغال الإنسان بأفكار وقضايا خاطئة<sup>4</sup>، والقضايا الخاطئة

<sup>1</sup> محمد جواد مغنية، مرجع سابق، ص19.

<sup>2</sup> وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص20.

<sup>3</sup> البقرة:164. ينظر تفسير هذه الآية في: الزمخشري مرجع سابق، ج 1، ص211.

<sup>4</sup> محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص238؛ محمد موسى بابا عمي، مقارنة في فهم البحث العلمي، ص28.

التي يقصدها بـيكون، تتمثل في المسائل الميتافيزيقية، التي كانت تشغل فكر القرون الوسطى في أوروبا<sup>1</sup>.

ولقد انعكس هذا التصور لوظيفة العلوم الطبيعية على البحوث العلمية في الغرب، وعلى العملية التربوية<sup>2</sup>؛ فسُخرت البحوث العلمية لتطوير الصناعات التكنولوجية القائمة على الكشف العلمي، فـعرف الإنسان بذلك الكثير من الآلات التي يسرت له حياته، وتمكن باستعمالها من سد الضرورات والحاجيات، وحقق المزيد من الملذات والكماليات<sup>3</sup>.

إلا أن هذا النجاح المادي كان متحررا من كل القيم الأخلاقية والروحية؛ فصاحب هذا التطور المادي والتقني، غلو في الاستجابة لمطالب الإنسان المادية ورغباته التي لا تنتهي عند حد معين، على حساب المحافظة على الطبيعة وثرواتها، التي هي مصدر حاجات الإنسان المادية، وأقصيت الغايات الروحية من دراسة الطبيعة، فتحوّلت العلاقة بين الإنسان والطبيعة إلى علاقة مادية بحتة<sup>4</sup>.

فهل حقق الإنسان سعادته في ظل هذه الغاية من دراسة العلوم الطبيعية؟

### المبحث الثالث: صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم:

أمام الانتصارات الكبيرة التي حققتها العلوم الطبيعية الحديثة، في مجال الكشف عن القوانين الطبيعية، ظهرت في الغرب دعوات، تعتبر العلم القيمة المطلقة التي تُغنينا عن التعلق بما سواها من القيم، وتعتقد أن في مقدوره تفسير جميع الظواهر كبيرها وصغيرها، وتوفير الغذاء الذي يرضي جميع

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، مرجع سابق، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية التفكير الإسلامي، ص12.

<sup>3</sup> إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، ص11.

<sup>4</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، نحن والغرب، ص12.



حاجيات البشر ، وعليه فهو الطريق الوحيد للمعرفة<sup>1</sup>. يقول ارنست رينان: "إن العلم هو الذي سيمنح الإنسانية ما لا تستطيع أن تحيا بدونه، فهو الديانة الصحيحة التي يجب على الإنسان اعتناقها، وأنه سيحرر الإنسانية، ويفتح الباب أمامها لحياة سعيدة تسود فيها الأخلاق ويسود العقل"<sup>2</sup>.

والعلم الذي يقصده رينان، هو العلم الذي يتخذ من المنهج التجريبي طريقا للوصول إلى المعرفة، أما ما لا يقبل الملاحظة والقياس، مثل المعرفة الدينية والفلسفية، فهي أوهام تجاوزتها المعرفة العلمية<sup>3</sup>.

وقد كان لهذه الرؤية أثرها على الحياة العلمية في الغرب؛ فهمشت المصادر المعرفية التي لا تتخذ من المنهج التجريبي طريقا للمعرفة، واختزلت الحياة الإنسانية في الحاجات المادية، وأقصيت عناصر كانت على مر التاريخ من أساسيات الحياة الإنسانية، كالإيمان بالله تعالى، والاعتقاد بوجود غايات روحية للوجود الإنساني، والتصرف وفق ضوابط أخلاقية ومعايير قيمية، فشاعت بين العلماء فكرة: "ليس للقيم الإنسانية مكان في العلوم الطبيعية"<sup>4</sup>، يقول ابراهام ماسلو مصورا الرؤية الغربية للدين باعتباره مصدرا للقيم: "لقد حُصر العلم . في القرن التاسع عشر. في ميدان الميكانيكا والفلسفة الوضعية، وُجد من القيم الإنسانية...، وزعم أن ليس للعلم ما يقوله في قضايا النشأة الإنسانية والمصير والتطلعات العليا والقيم الروحية...، واعتبرت هذه الموضوعات أمورا خارجة من ميدان المعرفة الإنسانية، وأنها لا يمكن التأكد منها، أو إثباتها بطريقة تقنع العقل، وإبرازها كحقائق تقنع الأذكياء"<sup>5</sup>.

ولقد كان لسيادة هذه الرؤية أسباب تاريخية، هيأت لها الظروف المواتية لبروزها وانتشارها، ومن هذه الأسباب:

<sup>1</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، ص73؛ محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص274.

<sup>2</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص72؛ عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص147.

<sup>4</sup> سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، ص190.

<sup>5</sup> ابراهام ماسلو، مرجع سابق، ص17.

1. اقتصار العلم الحديث على وصف الظواهر، وأقصى البحث عن الغايات من البحث العلمي، فأصبحت غاية العلم في يد رواده، كغاليليو وديكارت ونيوتن، ومن جاء بعدهم، الكشف عن الأسباب المتحكمة في الظواهر من أجل السيطرة عليها<sup>1</sup>، فالعالم في تصورهم شبيه بآلة معقدة تتحرك بقوانين ثابتة، وفهم هذا العالم يقتضي الكشف عن الأسباب الفاعلة فيه، وبذلك يمكن التحكم فيه، واستغلاله لخدمة الإنسان، وهو ما تعبر عنه الكلمة المشهورة عن ديكارت: "أعطني البعد والحركة لكي أصنع العالم"<sup>2</sup>.

وهذا التصور مغاير، لتصوير العلم في الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية؛ فأرسطو - وهو من أبرز الفلاسفة الذين كان لهم تأثير في الفكر الإنساني - يعتقد أن الكون مبني أساساً على فكرة التوافق والانسجام والنظام، الذي يمكن فهمه بالعقل، والذي يؤدي كل شيء فيه وظيفة محددة<sup>3</sup>، ولذلك يقسم الأسباب إلى أربعة أنواع:

أ. الأسباب المادية: أي أن كل شيء يتكون من مادة.

ب. الأسباب الصورية: فالشيء يتحدد عبر شكله.

ج. الأسباب الفاعلة: أي أن كل تطور يحتاج إلى محرك.

د. الأسباب الغائية: أي الأهداف والأغراض التي تستهدفها الحركة<sup>4</sup>.

ففهم العالم - في رأي أرسطو - يقتضي الاعتقاد بأن العملية الكلية في العالم باعتبارها انتقالاً من الهيولى إلى الصورة، هي حركة نحو غايات في الأساس، فالغاية هي التي تسير بالجوهر من الإمكانية إلى التحقق الفعلي<sup>5</sup>.

أما في الفكر الإسلامي؛ فالنظام صفة أساسية للكون، تخضع له كل الكائنات بما فيها الإنسان، وبه يهتدي الإنسان إلى معرفة الخالق<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص 25-26.

<sup>2</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 27.

<sup>3</sup> وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص 187.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 175-176؛ بيتر كونزمان وزملاؤه، مرجع سابق، ص 49.

<sup>5</sup> وولتر ستيس، مرجع سابق، ص 189.

وعليه، فالعلوم الطبيعية . في إطار الرؤية الإسلامية . عندما تبحث في الأشياء، لا تغفل الغرض من خلقها، وتجعل من معرفة الخالق عز وجل وحكمته هديا تستهدي به وتأخذ منه خصائص الأشياء<sup>2</sup>.

أما العلم الحديث، فقد اعتبر الغائية فكرة تتعارض مع التفكير العلمي؛ فهي . في رأيه . تصور الحوادث الطبيعية، وكأنها في طريق يؤدي إلى تحقيق رغبات بشرية معينة، أو إلى معاكسة هذه الرغبات<sup>3</sup>.

2. تهميش دور الدين في الحياة الإنسانية، ومنها النشاط العلمي؛ فإذا استعرضنا تاريخ العلم الحديث، نجد أن موقفه من الدين تطور من الفصل بين المنظومة الدينية . التي هي مصدر القيم الإنسانية في مختلف المجالات . وبين الحركة العلمية، إلى الإلغاء؛ بمعنى إمكانية - وعند بعض العلماء ضرورة - الاستغناء عن الدين تماما، فبقي دوره مقتصرًا على الجانب التعبدي المحض بين جدران الكنائس.

ففي فجر العلم الحديث، كان الرواد مؤمنين، فغاليليو كان كاثوليكيًا متدينًا، يعتقد أن الله هو خالق الكون ومصدر كتاب التشريع، وهما مصدران للمعرفة لا يمكن أن يتعارضا، ففي تصور غاليليو، يلزم لاستيعاب الكون إتقان لغة الرياضيات، والاستعانة بالحواس والعقل، أما الكتاب المقدس فموضوعه المعارف الروحية والمعنوية، ولا علاقة له بقضايا العلم<sup>4</sup>.

أما نيوتن، فالعالم في تصوره شبيهه بآلة معقدة تتحرك بقوانين ثابتة، والله هو الذي خلق تلك الآلة، وهو الذي يضفي التوازن على حركة المنظومة الشمسية، ويقرر أن الدافع الأصلي للبحث العلمي، هو كشف الأسرار الإلهية في الحلقة والتعرف على عظمة الإله<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد المجيد النجار، الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية، ص20.

<sup>2</sup> سيد حسين نصر، مرجع سابق، ص14.

إبراهيم أحمد عمر، مرجع سابق، ص60.

<sup>3</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص38.

<sup>4</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص26-27.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص27-28.

ولكن بسبب نجاح العلماء في تفسير الكثير من الظواهر الكونية بالفيزياء النيوتنية، والعداء الذي أظهرته الكنيسة للحركة العلمية، ساد الاعتقاد بأن العلم يتمتع بالاستقلالية في التوصل إلى الحقائق، وبالتالي فلا حاجة للدين، وهو ما عبر عنه لابلاس، لما سأله نابليون عن السبب في عدم ذكره لله في مؤلفاته، قائلاً: "سيدي لست في حاجة إلى ذلك"<sup>1</sup>.

ولقد تكرر هذا الإلغاء، بظهور نظريات وفلسفات ادعت لنفسها العلمية، وتضمنت ما يتناقض مع العقائد الدينية السائدة، وكان لها تأثير كبير على دور الدين في الحياة، ومن أهم هذه النظريات نظرية التطور، أما أخطر هذه الفلسفات فهي الوضعية، وفيما يلي ستناول نظرية التطور ثم الفلسفة الوضعية، لتوضيح خطرهما على الدين.

1. نظرية التطور: التي أسسها تشارلز داروين (1809. 1882)، وهي نظرية علمية، اعتبرت ثورة في علم الأحياء "البيولوجيا"<sup>2</sup>، إلا أنها تركت تأثيراً فلسفياً عميقاً في الفكر الأوروبي. كما سيتضح فيما بعد، وتقوم هذه النظرية على قاعدتين أساسيتين:

. القاعدة الأولى: الصراع من أجل البقاء بين الكائنات الحية التي تقطن الأرض، وقد استنتج هذه الفكرة من ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: تتعلق بكثرة عدد الأحياء مقارنة بأسلافها، فالأفراد يزيدون بنسبة هندسية.

الملاحظة الثانية: تتعلق ببقاء أعداد نوع من الأنواع ثابتة بقدر أو بآخر<sup>3</sup>.

يقول داروين: "إن نظرة واحدة في النظام الطبيعي، تقضي بأن نجعل الاعتبارات السابقة في أذهاننا، وألا نغفل عن أن كل كائن حي يساق للزيادة إلى حد بعيد، وأن كل فرد من أفرادها لا يتسنى له البقاء إلا بعد تناحر شديد، ينتابه في بعض أطواره"<sup>4</sup>، وهذه القاعدة لا يستثني منها الإنسان، فهو خاضع لها كباقي الكائنات.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 29.

<sup>2</sup> محمد ظاهر، التطور: نظرية داروين الثورية، مجلة العربي، ع 516، ص 134.

<sup>3</sup> تشارلز داروين، أصل الأنواع، ج 1، ص 118 إلى 122.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 123.

القاعدة الثانية: الانتخاب الطبيعي، ويقصد به أن الأنواع البدائية قد تحولت على مر الزمن إلى أنواع راقية مميزة بخصائصها، "فعندما ننظر في الطبيعة نجد أن التحولات المفيدة للعضويات، قد تحدث ويتكرر حدوثها فيها، فتصبح الأفراد التي خصتها الطبيعة بتلك التحولات قادرة على الاحتفاظ بكيانها في التنافس على البقاء، وتعقب من الأنسال ما ينفرد بنفس تلك الفوائد التي خصتها بها الطبيعة، خضوعاً لسنة الوراثة"<sup>1</sup>.

فما هو أثر نظرية التطور على الدين؟

لقد واجهت النظرية علماء الدين بأربعة قضايا، تتناقض مع الفكر الديني، وهي:

أ. رفض برهان النظم: فالصدفة يمكن أن تكون مصدراً للنظام في الكون، بدلاً عن الإرادة الخالقة.

ب. رفض أشرفية الإنسان على المخلوقات، فالإنسان لا يختلف عن باقي الحيوانات إلا في جوانب كمية وكيفية.

ج. رفض الأخلاق الدينية، وطرح نظام أخلاقي دارويني، يرى أن الطبيعة بما فيها الإنسان، تقوم على الصراع من أجل البقاء والانتخاب الطبيعي.

د. رفض فكرة الخلق<sup>2</sup>.

وهذه القضايا ليست من صلب نظرية التطور. باستثناء الثانية، وإنما هي من التفسير المادي لنظرية التطور، فداروين قدم لنا ما يعتقد أنه يمكن أن يعلل التكوين والخلق والإيجاد والنشأة للأجناس الحية حسب تطورها ووفق التقنية والمذهب الآلي<sup>3</sup>، وهذا التفسير لا يعني أن الكائنات ذاتية التطور، وأن المادة لا خالق لها، ولذلك فنظرية التطور لا تخالف فكرة الإيمان بالله عز وجل.

2. الفلسفة الوضعية: التي أرسى دعائمها أوغست كونت (1798-1857)، والتي تقوم

على ما يسميه قانون الحالات الثلاث:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 249.

<sup>2</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص 32.

<sup>3</sup> داروين، مرجع سابق، ج 1، ص 9.

. المرحلة اللاهوتية: والتي يعمد فيها الإنسان إلى تفسير الظواهر بأفعال تعزى إلى كائنات فوق طبيعية.

. المرحلة الميتافيزيقية: وفيها تستبدل الكائنات الميتافيزيقية بوححدات مجردة.

. المرحلة العلمية أو الوضعية: وفيها تتحول المعرفة إلى معرفة الوقائع القائمة، بملاحظتها لاستنتاج القوانين العامة<sup>1</sup>.

واعتبر هذه المرحلة الأخيرة هي أعلى مرحلة يمكن للعقل بلوغها<sup>2</sup>.

ولقد كان لهذه النظرية نتائج خطيرة؛ إذ أدت إلى "اختفاء المعيارية الإنسانية المركبة المتجاوزة للطبيعة/ المادة"<sup>3</sup>، وأصبح دور العقل منحصرًا في التعرف على الحقائق المادية، والركون إلى ما هو كائن، أما التعرف على القيم فغير ممكن لكونها تتجاوز عالم التجربة<sup>4</sup>.

وترتب عنها، حصر علاقة الإنسان بالطبيعة، في السيطرة عليها عبر الصراع معها، لتحقيق أكبر قدر من اللذة<sup>5</sup>.

وفي ظل هيمنة هذه المذاهب الفكرية على الحضارة الغربية، فقد الدين وظيفته المتمثلة في التوجيه نحو المثل العليا والقيم الإنسانية، واعتبر الإيمان بما وراء الطبيعة عموماً والإيمان بشكل خاص أمراً لا مبرر له<sup>6</sup>.

وإذا تأملنا فيما سبق، نجد أن استبعاد الدين بني على تقدم العلم القائم على المنهج التجريبي، مما يدعو للتساؤل: هل من مقتضيات العلم التكرار للدين ولما يحمله من قيم؟ وهل من مصلحة الإنسانية الاقتصار على العلم واتخاذ مصدرًا وحيدًا للمعرفة؟ وإذا كان الإنسان قد توصل إلى

<sup>1</sup> بيتر كوزمان وزملاؤه، مرجع سابق، ص 165.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 79.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 84.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 87؛ عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 16.

<sup>6</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص 37.

اكتشاف الكثير من القوانين الكونية، فهل يستطيع أن يحدد مفهوما للعالم، ويبين غايته، وعلاقة الإنسان به، إذا لم تكن له مرجعية دينية؟

لقد كانت العلوم الطبيعية متقدمة إلى حد كبير في الحضارة الإسلامية، مقارنة بوضعها في الأمم الأخرى أيام ازدهار الحضارة الإسلامية؛ فعلم الفلك كان يحتل الصدارة حتى منتصف القرن السادس عشر، وكانت مكتبة بلاط الفاطميين في القاهرة تضم أربعين غرفة، تحتوي على كتب في موضوعات مختلفة، وكان من هذه الكتب عشرة آلاف مجلد في العلوم الطبيعية<sup>1</sup>.

إلا أن هذا الاهتمام والعناية الاجتماعية والسياسية بهذه العلوم، لم يتطلب إعطاء الدين دورا ثانويا في الحياة أو إلغاءه؛ فعلماء المسلمين ظلوا متمسكين بعقيدة التوحيد وقيم الإسلام، وجعلوا من العلوم الطبيعية وسيلة لتحقيق الغايات الدينية، ولم يكن هذا الالتزام عائقا يحول دون البحث والاستكشاف، "فالعلم في الحضارة الإسلامية تميز عن العلم الغربي الحديث، في انفصال هذا الأخير انفصالا بائنا عن القيم والأخلاق، أما العلم في الحضارة الإسلامية فقد تأتى في إطار توجه المسلمين الأخلاقي المثالي العام، وبينما انطلق العلم الحديث من صراع دام مرير مع الأيديولوجية السائدة في أوروبا، فإن العلم العربي انطلق من داخل الأيديولوجية القائمة وبرعايتها"<sup>2</sup>.

وهذا التوجه للجمع بين العلوم والقيم غير مستغرب، إذا عرفنا أن المسجد كان هو النواة الأولى للمدرسة في حضارتنا، فلم يكن مكان عبادة فحسب، بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة<sup>3</sup>، ومن الأمثلة التي تدل على جمع العلماء المسلمين بين الموضوعية العلمية والالتزام الديني، هذا النص للشيرازي(ت 710هـ)، الذي يقول فيه: "إن الطيب إذا عرف بالتشريح ما أودعه الله تعالى من العجائب والغرائب في هذا البدن النحيف والتركيب الضئيل، كان ذلك من أقرب الوسائل له إلى الاعتراف بالخالق الحكيم، الذي أحسن كل شيء خلقه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> توبي أ هف، فجر العلم الحديث: الإسلام، الصين، الغرب، ص 228.

<sup>2</sup> بمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، ص 184.

<sup>3</sup> مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 129.

<sup>4</sup> الشيرازي، مرجع سابق، ص 20.

وهذه التجربة التاريخية للمسلمين، تبين أن الاعتقاد بتعارض العلم والدين، وتبني أحدهما على حساب الآخر، ليس من مقتضيات العلم ولا من مقتضيات الدين، وإنما هو موقف فلسفي مسبق، يهدف إلى إقامة نظام للحياة، وفق ما يتصوره العقل الإنساني، مستبعدا المرجعية الدينية التي تقدم للإنسان تصورا شاملا للوجود، يشتمل على إجابات مقنعة للأسئلة الكلية، ويجعل للحياة معنى، وتدعوه إلى ضبط التصرفات الإنسانية، بمعايير دقيقة توازن بين الأبعاد الإنسانية المختلفة: المادية والروحية، الفردية والاجتماعية.

وإن نمو العلم الحديث بعيدا عن القيم الدينية، يدعو إلى التساؤل: هل التطور العلمي كان في مصلحة الإنسان والإنسانية؟ وهل تحققت للإنسانية السعادة والأمن والرخاء؟ وهل تمكن الإنسان من فهم كل الظواهر بالعلم التجريبي؟

#### المبحث الرابع: أزمة العلم الحديث أو مشكلات العلوم الطبيعية الحديثة:

يشهد الواقع الإنساني في القرن العشرين مشكلات متعددة، أفرزها التطور العلمي النامي بعيدا عن القيم الدينية، بل يذهب بعض المفكرين إلى أبعد من ذلك، فيعتبر العلم هو السبب الوحيد الذي أفرز كل المشكلات الحديثة، وهذا ما تعبر عنه زيغريد هونكة في قولها: "إن العلم هو الذنب في كل شيء...، في تجريد الإنسان من إنسانيته، عن الإحساس بالفراغ، وانعدام المغزى من وجوده، وإنه الذنب في تهديد الحياة والبيئة...، في تعريض حاضرنا ومستقبلنا وأحفادنا للخطر، في حاجة



فرد وتخمة آخر...، باختصار في الأزمة التي نتنفس فيها بشق الأنفس"<sup>1</sup>، ويقول مفكر آخر: "إن معظم المشاكل التي نواجهها، هي نتيجة حتمية لتقدم العلم"<sup>2</sup>.

وإذا كانت هذه الكلمات تصف بدقة حالة الإنسانية في ظل التطور العلمي، إلا أنه لا يمكن التسليم بأن العلم هو السبب لما تعانيه الإنسانية من مشاكل وأزمات؛ فالعلم بفروعه المختلفة هو أداة يمكن استخدامها في الخير ولمعرفة الحق، كما يمكن استخدامها في الشر وللترويج للباطل، ولما كان الإنسان هو المستخدم لهذه العلوم تبعا للرؤية التي يحملها للعلم ولوظيفته، فالواجب يقتضي النظر إلى العلوم الطبيعية في إطار الرؤية التي نمت في ظلها.

وبناء على ذلك، فالمشكلات الناجمة عن التقدم العلمي في العصر الحديث، لا يمكن فصلها عن الرؤية الغربية للعلم، التي جعلته بديلا لكل مصادر المعرفة التي لا تقوم على المنهج التجريبي، واعتبرته المخلص للإنسانية من كل الويلات، ثم وظيفته لتحقيق أهواء الإنسان، وتلبية مطالبه الغرائزية، مبشرة بأن ذلك سيؤدي إلى تحقيق النعيم الدنيوي، بدلا من النعيم الآخروي الذي بشرت به الأديان، ملغية التمايز بين الإنسان والحيوان<sup>3</sup>.

وهذا ما يبرر إضافة ما أفرزه التقدم العلمي من مشكلات للعلم الحديث، باعتبار أن هذا العلم يمتلك هوية غير مجردة عن الأنساق القيمية وفرضيات الميتافيزيقا للفلسفة المادية<sup>4</sup>.

وأخطر المشكلات التي أفرزها التقدم العلمي هي:

أ. العجز على تقديم إجابات عن الأسئلة الكلية، المتعلقة بالله والكون والإنسان والحياة؛ فالعلم بطبيعته يتناول الجزئيات، أما التصورات الكلية فمصدرها هو الدين الذي اعتبر وهما في إطار الحضارة الغربية الحديثة.

ولما كانت هذه الأسئلة فطرية، فقد لجأ الإنسان الغربي إلى المعطيات العلمية لتكوين مفهوم للعالم، اعتمادا على التعميم، لكون العلم ذا دائرة محدودة وضيقة، حيث يمكنه أن يصل فقط إلى

<sup>1</sup> زيفريد هونكة، العقيدة والمعرفة، ص5.

<sup>2</sup> سير روى كالن، عالم يفيض بسكانه، ترجمة: ليلي الجبالي، ص54.

<sup>3</sup> جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، من: ص24 إلى ص31.

<sup>4</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص16.

النقاط التي تطالها التجربة، إلا أن هذا المفهوم لا يتسم بالثبات، لأن الفرضية والسياق الاختباري الذي يتحرك العلم في إطارهما، لا يتمتعان بقيمة ثابتة<sup>1</sup>.

ولقد أدرك العلماء فداحة الخطأ الذي وقعوا فيه، عندما تصوروا أنه بالإمكان بناء صورة للكون والإنسان على أساس معطيات الحس والتجربة، وهو ما يسجله ابراهام ماسلو لما يقول: "ولكن تحولاً يحدث الآن في ميدان العلم والدين سواء، أو على الأقل يحدث بين الأذكىء والمتقنين الذين يمثلون كلا من العلم والدين، وسوف يخلق هذا التحول لدى المستنيرين من ممثلي العلم اتجاهات أفضل نحو الأسئلة الدينية خاصة فيما يتعلق بالقضايا ذات العلاقة بالإنسان والطبيعة"<sup>2</sup>.

### ب. الخواء الروحي:

لقد ترتب عن فقد الإجابات المقنعة عن الأسئلة النهائية، التركيز على الجانب المادي من حياة الإنسان، فأهتت شهوات الفرد ورغباته، واتخذ العلم أداة لتوفير المزيد من السلع، فانحصر الهدف من العلم في تلبية الضرورات والحاجات والمزيد من الملذات والكماليات.

فالتبيعة في إطار الحضارة الغربية، لا تتخذ وسيلة للكشف عن المعاني، التي تحدثنا عن الله عز وجل، وتعرفنا بصفاته العظيمة، فهي مجردة من هذه المعاني والإحالات الدينية، بحيث لا يرى الإنسان أي أثر للخلق الإلهي، وبذلك يفتح المجال للإنسان للتصرف في الطبيعة بلا قيود، مما يترتب عنه الإضرار بالطبيعة ومن ثم بالإنسان<sup>3</sup>.

وساد الاعتقاد بعبثية الكون والحياة، وهو اعتقاد ناجم عن النظرة المادية؛ فماذا تعني الحياة إذا كان الهدف هو الأكل والشرب والملذات المادية؟ وماذا بعد الرفاهية المتحققة بفضل التقدم العلمي؟

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص14.

<sup>2</sup> ابراهام ماسلو، مرجع سابق، ص20.

<sup>3</sup> سيد محمد نقيب العتاس، مرجع سابق، ص64.

إن الحضارة الغربية على وفرة ما حققتة من الماديات، فإن شعوبها والإنسانية من ورائها تعيش في قلق نفسي، وإفلاس روحي، وتفكك وصراع اجتماعي، تتهددها الحروب والدمار، وتعصف بها المخاوف والأزمات<sup>1</sup>.

وبسبب ما وقعت فيه الحضارة الغربية، من قلق واضطراب على المستوى الفردي والاجتماعي، لاختزالها الحياة في المادية، أدرك العديد من العلماء الحاجة الماسة إلى القيم الدينية، لإعادة التوازن للحياة الإنسانية<sup>2</sup>.

وإن هذه النتائج، تؤكد صحة الرؤية الإسلامية، التي توازن بين البعدين الروحي والمادي، وتدعو إلى الاهتمام بهما معاً<sup>3</sup>، وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ مَا آيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُغُوا بِنَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِاللَّهِ لِيُحِبُّ الْمُحْتَمِلِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾<sup>4</sup>.

### ج . مشكلات البيئة:

تعرف البيئة بأنها " رصيد الموارد المادية والاجتماعية، المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"<sup>5</sup>.

ولقد لاحظ العلماء أن التقدم العلمي، صاحبه مشكلات بيئية خطيرة<sup>6</sup>، تمثلت في تلوث البيئة بالدخان الأسود والغازات الكبريتية التي تصبه آلاف المصانع في الهواء<sup>7</sup>، واختلال التوازن البيئي بسبب عدم إدراك طبيعة التكامل ما بين كل مكونات البيئة المحيطة بالإنسان، مما أدى إلى

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 204.

<sup>2</sup> ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 56.

<sup>3</sup> محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 88.

<sup>4</sup> المائدة: 87-88.

<sup>5</sup> رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ص 24.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 07.

<sup>7</sup> محمد صفر، تلوث البيئة يهدد وجودنا، كتاب العربي: دمار البيئة، دمار الإنسان، ص 11.

توظيف الإنسان لجميع قدراته التي اكتسبها بالتقدم العلمي في استغلال بعض مكونات الطبيعة بلا ضابط، وكان نتيجة ذلك انقراض بعض الكائنات و نفاذ بعض الموارد<sup>1</sup>.

ومشكلات البيئة معروفة لدى الخاص والعام، نظرا لكم الهائل من المقالات والدراسات والمؤتمرات التي تناولتها، ولاهتمام الدول بها يسبب ما يترتب عنها من أخطار على الإنسان وصحته<sup>2</sup>، ولهذا فالموضوع الذي ينبغي معالجته لما له من علاقة بموضوع البحث، يتمثل في تحديد ما إذا كان التقدم العلمي هو سبب المشكلات البيئية، أم أن تطبيقات العلم الموجهة بالتصور المادي للحياة، هي التي أدت إلى ما تعاني منه البيئة من استنزاف بصورة لا يمكن تعويضها.

لقد كانت الغاية من العلوم الطبيعية في ظل التصور الغربي المادي، السيطرة على الطبيعة، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الملذات، وقد ترجم هذا الهدف بتطوير التطبيقات العلمية وإشاعة ثقافة الإنتاج والاستهلاك بدون ضوابط قيمية، وإنما تخضع فقط للأهواء والرغبات الفردية والطبقية والعرقية<sup>3</sup>.

فتحول الاستهلاك إلى فلسفة وأسلوب حياة سائد، بل إن أحد المفكرين ويدعى "فيكتور ليور"، دعا الأمريكيين بعد الحرب العالمية الثانية، إلى أن يتخذوا من الاستهلاك وسيلة لخلاص

الروح وتحقيق الذات<sup>4</sup>، فاستجابت قطاعات واسعة من الناس لهذه الدعوة في الولايات المتحدة وخارجها، ووصلت إلى المجتمعات الفقيرة؛ ففي الهند مثلا، أصبح الإنسان ذو الميول التقليدية للمحافظة والبساطة في معيشته، إنسانا محمومًا بالشراء والاستهلاك<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سيف الدين الأتاسي، في بعض الرجوع تقدم بيئي، كتاب العربي، مرجع سابق، ص83.

<sup>2</sup> مما كتب في الموضوع، إضافة إلى المراجع السابقة الذكر:

. جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان.

. مجلة العربي الكويتية، فلا يخلو عدد منها من مقال أو اثنين حول البيئة ومشكلاتها.

<sup>3</sup> سير روي كالن، مرجع سابق، ص56؛ ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص301.

<sup>4</sup> رجب سعد السيد، كل هذا الاستهلاك، كتاب العربي، مرجع سابق، ص94.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص95.

واعتمدت البلدان المتقدمة تقنيا، لتوسيع حجم الاستهلاك ثلاثة أنواع من الاستراتيجيات،

وهي:

- إيجاد احتياجات جديدة وتنشيط الرغبة في تلبيتها باستخدام الدعاية.
- فتح أسواق تصدير جديدة.
- خفض مدة بقاء السلع، بخفض مستوى المواد المستخدمة إما من حيث الكمية أو من حيث الكيف<sup>1</sup>.

وهذه بعض الإحصاءات التي تؤشر على فرط الاستهلاك، الذي يتجاوز حاجات الإنسان

المعقولة:

- تستهلك الأمم الصناعية ثلثي صلب العالم، وأكثر من ثلثي إنتاج الألمنيوم العالمي، وكذلك الحال بالنسبة للنحاس والرصاص والنيكل والقصدير والزنك.<sup>2</sup>
- في فرنسا تحمل كل سنة 750 ألف سيارة و500 ألف متر مكعب من الأجهزة المنزلية العاطلة<sup>3</sup>.
- في أمريكا وحدها تحمل 180 مليون ماكينة حلاقة، وكمية من الألمنيوم تكفي لبناء ثمانية آلاف طائرة ضخمة سنويا، كما يهمل اليابانيون 30 مليون آلة تصوير كل سنة<sup>4</sup>.

- بلغ حجم ما استهلكه الأمريكيون في المائة سنة الماضية (أي في القرن العشرين)، ما يساوي

كل ما استهلكه الجنس البشري عبر تاريخه<sup>5</sup>.

فما الذي يدفع الإنسانية إلى الاستهلاك بشراهة؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب أن

نستحضر أن الكثير مما يستهلك يتجاوز احتياجات الناس، ويدخل ضمن الإسراف الناتج عن قوة

<sup>1</sup> جان ماري بيلت، مرجع سابق، ص 41-42.

<sup>2</sup> رجب سعد السيد، مرجع سابق، ص 96.

<sup>3</sup> جان ماري بيلت، مرجع سابق، ص 46.

<sup>4</sup> رجب سعد السيد، مرجع سابق، ص 97.

<sup>5</sup> عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، ص 90.

الإعلان، حيث تزايد الإنفاق على صناعة الإعلان من 39 بليون دولار في عام 1950، إلى 237 بليون دولار عام 1990<sup>1</sup>.

وكان لهذه الموجة الاستهلاكية نتائجها الوخيمة على البيئة، فقد أثرت سلبا على الموارد الطبيعية من غابات وتربة وماء وهواء، وأساءت إلى المناخ العام للأرض، فالمواطن الأمريكي يدمر حاليا في المتوسط مائة ضعف ما يدمره الهندي من موارده الطبيعية<sup>2</sup>.

وتبين أن الاعتقاد بأن توفير أكبر قدر ممكن من السلع وتحقيق الرفاهية، ينطوي ضمنا على توفير السعادة للجميع، لم تجن منه البشرية سوى الضيق الاقتصادي والاضطراب الأخلاقي، وهما نتيجتان للمفهوم الكمي والمادي البحث للتقدم<sup>3</sup>، مما دعا إلى تشكيل جمعيات سياسية ومدنية، وهي المعروفة بأحزاب الخضر وجمعيات المدافعين عن البيئة، تهدف إلى إعادة التواءم مع الطبيعة، وتدعوا إلى العقلانية في استغلال الموارد الطبيعية، والحد من حرية الإنسان في تبديده للثروات بإفراطه في الإنتاج والاستهلاك، وهذه أفكار ذات طبيعة دينية. كما يصفها المسيري؛ إذ تفترض أن الإنسان ليس مجرد ظاهرة طبيعية، وإنما هو على علاقة بقوى كونية أخرى، وأن ثمة حدودا على الإرادة الإنسانية<sup>4</sup>.

إلا أن هذه الأفكار لا تلقى الاستجابة الكافية، بسبب عدم قيامها على تصور صحيح للإنسان والكون والحياة، ولصدورها من مصدر بشري؛ فالتحكم في الأهواء والرغبات يقتضي

تغيير تصورات الإنسان، ويتطلب الاعتراف بأن الإنسان ليس إلها مسيطرا على الكون بالعلم، وإنما هو عبد خاضع لإرادة عليا، ويشترك مع الكائنات المختلفة في الخضوع لهذه الإرادة، وبذلك يشعر بالمسؤولية اتجاه المخلوقات الأخرى، فيكون استغلاله للطبيعة استغلالا عقلانيا، نافعا له وغير مضر بها، وهذا ما تعبر عنه هذه الحكمة من ابن طفيل (ت 581هـ) الذي يستشعر مسؤولية الإنسان

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 98.

<sup>2</sup> جان ماري بيلت، مرجع سابق، ص 47.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 31-32-33.

<sup>4</sup> عبد الوهاب المسيري، الفكر الغربي: مشروع رؤية نقدية، مجلة إسلامية المعرفة، ع 5، ص 128.

اتجاه الطبيعة: " يجب على الإنسان أن يختار من الحيوانات أكثرها وجوداً ولا يستأصلها... وأن يحتفظ ببذور النبات، ويلقيه في موضع يصلح للنبات، وأن يقصد أكثرها وجوداً وأقواها توليداً، وأن لا يستأصل أصولها ولا يفني بذورها"<sup>1</sup>.

وهذه الرؤية من ابن طفيل هي التي يدعو إليها الإسلام، ويؤكد عليها، كما سنرى في الفصل الرابع.

### د. الإخفاق في فهم الإنسان:

وهي من أخطر المشاكل، لتعلقها بحياة الإنسان، الذي منحه الله عز وجل من القدرات والوسائل ما يستطيع بها بسط الخير أو نشر الفساد والشر؛ فعدم فهمه لنفسه الفهم الصحيح، بعدم تقدير كل الأبعاد التي تكون ذاته، يؤدي إلى التصرف بما لا يتوافق مع مصلحته، وهذا ما أشار إليه الكسيس كاريل عندما قال: " البيئة التي نجح العلم والتكنولوجيا في إيجادها للإنسان لا تلائمها، لأنها أنشئت اعتباطاً وكيفما اتفق دون أي اعتبار لذاته الحقيقية"<sup>2</sup>.

فلقد تصور العلماء في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، ولهذا فالمنهج الوحيد الذي يجب اعتماده لفهمه هو المنهج الذي أثبت فعاليته في دراسة المادة، وهو المنهج التجريبي، وتصوروا أن استخدام هذا المنهج سيمكن من بناء جنة أرضية، يحقق فيها الإنسان سعادته، ويحل كل مشاكله المعرفية والصحية والاقتصادية والاجتماعية، ولهذا اختزلوا الإنسان في بعد واحد، تدور اهتماماته حول تفاصيل الحياة اليومية المتعلقة بالرغبات، أكثر من الصورة الكلية للحياة نفسها<sup>3</sup>.

وتتحلى هذه المادية في علم النفس، الذي شبه الإنسان بالآلة؛ فلما كان لكل آلة دافعة تشغلها، فالإنسان كذلك له قوته الدافعة، التي تتخذ شكل غرائز وانفعالات، وهي التي تقوده، إلا أن علماء النفس يختلفون حول تحديد الغرائز الأساسية، فهوبز يزعم أنها الخوف من الموت، وفرويد يعتقد أنها الغريزة الجنسية، وفي العشرينات من القرن العشرين، ظهر جون واطسن الذي ادعى أن

<sup>1</sup> ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق: علي بوملحم، ص110-111.

<sup>2</sup> الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد فريد، ص41.

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحدأة والعولة، ص37-38؛ ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص287.

السلوك هو وحده القابل للمراقبة من الخارج بالتجارب الموضوعية، وبالتالي فهو الموضوع الصحيح لعلم النفس<sup>1</sup>.

فهل حقق علم النفس هدفه المتمثل في خدمة الجنس البشري بحل مشاكله النفسية؟

لقد جرد هذا العلم الإنسان من كل ما يميزه كالعقل والإرادة الحرة وتصرفه وفق القيم التي يؤمن بها، وتمت معاملته كما تعامل الحيوانات في التجارب المخبرية، " ولهذا شعر كثير من علماء النفس بعد الحرب العالمية الثانية، أن إخضاع العقل للغريزة في طريقة التحليل النفسي، وإلغاء العقل في السلوكية، قد أفضيا إلى تجريد الإنسان من إنسانيته"<sup>2</sup>.

ولأجل رد الاعتبار للإنسان، وتجاوز الإخفاقات التي ترتبت عن علم النفس التحليلي والسلوكي، عقدت منظمة اليونيسكو مؤتمرا في نيودلهي سنة 1951، تحت عنوان: " المثل الأعلى الإنساني وفلسفة التربية في الشرق والغرب"، وقد دعا العديد من المشاركين إلى وضع علم للإنسان، لا يكون مقصورا على علم الحيوان الإنساني، بل يكون علما ينطوي على القيم الروحية كحقائق مثل الحقيقة البيولوجية للإنسان<sup>3</sup>.

ولقد صرح الكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول"، في أكثر من موضع، بإخفاق العلم الحديث في فهم الإنسان، فبقيت معرفتنا بأنفسنا بدائية في الغالب<sup>4</sup>، وإذا كان قد حقق بعض النجاح في معالجة بعض أمراض جسمية، فقد حلت محلها أمراض الفساد والانحلال الخلقي، فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والأمراض العقلية<sup>5</sup>، ولا شك في أن سبب ذلك، يتمثل في قدرة العلم على فهم سر تركيب المادة وخواصها، والإنسان في جزء منه لا يختلف عن المادة، ولكن أدوات العلم الحديث لا تتناسب مع البعد الثاني غير المادي، ومن هنا أخفق في حل المشكلات ذات الطبيعة غير المادية، بل أوجد - كما ذكرنا آنفا - ظروفًا أثرت سلبا على الإنسان، لطبيعتها المادية البحتة التي لا تتوافق مع ذات الإنسان ببعديها المادي والروحي.

<sup>1</sup> ر م أغروس وزميله، مرجع سابق، ص 79-83.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 85.

<sup>3</sup> محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، ص 19.

<sup>4</sup> الكسيس كاريل، مرجع سابق، ص 20.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 34.



وتجاوز هذا الإخفاق يقتضي الاعتماد على معيار مستقل عن المصدر البشري للمعرفة، يكون جنب المعرفة العلمية الحديثة، بحيث يشكّلان معا مرجعا، يمكن في ضوئه فهم الحياة الإنسانية المعقدة، وتسطير خطط للحياة تلي كل حاجيات الإنسان، سواء تلك المرتبطة بجسمه أو المرتبطة بروحه الإنسانية<sup>1</sup>.

هـ. المشكلة الخامسة من مشاكل العلم الحديث، تتمثل في عدم التزام الكثير من العلماء، بما تقتضيه الأخلاق الإنسانية التي تجعل من العالم إنسانا يتصرف وفق ما تقتضيه المصلحة البشرية، ويسخر علمه لحل المشكلات المختلفة.

ويقدم لنا تاريخ العلم الحديث، وقائع عديدة تدل على عدم الانضباط بالأخلاق، منها:

**المثال الأول: مشروع اليوجينا:** الذي نشأ على يد فرانسيس جالتون، حيث رأى أنه من الممكن تحسين الجنس البشري، بنفس الطريقة التي يربى بها النبات والحيوان، وذلك بالتخلص من الصفات غير المرغوب فيها، وإكثار الصفات المرغوبة، وأطلق على مشروعه اسم "اليوجينا" (الذي يعني بالإغريقية: طيب الأرومة)<sup>2</sup>.

ورغم أن المعلومات في مجال الوراثة كانت قليلة وقت إطلاق المشروع، إلا أن ذلك لم يمنع العديد من العلماء من الانخراط في المشروع، لما يوفره من مكانة اجتماعية أو مصلحة خاصة<sup>3</sup>.

ولقد سُنت قوانين في الولايات المتحدة الأمريكية أواخر العشرينات من القرن العشرين، تجيز تعقيم الأشخاص ذوي الصفات غير المرغوب فيها، و الشيء نفسه فعلته النازية، إذ عقرت بضعة آلاف من المعتقلين، أثناء الحرب العالمية الثانية<sup>4</sup>.

ولا يخفى تأثر أصحاب هذا المشروع بالنظرة الداروينية التي تسوي بين الإنسان والحيوان، وتخضع الكل لفكرة الانتخاب الطبيعي، إلا أن هذا الانتخاب لا يخضع للضرورة الطبيعية كما هو

<sup>1</sup> ينظر: سيد محمد نقيب العطاس، مرجع سابق، ص 161-162؛ ابراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين العلم والدين (كله)؛

طه عبد الرحمان، الممارسات الدينية ونقد العقلانية، مجلة إسلامية المعرفة، ع23، ص117.

<sup>2</sup> دانييل ج كفلر و ليروي هود، الشفرة الوراثية للإنسان، ترجمة: أحمد مستحير، ص14.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص20-21.

الحال في الحيوان والنبات، وإنما يقرره الإنسان الذي جعل من تصوراته الذاتية، معيارا لتقرير ما ينبغي أن يكون وما لا ينبغي أن يكون، لاعتقاده أن ما يملكه من معرفة، كاف لإعطاء صورة كاملة عن الإنسان والحياة، يمكن التصرف وفقها، وهو ما ثبت أنه غير صحيح؛ إذ تؤكد العلماء أنه من الصعب الربط بين سلوك الإنسان أو فقره وبين صفاته الوراثية<sup>1</sup>.

. المثال الثاني: ينقل مهدي كلشني عن موريس ويلكنز، الحائز على جائزة نوبل في الطب عام 1962، أن خمسين في المائة من العلماء والمهندسين متورطون حاليا في البرامج ذات العلاقة بسباق التسلح<sup>2</sup>.

ولقد كان التاريخ الحديث من أسوء الفترات دموية في حياة البشرية، " فعدد ضحايا الحرب العالمية الأولى (1914-1918) بلغ 15 مليون قتيل، وبلغ عددهم في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) 50 مليون قتيل، ضف إلى ذلك كارثة هيروشيما ونكازاكي والجزائر..."<sup>3</sup>، ولا شك قي أن هذه الأعداد من الضحايا، ناتجة عن التطور التقني في مجال صناعة الأسلحة الفتاكة.

ألا يتحمل العلماء جزءا كبيرا من المسؤولية المترتبة على الاستخدامات غير السلمية وغير النافعة، للتقنيات العلمية في مجال الهندسة الوراثية، أو صناعة السلاح الفتاك أو في غيرها من المجالات؟

يفترض في العالم أن يكون ذا وعي تام، فتكون معرفته كافية -لا في مجال تخصصه فقط- بالواقع الذي يعيش فيه، وبالأفكار السائدة في بيئته، وبذلك يستطيع أن يحدد ما الذي ينبغي فعله لتحقيق مصلحة الناس ودفع الضرر عنهم.

ويفترض فيه كذلك، أن يميز بين ما يمكن أن يتناوله المنهج التجريبي العلمي بالدراسة والبحث، وما يدخل ضمن الرغبات الإنسانية التي لا تتصف دائما بالمشروعية.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>2</sup> مهدي كلشني، مرجع سابق، ص 158.

<sup>3</sup> محمد موسى بابا عمي، مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان، ص 65.

واتصاف العالم بهاتين الصفتين - الوعي والتواضع العلمي -، يقتضي أن تكون غايته في الحياة سامية، تتجاوز الغايات المادية المحدودة، وبدون ذلك يتحول العالم إلى مجرد أداة، يستعملها من يستطيع تلبية مطالبه المادية بلا ضوابط تحول دون استخدام ما يمتلكه من معرفة لإلحاق الضرر بالناس.

وبالنظر إلى واقع العلم الحديث، نجد أن الكثير من العلماء يفتقدون المعرفة العميقة في غير تخصصهم الدقيق<sup>1</sup>، مما يجعلهم عاجزين عن تصور ما تحتاج إليه الإنسانية، وما يحقق مصلحتها؛ إذ أن تحقيق ذلك يتطلب إدراكا لحقيقة الإنسان، وللحالة الثقافية والسياسية والاجتماعية، والايولوجيا الحاكمة التي توجه التطبيقات العلمية، والعالم بما أوتي من قدرة على التفكير والاستنتاج، يستطيع أن يضع موقفه - في ضوء ذلك - الموضوع الذي يتناسب وقيمة العلم، إذا كانت غاياته في الحياة سامية، تتجاوز المطالب المادية المحدودة، وتحرر من النظرة الدنيوية الضيقة.

وإذا كانت الرؤية المادية، تتبنى العلم والتقنية المنفصلين عن القيم الإنسانية مما أدى إلى ما سبق ذكره من مشكلات، فما هي الرؤية القرآنية للعلوم الطبيعية؟

## الفصل الثالث:

### القرآن الكريم والعلوم الطبيعية

#### المبحث الأول: العلم في القرآن الكريم.

<sup>1</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 13.

المبحث الثاني: العلوم الطبيعية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: حكم البحث في العلوم الطبيعية.

المبحث الرابع: قيمة العلوم الطبيعية.

المبحث الخامس: خصائص المعرفة العلمية في القرآن الكريم.

### تمهيد:

رغم النتائج السلبية للعلوم الطبيعية وتطبيقاتها، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميتها؛ فقد تبين لنا في الفصلين السابقين، أن البحث العلمي سعى من خلال الكشف عن القوانين الطبيعية، واستثمار نتائج هذه البحوث إلى منح الإنسان معرفة عميقة بالطبيعة، وقدم له وسائل كثيرة، جعلت حياته تتصف بالفعالية واليسر.

ولكن خطورة السلبيات التي أفرزها التقدم العلمي بسبب قيامه على الرؤية المادية تكاد تحجب الوجه المشرق للعلم، وهذا ما يدعو إلى ضرورة التفكير والبحث عن رؤية كونية توجه العلوم الطبيعية نحو الحق والخير.

ولما كان القرآن الكريم المتميز بالشمولية، هو المرجع بالنسبة للمسلم لتمييز الحق عن الباطل، والخير من الشر، فالمطلوب هو البحث فيه لمعرفة ما إذا كان يتضمن توجيهات، من شأنها أن تجعل العلوم الطبيعية وسيلة لتحقيق مصلحة الإنسان والإنسانية.

فهل تناول القرآن الكريم ما يدخل تحت اسم العلوم الطبيعية؟ وإذا كان قد تناولها، فما هي الكيفية التي تطرق بها لهذا النوع من العلوم؟.

وما هي مميزات الرؤية القرآنية للطبيعة؟.

وما هي مميزات المعرفة العلمية التي يدعو إليها القرآن الكريم؟

للإجابة على هذه الأسئلة، سنتناول المباحث الآتية:

. العلم في القرآن الكريم.

. العلوم الطبيعية في القرآن الكريم.

. حكم البحث في العلوم الطبيعية.

. قيمة العلوم الطبيعية.

. خصائص المعرفة العلمية.

**المبحث الأول : العلم في القرآن الكريم:**

ورد لفظ العلم في القرآن الكريم بصيغ متعددة:

- فجاء بصيغة الفعل الماضي، كما في قوله عز وجل: ﴿لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّاهُمُ الْيَتِيمَ نَبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>1</sup>.

- وجاء بصيغة المضارع، كما في قوله عز وجل حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾<sup>2</sup>.

- وجاء بصيغة المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>3</sup>.

- وجاء بصيغ أخرى مثل: علم، يعلم، عالم، عليم، أعلم، معلوم... .

وتكرار مادة علم ومشتقاته في القرآن الكريم نحو من ثمانين وخمسين (850) مرة، منها أربعمئة (400) مرة دالة على العلم الإنساني، دليل مؤكد على فضل العلم وبإلغ أهميته<sup>4</sup>.

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم، نجد أنها تدعو إلى كل أنواع العلوم، فلا تقتصر على العلوم التي تتخذ من الملاحظة والتجربة منهجها، ولا على العلوم الدينية التي تقوم على الوحي، فالعلم في القرآن الكريم يشمل كل معرفة يزول بها الجهل عن عقل الإنسان، سواء كان موضوعه الكون، أم كان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء كانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> النساء: 83.

<sup>2</sup> المائدة: 116.

<sup>3</sup> البقرة: 255.

<sup>4</sup> محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة علم، ص 596-611؛ يوسف القرضاوي، العقل

والعلم في القرآن الكريم، ص 71.

<sup>5</sup> يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 149.

ومن الآيات التي تتضمن دعوة القرآن الكريم إلى كل أنواع العلوم :

. يقول الله عز وجل: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾<sup>1</sup>، فهذه الآيات الأولى نزولاً من القرآن الكريم، تشير إلى العديد من العلوم: علم تاريخ الإنسان، علم الأجنة، علم الاتصال، وهي من العلوم التي تتكاتف لبناء الحضارة<sup>2</sup>.

- يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ مَاتَ بِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتَمَعَ الْفُلُوسُ تَكْتُمُ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِيهَا لَكَلَامًا لَعَلَّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>3</sup>، والعلم في هذه الآية يشمل علوم الكون وعلوم الإنسان<sup>4</sup>.

- وفي مجال الغيب، نقرأ قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>5</sup>.

- وينبه القرآن الكريم إلى ضرورة اعتماد الدليل الحسي في مجال العلوم الطبيعية، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ نَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ نُجُوجٍ ﴾<sup>6</sup>.

- بخلاف الغيب فوسيلة معرفته الوحي، يقول الله عز وجل: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ ﴾<sup>7</sup>، أي لا يطلع على الغيب إلا الأنبياء<sup>8</sup>.

- ودعا إلى استعمال الدليل العقلي، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ مَعِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ هَاتُوهَا فَهَذَا نَمُوتُ ﴾<sup>9</sup>، والمقصود بالبرهان في هذه الآية البرهان العقلي<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> العلق: 1-5.

<sup>2</sup> محمد موسى بابا عمي، مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان، ص 36.

<sup>3</sup> الروم: 22.

<sup>4</sup> يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 150.

<sup>5</sup> يونس: 55.

<sup>6</sup> ق: 06.

<sup>7</sup> الجن: 26-27.

<sup>8</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج 4، ص 632.

<sup>9</sup> النمل: 64.

<sup>10</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج 4، ص 632.

وإذا كان القرآن الكريم قد أشاد بالعلم ونوه به، فإنه حكم على أكثر الناس بعدم العلم في آيات عديدة منها:

- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>1</sup>.

- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>2</sup>.

وعندما أثبت العلم لهذه الأثرية، قصره على علمهم بظاهر الحياة الدنيا، وهو علم محدود جدا يتعلق بسنن الأشياء المادية<sup>3</sup>، يقول الله عز وجل:

﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْ لِمَنْ يَشَاءُ رِزْقًا وَيَجْعَلْ لِمَنْ يَشَاءُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾<sup>4</sup>.

فما هو العلم الذي يدعو القرآن الكريم إلى تحصيله، ويعتبر من لم ينله من الذين لا يعلمون؟

إن الآيات السالفة الذكر، التي حكمت على الأثرية بعدم العلم، تتناول مواضيع تتعلق بالإلهيات؛ فالآية الأولى ( الآية 37 من سورة الأنعام) تتعلق بقدرة الله عز وجل المطلقة، التي يجهلها المشركون، أما الآيتان من سورة الدخان، فتتعلقان عن الله عز وجل اللهو والعبث، من خلال بيان أن الكون ما خلق إلا للحكمة، ولكن كثيرا من الناس لا يعون هذه الحكمة، وتتعلق الآيات (4-7) من سورة الروم بسنة الله في نصر العقيدة السماوية والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما<sup>5</sup>، فتصف الذين يجهلون أن وعد الله منجز في نصر المؤمنين على

<sup>1</sup> الأنعام:37.

<sup>2</sup> الدخان: 38-39.

<sup>3</sup> محمد الحسن برهمة: الظاهرة الاجتماعية ونظامها المعرفي في القرآن الكريم، ص 222.

<sup>4</sup> الروم: 4-7.

<sup>5</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ص2755.



الكافرين بالجهل؛ إذ أن عدم الإنجاز يدل على اتصاف الله بالعجز، وهو ما يتنافى مع اتصاف الله عز وجل بالكمال.

فعدم إدراك هذه الحقائق، رغم أن الله تعالى نصب الأدلة لعباده للوصول إلى المعرفة الحققة بالحقائق الكونية الكبرى، يعتبر جهلا فاضحا، يستحق صاحبه أن يوصف بعدم العلم، حتى وإن كان يملك من المعلومات المتعلقة بظاهر الحياة الدنيا الشيء الكثير<sup>1</sup>، فهذا النوع من العلم - أي العلم بظاهر الحياة الدنيا - قد يساعد الإنسان على فهم وتفسير الكثير من الظواهر الكونية، وتلبية حاجياته المادية، ولكنه لا يمنحه الطمأنينة والسكينة، ولا يحقق للإنسانية ما تبتغيه من المصلحة، من وراء اهتمامها بالجانب العلمي.

فسعة المعرفة بالظواهر الكونية، دون أن يكون ذلك مرتبطا بالإجابات الصحيحة عن الأسئلة الفطرية، يجعل من العلم وسيلة للطغيان، وسببا للحيرة والقلق، فالإنسان إذا كان لا يملك المعرفة الكلية التي تعبر عن حقيقة الوجود، لا يستطيع أن يستثمر ما يملكه من معلومات عن الإنسان والكون، فيما يعود عليه بالنفع.

إن وظيفة المعرفة الكلية، تتمثل في تحديد الغايات الأساسية للإنسان من وجوده، حتى يسخر ما يملك لتحقيق هذه الغايات، التي تتجاوز بطبيعتها الأهداف المادية التي تنحصر في "اللذة"، وهو ما يسبغ على الحياة الإنسانية معنى ساميا، يجعلها محلا قابلا لتحقيق الأخوة والتعاون والتوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح، عوض التنافر والتنافس على الثروات، والتركيز على الإنتاج والاستهلاك، وهي المثل التي تسعى لتجسيدها المجتمعات التي تتخذ من تحقيق المطالب المادية للإنسان غايتها القصوى في الحياة، " فالإيمان الحق هو وحده الذي يصل بظاهر الحياة بأسرار الوجود، وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود، والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس، ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية"<sup>2</sup>.

وعلى أساس ما سبق، فالعالم - في الرؤية القرآنية - هو الذي يجمع بين المعرفة بظاهر الحياة الدنيا، التي تشتمل على السنن الكونية أو الاجتماعية، والمعرفة بالله عز وجل وجليل صفاته،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 2758.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة

فيكون علمه المكتسب بعقله وحواسه موصولاً بعلم الله عز وجل الموحى به، وبذلك تكون معرفته متكاملة ومتوازنة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: العلوم الطبيعية في القرآن الكريم:

تطرق القرآن الكريم إلى ظواهر طبيعية مختلفة، في عدد من الآيات تصل إلى أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون، وعن بعض مكوناته وظواهره<sup>1</sup>.

فهل اشتمال القرآن الكريم على هذا العدد الكبير من الآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية يجعل منه مصدرا للعلوم الطبيعية؟

إن التوافق الذي لاحظته العلماء بين الاكتشافات العلمية المعاصرة، وما ورد في القرآن الكريم من حقائق<sup>2</sup>، دفعت بعض العلماء إلى الدعوة إلى "تحويل معطيات النظر في القرآن الكريم إلى علامات وأرقام، وأن نستخرج من كلام الله معلومات نعبر عنها في معادلات رياضية، ونرمز لها بالعلامات والأرقام"<sup>3</sup> اقتداءً بالعلم الحديث الذي يعتمد الرياضيات كلغة للتعبير عن نتائج بحثه في الطبيعة، يقول إبراهيم أحمد عمر: "عندما ننظر في مظاهر الكون لا نرى معادلات جبرية ولا إحصائيات، بالرغم من ذلك، فما من كتاب كتب عن هذه الأشياء بعد نظر فيها إلا حفل بالمعادلات والأرقام والبيانات"<sup>4</sup>.

إننا لا نشك أن ما تضمنه القرآن الكريم من معلومات في كل المجالات يتصف بالصواب المطلق، ولكن الموقف السابق ذكره يدعو للتساؤل: ماهي وظيفة القرآن الكريم؟ وهل اتخاذه مصدرا للعلوم الطبيعية يتناسب مع الغاية التي أنزله الله تعالى لتحقيقها؟

يقول العقاد: "القرآن كتاب عقيدة، يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة في مجال العلم أن يحث على التفكير"<sup>5</sup>. وهذا ما يراه الشيخ محمد عبده؛ فالقرآن الكريم - حسب رأيه - يذكر آثار الله في الأكوان تحريكا للعبرة وتذكيرا بالنعمة وحفزا للفكرة، لا تقريرا لقواعد الطبيعة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> زغلول النجار، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ج3، ص9؛ منتصر محمود

مجاهد، مرجع سابق، ص 08؛ محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ص 65.

<sup>2</sup> زغلول النجار، قضية لإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، ص 91 إلى 100.

<sup>3</sup> ابراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، ص 61.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>5</sup> عباس محمود العقاد: الفلسفة لقرآنية، ص 12؛ ولنفس المؤلف: التفكير فريضة إسلامية، ص 62.

<sup>6</sup> محمد عبده، مرجع سابق، ص 69.

وظاهر الآيات القرآنية المتعلقة بالطبيعة، يؤيد هذا الرأي، فما من آية قرآنية تطرقت إلى ظاهرة طبيعية، إلا وأمرت بالنظر والتفكير في خلق الله عز وجل، كما يتضح من مثل هذه الآيات:

يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>1</sup>. ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُجُجٍ وَالْأَرْضِ مَلْدَنَاهَا وَالْقِيَامَ فِيهَا رَاسِيَاتٍ مُتَسَاوِمَاتٍ تَنَادَى فِيهَا مِنْ كُلِّ صَوْغٍ بِهَيْبَةٍ تَبَصَّرَةٌ وَكُنِيَ لِلْكَوْكَبِ عَجْدٌ مُنْتَابِعٌ﴾<sup>2</sup>. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا هُنَّ لَكُمْ لِقَافٍ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>3</sup>.

ومما يدل على أن التفاصيل العلمية - كما تدرس في العلوم الطبيعية - غير مقصودة في القرآن الكريم، إلا بالقدر الذي يدعو إلى "تحريك العبرة والتذكير بالنعمة وحفز الفكرة" كما قال الشيخ محمد عبده، ما يلي:

أ. عدم عناية القرآن الكريم بالدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة، وعندما تزداد الآيات القرآنية قربا إلى البحث في التفاصيل، فإنها لا تزيد على أن تقرر التناسق، ودقة النظام، والحكمة في تدبير أجزاء الكون، أو تصف المظاهر التي يمكن إدراكها بإحدى الحواس، أو أن تربط بينها وبين أسباب حياة الإنسان<sup>4</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك:

- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا مَقْلُوبًا﴾<sup>5</sup>.
- ﴿وَأَرْسَلْنَا لِلرِّيحِ الْغُلُوقِ فَخَالَزَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الأعراف : 185.

<sup>2</sup> ق: 6-8.

<sup>3</sup> الجاثية: 13.

<sup>4</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن، ص35؛ أحمد محمد حسين الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن

الكريم وتضمناتها التربوية، ص158.

<sup>5</sup> الفرقان: 02.

<sup>6</sup> الحجر: 22.

وعلى الشيخ البوطي إحجام القرآن الكريم عن التفصيل فيما يتعلق بالمعلومات الكونية، واكتفاؤه بإثارة النظر والبحث، بأمرين:

- الأمر الأول، يتمثل في تكريم العقل الإنساني، "فلو شرح معنى قوله (مد الأرض) أو (يعشي الليل النهار) شرحا علميا دقيقا، لألزمك الاعتقاد بمضمون ذلك الشرح، غيبا، قبل أن تكشفه بوسائل بحثك ونظرك، وقد كرم الله عز وجل العقل الإنساني عن مثل هذه الإلزامات الغيبية، في أمور تتوفر إليها سبل النظر والحس"<sup>1</sup>.

- أما الأمر الثاني، فيتعلق بمراعاة الطاقة الإدراكية، لدى كل الناس، فكلمة "كفاتا"، في قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾<sup>2</sup>، تعني عند الأعرابي الجذب والضم، وهو إدراك صحيح، وتعني عند المختصين في دراسات الأرض، جاذبية الأرض، وليس من كلمة تستوعب هذه المعاني التي تبدأ بفهم الأعرابي، وتنتهي بما يفهمه علماء هذا العصر، كما تستوعبه كلمة (كفاتا)<sup>3</sup>.

ب. ما ورد في سورة البقرة، عندما سأل بعض الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلأ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، لا يكون على حالة واحدة"، فأنزل الله عز وجل: ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّوَالِيَّ سِوَى الْبِرِّ بِأَنْ تَأْتُوَالِيَّ وَتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلِكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى وَالِيَّ وَتَ مِنْ أُوَابِحِ مَا﴾<sup>4</sup>.

فالأية عدلت عن الإجابة عن حقيقة سؤالهم، إلى بيان منافع الأهلة في الدين والدنيا، قال ابن عباس: "يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> البوطي، مرجع سابق، ص37.

<sup>2</sup> المرسلات: 25.

<sup>3</sup> البوطي، مرجع سابق، ص28.

<sup>4</sup> البقرة: 189؛ السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، على حاشية: مختصر تفسير الطبري للعلامة أبو يحيى محمد بن صمداح النجيبى الأندلسي، ص 41.

<sup>5</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 266.

وسبب العدول - في رأي الشيخ القرضاوي - يتمثل في فقد السائلين للعلوم والمعارف، التي تمكنهم من فهم حقيقة ما يرونه من تغير في صورة الهلال<sup>1</sup>.

وهذا السبب يصور لنا الحالة العلمية التي كانت عليها الإنسانية وقت نزول القرآن الكريم، ولكنه يشير في الوقت نفسه إلى أن العلوم والمعارف التي تمكن من تفسير حالة الهلال، يستطيع الإنسان اكتسابها، إن استخدم الوسائل المعرفية التي زوده الله عز وجل بها، ولهذا لم يبين الأسباب التي تؤدي إلى تغير شكل الهلال.

فالإجابة التي وردت بها الآية القرآنية الكريمة، تتناسب مع وظيفة القرآن الكريم المتمثلة في هداية الناس إلى السلوك المستقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>2</sup>، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>3</sup>، والنور يشمل الهداية المعنوية، والتوجيه المادي، والضبط الفكري<sup>4</sup>.

ولكن الأمر بالنظر في كتاب الطبيعة، وكون القرآن الكريم كتاب هداية، لا ينفيان ورود إشارات لبعض ما اكتشفه العقل الإنساني، كالانفجار العظيم وتوسع الكون<sup>5</sup>، وهي التي أسس عليها د: أحمد عمر رأيه الداعي إلى اعتماد القرآن الكريم مصدرا للعلوم الطبيعية.

ويظهر أن تحديد الصلة بين القرآن الكريم والعلوم الطبيعية، يتطلب إبراز الطريقة التي تناول بها القرآن الكريم الظواهر الطبيعية.

ولتحقيق هذا الهدف نستعين بالمقارنة بين الكيفية التي تناول بها مسائل الفقه، والكيفية التي تناول بها ظواهر الطبيعة.

فبالنسبة لمسائل الفقه، يفرق القرآن الكريم بين نوعين من القضايا:

<sup>1</sup> القرضاوي، مرجع سابق، ص 217.

<sup>2</sup> الإسراء: 09.

<sup>3</sup> المائدة: 15.

<sup>4</sup> بابا عمي، مرجع سابق، ص 50.

<sup>5</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، مرجع سابق، ص 79، وينظر: زغلول النجار، قضية الإعجاز العلمي، الباب السادس من

ص 167 إلى 249.

أ- القضايا التي لا تخضع لنسبية الزمان والمكان، كالعبادات والميراث والزواج، فهذه يفصل أحكامها، ودور الإنسان هو فهمها وفق الدلالات اللغوية والقواعد الأصولية، ففي الميراث مثلاً، بين الله عز وجل أنصبة الورثة بالتفصيل، كما في قوله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ...﴾<sup>1</sup>.

ب- النوع الثاني، يشمل القضايا الخاضعة للظروف الزمنية والمكانية، فهذه لا يفصل ما يتعلق بها من أحكام، وإنما يضع المبادئ، ويترك التفصيل للإنسان، وذلك كالنواحي السياسية والاقتصادية التي تتغير صورتها من جيل إلى جيل؛ فالشورى مبدأ لا يجوز تجاوزه، ولكن كيفية تطبيق هذا المبدأ يختلف من مكان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، فهل الشورى تكون لكل المسلمين، أم لأهل الحل والعقد، وهل يعين هؤلاء من طرف الحاكم، أم ينتخبون؟.

فالإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها المتعلقة بمبدأ الشورى الوارد في قوله تعالى:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾<sup>3</sup>، لم تفصل في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولهذا فهي خاضعة للاجتهاد<sup>4</sup>.

أما الآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية، فلا تتناول هذه الظواهر بالتفصيل كما في النوع الأول، ولا بالإجمال كما في النوع الثاني من قضايا الفقه، وإنما تكتفي بتوجيه الإنسان إلى البحث في كتاب الطبيعة المفتوح، وتحدد له معالم معينة حتى لا تذهب جهوده سدى، وبالتالي يكون ما يصل إليه من اكتشافات سبيلاً يوصله إلى معرفة الحق، يقول الكيلاني: " يحث القرآن الكريم الإنسان على التفكير والبحث، بعد أن حدد له معالم معينة توصله إلى قراءة كتاب الكون واكتشاف البراهين العملية على وجود الله وعظمته والتعرف على تفاصيل صفاته واستخراج خزائن نعمه"<sup>5</sup>.

ومن هذه المعالم:

<sup>1</sup> سورة النساء الآية 11، وينظر تنمة الآية 11، الآية 12، الآية 175 من نفس السورة.

<sup>2</sup> آل عمران: 159.

<sup>3</sup> الشورى: 38.

<sup>4</sup> ينظر عبد الكريم زيدان، خصائص الإسلام، ص 21 إلى 28.

<sup>5</sup> الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 21.

أ. توجيه الإنسان للبحث في عالم الشهادة، لاشتماله على ما يقع تحت الإدراك الإنساني، بالحس أو بالعقل، ولهذا يرد ذكره في القرآن الكريم مقرونا بما يحث الإنسان على النظر والتفكير فيه، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ فُجِّعَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبِّ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾<sup>1</sup>.

أما عالم الغيب، فلا يمكن للعقل تصوره، ولا يدخل تحت المقاييس الحسية، ولهذا فالوحي هو المصدر الوحيد للتعرف عليه، لأن علمه ملك لله تعالى وحده، إلا من أطلعه الله تعالى من الرسل، وقد وردت آيات عديدة، تبين ذلك، منها:

- ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يُظَاهِرَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّيْبَةَ جِي مِنْ رُسُلِهِ مِنْ يَشَاءُ﴾<sup>2</sup>.

- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>3</sup>.

- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُلِهِ...﴾<sup>4</sup>.

وإذا كان القرآن الكريم، يفرق معرفيا بين العالمين، فإنه يثبت في آيات عديدة ما يوحي بالتكامل بينهما، ومما يدل على ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَقِ حُوفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيَسْبِغُ الرِّعْلَ مَلَهُ وَالْمَلَأَ ثَكَّةً مِنْ خَيْفَتِيهِ بِرِيسَلٍ الصَّوَاعِقِ فِيهِ صَيْبٌ أَمْ مِنْ يَشَاءُ وَهُمْ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَلِيدُ الْمَحَالِ﴾<sup>5</sup>، فجميع الموجودات، سواء كانت غيبية أم مادية تخضع لإرادة الله تعالى، وتنطق بوحدانيته<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الغاشية: 17-20.

<sup>2</sup> آل عمران: 179.

<sup>3</sup> النمل: 65.

<sup>4</sup> الجن: 26-27.

<sup>5</sup> الرعد: 12-13. والمحال: المحاولة، وهي شدة المماكرة والمكابدة، ومعناها في الآية أنه شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون. الرمخشري، المرجع نفسه، ج3، ص520.

<sup>6</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص2051؛ الدغشي، مرجع سابق، ص138.



2 - إقامة الكون دليلاً لمعرفة القضايا الكبرى في عالم الغيب، كوجود الله تعالى وإثبات اليوم الآخر، فالأمر بالنظر. كما سبق الذكر. يهدف إلى الاستدلال بالكون على المكون وبالأثر على المؤثر<sup>1</sup>، أما التفصيلات العقديّة فلا سبيل للعلم بها إلا الوحي.

3 - إمداد الإنسان بالعلم المتعلق بعالم الغيب، لتكون غايات الإنسان في الحياة الدنيا سامية، تتجاوز المطالب المادية إلى ما يتناسب مع فطرته التي خلقه الله عليها، والفطرة كما وردت في قوله تعالى: ﴿فَقَامَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾<sup>2</sup>، تعني إعداد الإنسان وتهيئته للاستدلال على وجود الله تعالى ومعرفة شرائعه<sup>3</sup>.

ب - التأكيد على مفهوم القوانين الكونية<sup>4</sup>، ولولا ذلك لما أمكن تسخير الطبيعة، يقول الله عز وجل: ﴿لَا الشَّمْسُ بِغِيٍّ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ بِسَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>5</sup>.

فالقرآن الكريم يعرض ترابط الحوادث، وانتظام سيرها وفق قوانين لا تتبدل ولا تتغير، يسميها سنن الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَجِدَ أُمَّةً تُبَدِّلُهَا﴾<sup>6</sup>، مثال ذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي سَحَابٍ ثُمَّ يُنْفِثُ فِيهِ مَاءً فَيُخْرِجُ مِنْ خَلَالِهِ نَضْرًا﴾<sup>7</sup>، ففي الآية الكريمة بيان لكيفية نزول المطر؛ حيث يدفع الله تعالى السحاب من مكان إلى مكان، ثم يجمعه فيصير ركاما، فإذا ثقل خرج منه الماء<sup>8</sup>، والعملية كما تقررها الآية مطردة لا مكان فيها للصدفة ولا للاستثناءات.

ويدخل ضمن هذا الإطار، اعتناء القرآن ببيان أن الحوادث الطبيعية تسير وفق مقادير دقيقة، فالله عز وجل يقول: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾<sup>9</sup>، ويقول أيضا: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

<sup>1</sup> القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، ص258.

<sup>2</sup> الروم: 30.

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص55.

<sup>4</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، المرجع نفسه، ص59.

<sup>5</sup> يس: 40.

<sup>6</sup> الاحزاب: 62.

<sup>7</sup> النور: 43.

<sup>8</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص252؛ محمد المبارك، مرجع سابق، ص29.

<sup>9</sup> الفرقان: 02.

عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ ﴿١﴾، والقدر هو تقدير الله لحوادث المخلوقات، أي لخلقها وأعمالها وحياتها وفقا لحساب مقدر ولكميات محسوبة<sup>2</sup>.

وإقامة الكون على قوانين ثابتة، وخلقها وفق مقادير مضبوطة، يعني قابليته للمعرفة والتسخير، إضافة إلى دلالة على حكمة الخالق الذي أكمل صنعة كل شيء، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه، والذي حدد لكل مخلوق وظيفته، فهداه إلى أدائها<sup>3</sup>.

وبذلك أقصى التعليل الخرافي القائم على ربط الحوادث ربطا اعتباطيا، لا ينضبط نظامه وقانونه<sup>4</sup>.

وما ورد في القرآن الكريم من إشارات لبعض الحقائق الكونية، يمكن إدراجه ضمن تأكيد ما سلف ذكره من أن الكون يسير وفق سنن كونية، ومن الواجب على الإنسان أن يعمل من أجل اكتشاف هذه السنن، ولهذا نجد أصحاب مدرسة "الإعجاز العلمي في القرآن"، يأخذون هذه الإشارات، ويقومون بتفسيرها وفق معطيات العلم الحديث، الذي هو نتاج النظر في ملكوت السماوات والأرض<sup>5</sup>، مما يدل على أن القرآن الكريم ليس كتاب علوم طبيعية، وإنما هو كتاب هداية للبشرية لما يحقق مصالحها، ولما كانت هذه العلوم ذات أهمية بالنسبة للإنسان، فقد اعتنى القرآن الكريم بالدعوة إلى النظر في كتاب الطبيعة.

ج- بيان الغاية من البحث في الطبيعة، والمتمثلة في معرفة الله عز وجل وتحقيق العبودية بعمارة الأرض وفق الإرادة الربانية، ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْشَاتٍ وَغَيْرَ مَّعْشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزُّيُوتَ لِمَنْ أَكَلَهُ وَالزُّيُونَ وَالرُّمَانَ فَتَشَابَهًا لِّغَيْرِهِ وَسَابِغًا لِّكُلِّ لَوْنٍ﴾

<sup>1</sup> الرعد: 08.

<sup>2</sup> محمد المبارك، مرجع سابق، ص31.

<sup>3</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد السادس، ص3883؛ محمد متولي الشعراوي، المختار في تفسير القرآن الكريم، ج3، ص9-14.

<sup>4</sup> محمد المبارك، مرجع سابق، ص111.

<sup>5</sup> ينظر: زغلول النجار، مرجع سابق، نفس الصفحات؛ ولفظ المؤلف، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ج3، (كله).

مَنْ تَمَرَّدَ ذَا أَمْرٍ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفِشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَبْغُوا وَاسْطِغُوا خَطَايَا لَشَيْءٍ طَائِنًا إِنَّهُ لَكُمْ عُلُوٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾ .

فهاتان الآيتان الكريمتان جاءتا للتذكير بوحداية الله عز وجل، وللنهى عن الإسراف في الاستهلاك، وللتحذير من إتباع طرق الشيطان، في معرض ذكر ظواهر طبيعية، تتمثل في تنوع الأشجار والنبات المسخر للإنسان<sup>2</sup>، وهو ما يعني الترابط بين النظر في الطبيعة لدراستها وبين الغاية من وجود الإنسان، فالبحث في الطبيعة وسيلة من وسائل تحقيق ما خلق لأجله الإنسان.

**وخلاصة القول:** أن القرآن الكريم ليس كتابا في العلوم الطبيعية، بمعنى أنه لا يتناول التفصيلات والكميات وخصائص المواد وتركيبها، كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وإنما كتاب هداية، وهدايته في مجال "البحث في الطبيعة" تتمثل في توجيه الباحث للبحث فيما يتناسب وقدراته الإدراكية، وبيان أن ما يصل إليه من حقائق ومعلومات وسيلة وليس غاية، أما الغاية فتتلخص في عبادة الله عز وجل، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>3</sup>.  
فكيف نحقق هذه الغاية بدراسة العلوم الطبيعية؟ هذا ما سنبحثه إليه في الفصل الرابع.

### المبحث الثالث: حكم البحث في العلوم الطبيعية:

صنف عبد الرحمان بن خلدون العلوم إلى صنفين:

<sup>1</sup> الأنعام: 141-142.

<sup>2</sup> ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص 206-207.

<sup>3</sup> الذاريات: 56.

أ- صنف طبيعي: يهتدي الإنسان بفكره إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها.

ب- وصنف نقلي: يشمل العلوم النقلية الوضعية، وهي المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال للعقل فيها إلا في إلحاق الفروع بالأصول<sup>1</sup>.

والعلوم الطبيعية هي من الصنف الأول، أمر القرآن الكريم بالبحث فيها - كما تبين لنا في المبحث السابق - تاركاً الحرية للإنسان لاستكشاف القوانين الطبيعية، وتفسير ظواهرها المختلفة، باستخدام ما وهبه الله عز وجل من نعمة العقل والحواس.

فهل الأمر بطلب هذه العلوم يفيد الوجوب؟

يرى الإمام أبو حامد الغزالي، أن كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب الذي هو ضروري لبقاء الأبدان، والحساب الذي هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث... فهو فرض كفاية<sup>2</sup>.

ويؤيد الشيخ القرضاوي رأي أبي حامد الغزالي، حيث يرى أن "التفوق في العلوم الطبيعية يمكن من إنشاء أمة قوية عزيزة مكثفية بذاتها، قادرة على التصدي لأعدائها، ويساهم في درء الأخطار المحدقة بالإنسانية نتيجة انفصال العلم عن الإيمان؛ فالعلم في الجانب العسكري يهدد البشرية بأسلحة الدمار الشامل، كما أصبح وسيلة لصناعة أدوية غير مأمونة، ولا علاج لذلك إلا بأن يكون العلم في حضانة الإيمان، وأن يدور في فلك القيم والأخلاق، وهذا ما يوفره الإسلام لأهله"<sup>3</sup>.

وهذا الحكم - أي كون العلوم الطبيعية فرض كفاية - تدل عليه النصوص القرآنية ويتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، كما يتضح مما يلي:

<sup>1</sup> عبدالرحمان بن خلدون، مرجع سابق، ص 456، وهذا التصنيف هو الذي أخذت به المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربعة المتعقدة بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ينظر: أحمد محمد حسين الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، ص 47.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص 16.

<sup>3</sup> يوسف القرضاوي، تيسير الفقه للمسلم المعاصر، ج1، ص 199.

أ- طلب العلم فرض كفاية على الأمة، لقوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>1</sup>، فلم يوجب الله عز وجل على الجميع النفي لطلب العلم، وإنما أوجبه على طائفة من كل فرقة<sup>2</sup>.

ب- مفهوم العلم في الإسلام، لا يقتصر على العلوم الدينية فقط، فكما أمر الله عز وجل بطلب العلوم النقلية، أمر كذلك بالنظر في السماوات والأرض، لاستكشاف سنن الله تعالى في خلقه، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ اسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾<sup>3</sup>.

ومما يجدر ذكره هنا، أن عدد الآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية، هو ضعف الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، فعدد هذه الأخيرة تقدر بحوالي خمسمائة (500) آية<sup>4</sup>، في حين تبلغ عدد الأولى أكثر من ألف (1000) آية، كما ذكرنا، وفي ذلك دلالة على أهمية البحث في الطبيعة.

ج- إن التمكن من العلوم الطبيعية، ضروري لتحقيق غايتين من غايات الشريعة الإسلامية، تتعلق الأولى بمعرفة الله عز وجل وإدراك عظمته، فالعلوم الطبيعية بفروعها المختلفة، تكشف أن النظام والإبداع في الكون يدلان على خالقه العليم القدير<sup>5</sup>، وكلما كانت المعرفة بصنعة الموجودات أتم، كانت المعرفة بالله عز وجل أكمل<sup>6</sup>.

أما الغاية الثانية، فتتعلق بعمارة الأرض، فالإنسان مطالب باستغلال خيرات الأرض، وتعميرها وفق المنهج الرباني، ولا شك في أن العلوم الطبيعية تفتح أمام الإنسان أفقا واسعة لتحقيق هذه الغاية.

وبناء على ما سبق، تعتبر العلوم الطبيعية من العلوم التي لا يجوز للأمة التقصير فيها، تنفيذاً لأمر الله عز وجل، وسعياً وراء تحقيق مقاصد الإسلام.

<sup>1</sup> التوبة: 122.

<sup>2</sup> القرضاي، مرجع سابق، ص 198.

<sup>3</sup> العنكبوت: 20.

<sup>4</sup> برهان الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص3، وينظر كذلك: محمد علي الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، (كله).

<sup>5</sup> جون كلوفر مونسيم، الله يتجلى في عصر العلم، (كله).

<sup>6</sup> أبو الوليد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ص24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع : قيمة العلوم الطبيعية:

مما سبق ذكره في المبحث الثالث، يتبين لنا أن العلوم الطبيعية، لها موقع متميز، ضمن العلوم التي يدعو الإسلام إلى تعلمها، فالحكم بوجوبها، يعني أن الأمة مطالبة بالاعتناء بها، وتكوين متخصصين فيها، ومما يؤكد أهمية هذه العلوم، دينيا ودينيويا، ما يلي:

1. تزويد الله عز وجل للإنسان بالاستعداد الفطري للتعلم والفهم، بمنحه علم الأسماء، يقول الله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>1</sup>، ومعنى تعليمه الأسماء، أنه أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير...، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدينيوية<sup>2</sup>، وهذا الذي يسمى في العصر الحديث، وفي العصور السابقة (اليوناني والإسلامي) بالعلوم الطبيعية<sup>3</sup>.

2. منح الله تعالى الإنسان - إضافة إلى الاستعداد الفطري - وسائل للتعرف على الكون والكشف عن القوانين التي تحكمه، يقول الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ يُخَوِّجُكُم مِّنْ طُورِ أُمَمَاتِكُمْ لَأَتَّعِبُونَكُمْ شَيْئًا وَلِيَجَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>4</sup>.

3. اعتبار الإسلام معرفة الطبيعة، وسيلة ضرورية لتحقيق بعض الغايات التي خلق الإنسان لأجلها؛ فالآيات (30-31) من سورة البقرة، جعلت البحث في العلوم الطبيعية من متطلبات تحقيق الخلافة في الأرض، يقول سيد قطب في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴾<sup>5</sup>، يقول: "شاءت المشيئة العليا أن تسلم الإنسان زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الله في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكله الله بها"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> البقرة: 31-32.

<sup>2</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص 126؛ سيد قطب، مرجع سابق، المجلد الأول، ص 56.

<sup>3</sup> محمد شهاب الدين الندوي، بين علم آدم والعلم الحديث، ص 9.

<sup>4</sup> النحل: 78.

<sup>5</sup> البقرة: 30-31.

<sup>6</sup> سيد قطب، مرجع سابق، نفس الصفحة، وينظر: منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 29-31.

ولقد أبرزت الآية 78 من سورة النحل هذه المهمة، والمتمثلة في شكر الله عز وجل، بإدراك نعمه، والإيمان بالله الواحد المعبود<sup>1</sup>، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>2</sup>.

4. ويذكر أبو حامد الغزالي، أن العلوم الطبيعية ذات أهمية، لكونها تعرفنا بأفعال الله تعالى، فالشفاء، المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>3</sup>، لا يعرفه إلا من عرف علوم الطب، ولا يعرف الطب إلا بمعرفة المرض وأسباب الشفاء، وتقدير سير الشمس والقمر بحسبان الوارد في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ سَبَّانِ﴾<sup>4</sup>، لا يعرف إلا بمعرفة علوم الفلك، وهكذا فجميع العلوم تعرفنا بتفاصيل أفعال الله تعالى، وبذلك فهي تعرفنا بالله تعالى<sup>5</sup>.

### المبحث الخامس: خصائص المعرفة العلمية في القرآن الكريم:

تتميز المعرفة العلمية في القرآن الكريم بجملة من الخصائص، منها:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، المجلد الرابع، ص 2186.

<sup>2</sup> النحل: 78.

<sup>3</sup> الشعراء: 80.

<sup>4</sup> الرحمن: 05.

<sup>5</sup> أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد القباني، ص 44-47.



**الخاصية الأولى: الفصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب :** فعالم الغيب يختص به علم الله وحده، يوحي بما يشاء من أمره على من يشاء من عباده<sup>1</sup>، وواجب الإنسان التلقي عن الأنبياء، - عليهم السلام - ما أوحاه الله عز وجل إليهم والعمل بمقتضياته، فلا يمكن معرفته بوسائل الإدراك الإنسانية من حس وعقل، ولهذا لما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الروح، وهو أمر غيبي، أجابهم القرآن الكريم: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَوْ تَرَى مِنْهُنَّ لَمَّا خَلَّيْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>2</sup>، أي هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأشياء التي لم يعلم بها عباده<sup>3</sup>، ولما كان الروح جسماً مخالفاً بالمهية لهذا الجسم المحسوس<sup>4</sup>، لم يتقدم العلم الحديث ولو قيد أنملة في مجاله، رغم وجود الآلات والمعدات<sup>5</sup>.

أما عالم الشهادة فهو العالم الخارجي، أو عالم الوجود المشاهد المخلوق بتدبير وحكمة إلهية. يقول الدسوقي في تعريفه: "هو هذا الوجود المادي الواقع تحت الإدراك الحسي للإنسان، أو الذي يمكن أن يقع تحته، ومن خصائصه أنه معقول الذات قابل للوجود الإنساني، إذا توفرت أسباب الشهود"<sup>6</sup>.

وهذا العالم يتصف بالنظام والتناسق بين أجزائه المختلفة، مما يمنحه خاصية الحركة داخل إطار ثابت؛ فهو في حركة دائمة وفي تغير دائم، ولكنه يتحرك مع استيفاء حقيقته الأصلية<sup>7</sup>.

وباتصاف الكون بالنظام، يستطيع الإنسان أن يبحث فيه لاستكشاف القوانين التي تحكمه، بما وهبه الله عز وجل من نعمة العقل و الحواس.

**الخاصية الثانية: التكامل بين مصادر المعرفة:** "فالعقل والمنطق والإدراك الإنساني، هو عقل صحيح، إذا وجه سعيه نحو عالم الشهادة وسعى إلى حمل مسؤوليته في أداء دوره في خلافة عالم الشهادة على ما سدد الله تعالى به رؤيته من علم عالم الغيب، بتحديد الغايات والمعايير

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص: 102.

<sup>2</sup> الإسراء: 85.

<sup>3</sup> محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص 244. 245، وينظر الزمخشري، ج2، ص 690.

<sup>4</sup> ابن القيم الجوزية، الروح، ص 254.

<sup>5</sup> باحمد ارفيس، مراحل الحمل والتصرفات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، ص 143؛ عبد المحسن

صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، ص 133.

<sup>6</sup> فاروق الدسوقي، الإسلام والعلم التجريبي، ص 42.

<sup>7</sup> منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 49.

بالمصائر والعواقب، تمكيننا للإنسان في الأرض، ومسؤوليته في تسخيرها وإعمارها على وجه العدل والإحسان" <sup>1</sup>.

وعلى هذا الأساس، تتكامل - في إطار الرؤية القرآنية - العلوم المختلفة، فأحكام العقيدة والأحكام الأخلاقية والأحكام الفقهية العملية والعلوم المتعلقة بالطبيعة، كلها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة، وهي توحيد الله عز وجل وتنفيذ إرادته في الكون <sup>2</sup>، وهذه الآية من سورة البقرة نموذج لذلك، يقول الله عز وجل: ﴿ مَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ لَعْنَتُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ مَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْهَلُوا لَهُ أَنْدَادًا إِنَّتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>3</sup>؛ فهذا النداء الداعي إلى توحيد الله تعالى، يشير إلى أن مفهوم التوحيد واسع، فهو يشتمل على ما يأتي:

. تنفيذ أمره والتزام طاعته، وهو ما يوحي به اللفظ "اعبدوا"، فالعبادة تعني الخضوع لله تعالى بحب <sup>4</sup>، وذلك يقتضي معرفة الأحكام الفقهية التي تبين كيفية الخضوع لله تعالى.

. النظر في مخلوقاته من أرض وسماوات والتأمل في دلائل الوجدانية، فقد ذكر الله تعالى في هذا النداء ثلاثة عناصر، وهي الأرض والسماوات والماء، ونبه للعلاقة المتينة التي تربط بين الإنسان وبين هذه العناصر، لتحفيز الإنسان للنظر والبحث في هذه المخلوقات، وهو ما تدرسه العلوم الطبيعية.

. التعامل مع المخلوقات التي سخرها الله تعالى للإنسان وجعلها في خدمته ولتحقيق راحته يكون وفق ضوابط أخلاقية، فإذا كانت الأرض هي السكن المريح للإنسان، والسماوات هي التي توفر له الضوء والهواء وغيرها من العناصر، والماء هو مادة الحياة الرئيسية، فالمطلوب من الإنسان استغلال هذه العناصر بحكمة حتى لا يلحق بها الضرر.

إن الوحي هو الذي يمد الإنسان بالمعرفة الكلية والغايات الربانية، فيما لا يملكه من معرفة أو إدراك مما هو وراء علمه وإدراكه، أما الحواس والعقل، فهي الوسائل التي يكتسب بها الإنسان

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 106.

<sup>2</sup> محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، في مدارس أجراها معه الأستاذ عمر عبيد حسنة، ص 62.

<sup>3</sup> البقرة: 21-22.

<sup>4</sup> يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص 29.

العلم بعالم الشهادة، وما ينطوي عليه هذا الكون من شؤون الفطرة من سنن وطبائع وإمكانات ليسخرها ويقوم على أمرها بالإصلاح والإعمار، على ما يقتضيه التوجيه الإلهي والغاية الإلهية الخيرة<sup>1</sup>، وبهذا يكون علم الإنسان، ومنه العلم الطبيعي، علماً نابعا من الإيمان ومنتمياً إليه.

الخاصية الثالثة: تتمثل في الدعوة إلى اعتماد المنهج المعرفي الملائم لطبيعة الموضوع، فإذا كان عالم الغيب يعرف بالوحي، فعالم المادة (عالم الشهادة)، يمكن إدراكه بالوسائل المعرفية التي وهبها الله عز وجل للإنسان، ولهذا تكرر الأمر بالنظر فيما خلق الله عز وجل، في القرآن الكريم من ذلك قوله عز وجل: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>2</sup>، " والنظر يعني الرؤية الحقيقية بالمشاهدة العينية لكل ما هو مقصود رصده من قبل الباحث، حيث أنه يعمد ببصره ليتربط الظواهر، وهذا ما تعنيه الآية بفعل الأمر بالنظر في السماوات والأرض والإجابة عن السؤال: ماذا؟"<sup>3</sup>.

ولما كانت الملاحظة والتجربة لا تكفيان في تفسير المعطيات الحسية والربط بينهما، أمر الله عز وجل باستعمال العقل للبرهنة والتأمل والتفسير، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾<sup>4</sup>، وإمكانية الإدراك بهذا المنهج قائمة، مادام الكون يسير وفق قوانين كونية ثابتة لا تتغير.

ومما يجب التنويه به، أن الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والتعقل لفهم الظواهر الطبيعية، كانت نقلة نوعية في تاريخ الإنسانية، فقبل نزول القرآن الكريم، كانت الخرافات وعبادة قوى الطبيعة هي المسيطرة على الفكر الإنساني والحياة الإنسانية، " فأرسطو وأفلاطون - وهما من كبار الفلاسفة - كانا يعتبران الكواكب والنجوم كائنات إلهية"<sup>5</sup>، وكان أرسطو يلجأ إلى التفسيرات القبلية، ويتجاهل الحقائق، كما فعل من بعده الفلاسفة

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 105-106.

<sup>2</sup> يونس: 101.

<sup>3</sup> منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 67.

<sup>4</sup> العنكبوت: 20. مهدي كلشي، مرجع سابق، ص 91، وينظر جمال ميموني ونضال قسوم، مرجع سابق، ص 59.

<sup>5</sup> وولتر ستيتش، مرجع سابق، ص 141.

المدرسيون، " بل كان الأمر أشد سوء لأنهم رجعوا إلى كتابات أرسطو لتقرير الوقائع التي كان يجب أن تتقرر بالرجوع إلى الطبيعة" <sup>1</sup>.

وهذا ما يفسر عدم تطور العلوم الطبيعية إلا في ظل الحضارة الإسلامية، واستمرار هذا التطور في ظل الحضارة الغربية، التي أخذت من الحضارة الإسلامية المنهج العلمي الصحيح، القائم على النقد البناء لمن تقدم، وبناء المعارف على المشاهدات والتجريبات، وعدم الاكتفاء بالمقدمات العقلية إذا لم تؤيدها التجربة <sup>2</sup>.

### الخاصية الرابعة: نسبية المعرفة عند الإنسان: فالحقائق لا تكشف عن نفسها، ولا

يكشفها العقل دفعة واحدة، بل تأتي على سبيل التدرج <sup>3</sup>، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا بَيْتُ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا لَأَمْلَأَ بِلَا﴾ <sup>4</sup>، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ <sup>5</sup>، فما يصل إليه الإنسان من علم في أي عصر ليس هو القانون النهائي، ولكنها مرحلة معرفية أرقى من سابقتها، وأدنى من لاحقتها في سلم الترتي المعرفي اللانهائي، إذ يستحيل حصر أنساق الخلق والإبداع الإلهي <sup>6</sup>.

فالدراسات العلمية تتناول أجزاء محدودة من الكون وظواهره، وبمعزل عن بعضها البعض، ولا تتناول كافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه، مما يجعل الوصول إلى الحقيقة العلمية هدفاً أسمى يسعى إليه العلماء ممن خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم، وهذا ما عبر عنه ماكس بلانك بقوله " إن الباحث يستمد الرضا والسعادة من النجاح الذي يصاحب البحث عن الحقيقة لا في امتلاك ناصيتها" <sup>7</sup>.

ويترتب على هذه الخاصية:

<sup>1</sup> مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup> ينظر فؤاد سركين، محاضرات في تاريخ العلوم، ص 18-19؛ محمد أبطوي، من علم الخيل إلى علم الأثقال: ولادة ثانية للميكانيكا (محاضرة)، ص 96؛ منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 112-116.

<sup>3</sup> منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 26.

<sup>4</sup> الإسراء: 85.

<sup>5</sup> طه: 114.

<sup>6</sup> أحمد فؤاد بشا، مرجع سابق، ص 142؛ لؤي الصافي، إسلامية المعرفة: من المبادئ المعرفية إلى الطرق الإجرائية، ص 14-15.

<sup>7</sup> أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ص 140.

أ- التسليم بأن البشر متفاوتون في المعرفة يقول الله عز وجل: ﴿ نَزُّعَ كَوَّجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ نَبِيٍّ عِلْمَ عَالَمٍ ﴾<sup>1</sup>.

ب- التسليم بقصور العقل البشري عن الإحاطة بكل شيء علما، يقول الله عز وجل: ﴿ يَلْمِزُ مَا يَلْمِزُ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾<sup>2</sup>.

وقد كان لهذه الخاصية أثرها في علماء الإسلام، إذ جعلتهم ينظرون إلى ما أثر عمن تقدمهم نظرة نقدية في ضوء المعايير العلمية، لأجل الوصول إلى الحقيقة، فالعلم ليس نقلا عن السابقين، أيا كان حظ هؤلاء من التوفيق، وإنما العلم بحث وتمحيص ونقد، وبذلك ساهموا في تقدم العلوم<sup>3</sup>.

وإلى جانب هذا الأثر، فهي تشعر الباحث بالحاجة إلى العلم الإلهي المبثوث في آيات الوحي الذي يتصف بالكمال والإطلاق لترشيد البحث العلمي، وضبطه بالقيم القرآنية، حتى يكون في خدمة الإنسانية.

<sup>1</sup> يوسف: 76.

<sup>2</sup> البقرة: 255.

<sup>3</sup> محمد أبطوي، مرجع سابق، نفس الصفحة.

## الفصل الرابع

### قيم العلوم الطبيعية في القرآن الكريم

المبحث الأول: ضرورة القيم القرآنية في العلوم الطبيعية.

المبحث الثاني: القيم القرآنية للعلوم الطبيعية.

المبحث الثالث: خصائص القيم القرآنية.

### تمهيد:

تبين لنا في الفصل الثالث أن العلوم الطبيعية، وفق النظرة القرآنية وسيلة لتحقيق القيم السامية التي تناسب مكانة الإنسان في الكون، وليست غاية في حد ذاتها كما كان يعتقد اليونان، أو وسيلة لإشباع الحاجات المادية فقط، كما هو الحال في الحضارة الغربية الحديثة.

فما هي القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية؟

وإلى أي مدى يمكن أن تعالج ما ترتب على التقدم العلمي الحديث من سلبيات على الإنسان والبيئة المحيطة به؟

ولإجابة على هذه الأسئلة، سنتناول المباحث الآتية:

. ضرورة القيم القرآنية في العلوم الطبيعية.

. القيم القرآنية للعلوم الطبيعية.

. خصائص القيم القرآنية.

## المبحث الأول: ضرورة القيم القرآنية في العلوم الطبيعية:

ما ترتب عن التقدم العلمي الباهر في القرن التاسع عشر والقرن العشرين, يدفع إلى التساؤل عما ينقص هذه العلوم لتؤدي دورها المنوط بها لإسعاد الجنس البشري, وتلبية مطالب الإنسان الذي يتميز عن باقي الكائنات في شكله وبنيته النفسية والجسدية, ولتفادي الأخطار الناتجة عن الإنجازات العلمية, والتي أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

لقد تناول هذه القضية "فؤاد زكريا", وكان الحل الذي اقترحه يتمثل في القيام بأبحاث علمية كافية قبل التطبيق التكنولوجي, إذ أن سبب المشكلة . في رأيه . يتعلق بالتسرع في تحويل المكتشفات العلمية إلى منجزات مادية, دون دراسة الأضرار المحتملة التي يمكن أن تترتب عنها<sup>1</sup>.

ولكن واقع العلوم الطبيعية والتطبيق التكنولوجي الناتج عنها, يبين أن المشكلة ليست في عدم إدراك الأخطار الناجمة عن التكنولوجيا؛ فإبادة الملايين من البشر تم بعد نجاح التجارب النووية, ومعرفة قوة تدميرها؛ فرغم المحاولات التي قام بها مختبر القنبلة الذرية لإقناع القيادة العسكرية الأمريكية بعدم استعمالها لقوتها التدميرية, إلا أن محاولاته باءت بالفشل<sup>2</sup>, واستعمال مبيدات الآفات الزراعية مستمر, رغم الأضرار الجانبية الخطيرة التي تنجم عنها<sup>3</sup>.

### فأين المشكلة إذن ؟

إن العلوم الطبيعية بالمفهوم الذي ذكرناه, وهو دراسة الوقائع الجزئية الجامدة كموضوعات الطبيعة والكيمياء والفلك, أو الكائنات الحية كموضوعات الطب ووظائف الأعضاء<sup>4</sup>, -إنها بهذا المفهوم- حيادية, ولكن هذا المفهوم الحيادي لا يمكن فصله عن أمرين:

أ- بناء المفاهيم, فعادة ما تعكس صياغتها الفلسفة التي يتبناها العالم<sup>5</sup>, والعلم الحديث - كما تبين لنا في الفصل الثاني - يستمد مقولاته من الفلسفة المادية .

<sup>1</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 177.

<sup>2</sup> عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعملة، مرجع سابق، ص 192.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> فاطمة إسماعيل، مرجع سابق، ص 188.

<sup>5</sup> مشهد سعدي العلاف، مرجع سابق، ص 05؛ عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، مرجع سابق، ص 86.



ب- الأمر الثاني، يتعلق بالغاية من دراسة الطبيعة؛ فلماذا ندرسها: لأجل تحقيق المنفعة المادية، أم لبناء نظام عقلائي شامل، أم لكل ذلك؟<sup>1</sup>.

والعلوم الطبيعية بواقعها الحالي، وسيلة لتحقيق رغبات الناس المادية بلا ضوابط، وبلا موازنة بين المنافع والأضرار، وبالرغم من ظهور دراسات، تتناول ما يمكن أن يترتب على بعض المنجزات العلمية من أضرار، إلا أنها في الغالب تبقى حبرا على ورق بسبب هيمنة العقل المادي على الغرب؛ فهو عقل لا يتعامل إلا مع حركة المادة والجانب المادي للإنسان، مع إهمال القيم، أما الظواهر الإنسانية فلا يستطيع التعامل معها لافتقاده للمعايير الأخلاقية أو الإنسانية أو الدينية<sup>2</sup>.

ومن هذا المنطلق، يمكن تحديد الأسباب الداعية للاهتمام بالقيم القرآنية، لتجاوز ما أفرزته المادية من سلبيات، وترشيد مسار العلم وتوجيهه لتحقيق مصلحة الإنسان:

أ- طبيعة الإنسان ذات البعدين، المادي والروحي، تقتضي الاهتمام بالبعدين معا، فإذا كانت العلوم الطبيعية تتعلق بالبعد المادي، فإن القيم الفكرية والخلقية والجمالية هي التي لها علاقة بالبعد الروحي<sup>3</sup>.

ب- عجز الحضارة الغربية المعتمدة أساسا على العلم الطبيعي، عن تقديم إجابات عن الأسئلة النهائية، حيث غابت النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان، وعوضت بالتركيز على المطالب المادية<sup>4</sup>، مما أدى إلى شعور الإنسان الغربي باليأس والقنوط، والذي تجلى في حالات الانتحار، والأمراض العقلية والإدمان على الكحول وغير ذلك... وهذا ما يدل على أنه من المستحيل عمليا أن يحيا الإنسان حياة واحدة منذ اللحظة التي توقف فيها أن يكون نباتا أو حيوانا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سيد حسين نصر، مرجع سابق، ص14.

<sup>2</sup> عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحدأة والعولمة، ص191.

<sup>3</sup> روبرت أغروس، جورج ستانسيو، مرجع سابق، ص90.

<sup>4</sup> طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص17.

<sup>5</sup> علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص28، وينظر كذلك: من ص115 إلى126.

ج- تضخم الذات البشرية على حساب القيم العقلية والروحية، بسبب التركيز على استغلال التقدم العلمي لتحقيق المطالب المادية، مما أفرز:

- طغيان الإنسان.

- تكريس الصراع بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة، بدل السلام.<sup>1</sup>

د- العلم سلاح ذو حدين، يمكن استعماله في الخير، كما يمكن أن يكون أداة لكل شر<sup>2</sup>، ولهذا وجب تزويد الإنسان المتحكم في العلم، بقيم توجه مساره الوجهة الصحيحة، وتكشف له عن الاستخدام الأمثل لمعارفه .

هـ - فصل العلم الطبيعي عن القيم الإنسانية، أنتج علماء يجهلون كل ما لا يدخل تحت تخصصهم ومعارفهم<sup>3</sup>، وهذا ما يقتضي دراسة القيم لإعطاء دارسي العلوم الطبيعية صورة كاملة عن الحياة بمختلف مجالاتها، وتعرفهم بما يجب أن يكون عليه حال الإنسان والمجتمع والبيئة، وعلاقة كل ذلك بالله عز وجل، ودور العلم في تحقيق هذا المطلب الغائي أو القيمي.

و- تجرد العلوم الطبيعية عن القيم، تولد عنه صنع كل ما كان ممكنا بغض النظر عن الضوابط الأخلاقية، التي تضمن كرامة الإنسان وترشد سلوكه، وما نشاهده اليوم من سلبيات وأضرار على مستوى البيئة والإنسان والأسلحة المدمرة وغيرها، مما تشكو منه الإنسانية ليس إلا نتيجة اعتبار العلم بمنهج التجريبي، الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحقيقة، واستبعاد المصادر المعرفية الأخرى<sup>4</sup>.

إن التخلص مما أفرزه التقدم العلمي من أضرار وسلبيات، يكمن في التوفيق بين المطالب المادية والغايات الروحية<sup>5</sup>.

وتحقيق هذه الغاية يتطلب إعادة الاعتبار لمنهجية القرآن المعرفية، لاتصاف علم الله بالشمول والإحاطة، بخلاف علم الإنسان الذي يتصف بالمحدودية، كما قال الله عز وجل:

<sup>1</sup> محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في الإسلام، ص129.

<sup>2</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، ص71.

<sup>3</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص13.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمان، الممارسات الدينية ونقد العقلانية، العدد 23 من مجلة إسلامية المعرفة، ص128.

<sup>5</sup> ربيع ميمون، مرجع سابق، ص75؛ وينظر في هذا المجال: علي عزت بيغوفيتش، مرجع سابق، (كله).

﴿ يَطُوعُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾<sup>1</sup>، فمنهجية القرآن الكريم في تناول الظواهر الطبيعية، تتمثل في الجمع بين القيم السامية والحوادث الطبيعية في نسق واحد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> الروم : 07؛ طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص 12.

## المبحث الثاني : القيم القرآنية للعلوم الطبيعية :

ذكرنا فيما سبق في المبحث الثاني من الفصل الثالث, مدى اعتناء القرآن الكريم بتوجيه الإنسان نحو التفكير في الطبيعة, لدراستها والكشف عن القوانين التي تسير وفقها, ليتمكن من استثمارها لتلبية حاجاته, ولكن هذه الدراسة - وفق المنظور القرآني - لا يجوز أن تكون بمعزل عن العناصر الأخرى التي تشكل الوجود, فالعلوم الطبيعية تبتدئ من المحسوس, ولكنها تسعى لتوحيد تلك المعطيات الحسية مع الوحي المنزل<sup>1</sup>.

وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية التي تناولت الظواهر الطبيعية, فهي لا تفصل بين القيمة العقائدية والأخلاقية وبين الواقعة الطبيعية, بخلاف ما هو سائد في مذاهب الإلحاد والمنطقية الوضعية والعلمانية, فالبحث في إطارها منصب على علاقات السببية, دون التفات للغايات من وراء الحوادث ولا لدلالة الشاهد على الغائب<sup>2</sup>.

ولقد أشار العديد من الباحثين إلى تميز القرآن الكريم عند تناوله للظواهر المختلفة, ومن هؤلاء الباحثين, طه عبد الرحمن الذي يقول: " العقل القرآني يصل الظواهر بالقيم, ويصل الأحداث بالعبء"<sup>3</sup>. أما الأستاذ محمد موسى بابا عمي فقد لاحظ أثناء دراسته لمفهوم الزمن في القرآن الكريم, أنه لا حاجز يفصل بين البعد الإيماني والبعد الفلكي, بل يكمل أحدهما الآخر, خلافا لما يلاحظ في عصرنا, في مناهج الغرب والشرق من انفصام عميق بين البعدين<sup>4</sup>.

والآيات الآتية توضح لنا المنهج الذي اعتمده القرآن الكريم لمعالجة الظواهر الطبيعية المختلفة :

<sup>1</sup> إبراهيم أحمد عمر, مرجع سابق, ص 60.

<sup>2</sup> المرجع نفسه, نفس الصفحة.

<sup>3</sup> طه عبد الرحمن, روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية, ص 201.

<sup>4</sup> محمد موسى بابا عمي : مفهوم الزمن في القرآن الكريم. ص 309

أ- يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ بَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾<sup>1</sup>.

﴿ وَلَقَدْ أَنشَأْنَاهُ مِن تُرَابٍ نُّجْمٍ ذَاتَ أُنْثَىٰ شَرِيفَةٍ شُورٍ ﴾<sup>2</sup>.

﴿ الْإِنْسَانَ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ مَدًّا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ وَّجَدْنَاهُ نَفْسًا فَخَرَقْنَا بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَاءِ مَدِينَةَ لِقَدْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾<sup>3</sup>.

فواضح من هذه الآيات، أن مضمونها لا يقتصر على الجانب المادي (خلق جسد الإنسان، ونموه وتقلبه في أطوار مختلفة)، وإنما تلفت الأنظار إلى خالق الإنسان والغاية من خلقه، وأنه - أي الإنسان - معد لما هو أشرف من حياته الحيوانية، ومجهز بالعقل الذي يعرف به خالقه الذي لا تدركه الأبصار<sup>4</sup>.

ب- يقول الله عز وجل: ﴿ يَطَّوِّعُونَ ظَاهِرًا لَّعَلَّ يَدْعُونَ إِلَى الْبُغْيِ وَاللُّدُنِيِّ مَا يُهْمُ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ خَافُونَ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقْنَاهُم مَّا خَلَقْنَاهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾<sup>5</sup>.

فالنظر والتدبر فيما خلق الله تعالى من أشياء، مقصود به العلم بأن الله تعالى لم يخلق الكون عبثاً ولا سدى<sup>6</sup>، وقد أشارت الآية إلى أن انحصار العلم في الأمور الدنيوية والمادية، مما يتميز به غير المؤمنين، أما المؤمنون فيجمعون بين العلم بالسنن الكونية والعلم بما وراء هذه السنن من

<sup>1</sup> المؤمنون 12-13.

<sup>2</sup> الروم: 19.

<sup>3</sup> السجدة: 7-9.

<sup>4</sup> عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، ص 16.

<sup>5</sup> الروم: 7-8.

<sup>6</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 130.

الغايات التي خلقت لأجلها هذه السنن، يقول ابن عباس: " الكفار يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال" <sup>1</sup>.

ج- وإذا كانت الآيات السابقة الذكر، تركز على الغايات الدينية، فإن القرآن الكريم لا يلغي العلاقة بالطبيعة معرفياً، لتحقيق الحاجات الدنيوية للإنسان، الاستهلاكية والعقلية والعاطفية، فالنعيم والجمال والزينة من نعم الله عز وجل علينا؛ فهي تذكركنا بفضلله، وترغبنا في ذكره وشكره، يقول الله عز وجل: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا نِعْمًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْحَبُونَ وَحَمْلُ أُنثَىٰ لَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّكُمْ كُونُوا لَكُمْ غِيًّا إِلَّا بِشَقِّ الْأُنثَىٰ إِنَّ رَبَّكُمْ لَخَبِيرٌ رَّحِيمٌ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَالزِّيْتُونَ وَخَلَقَ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَلَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسَيِّجُونَ نَبَتٌ لَكُمْ بِهِ الزُّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ حَبًّا وَلَا نَخِيلًا إِلَّا لِيَذُرَ الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذُكُّونَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ أَكْلًا وَمِنْهُ لِحْمَلُ الْغُلَامِ وَأَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مَجْهَدَةً تُخْرِجُونَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يُخَوِّفُ السُّعُوفَ مِنَ الْغُلَامِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَضَّلَهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ <sup>2</sup>.

ومن خلال هذا المنهج المتميز، الذي عالج به القرآن الكريم الظواهر الطبيعية، يمكن أن نستنتج أن تحقيق التوازن بين الأبعاد المختلفة: الدينية والدنيوية، العقلية والعاطفية، الفردية والاجتماعية، غاية من غايات القرآن الكريم، وهذا ما يؤكد محمد عبده بقوله: " أوامر الحنيفية السمحة، وإن كانت تختطف العبد إلى ربه وتملأ قلبه من ربه، وتنفعم أمله من رغبه، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ولا تحرمه من التمتع به، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ولا تجشمه في ترك اللذات" <sup>3</sup>.

وفيما يلي، بيان لعدد من القيم القرآنية، العقائدية والأخلاقية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية المتعلقة بالظواهر الكونية:

### القيمة الأولى: التوحيد:

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> النحل : 5-14.

<sup>3</sup> محمد عبده، مرجع سابق، ص 65.

باستقراء الآيات القرآنية التي تناولت الظواهر الطبيعية، يبرز التوحيد كقيمة تتمحور حولها كل دلالات الظواهر التي يكشف عنها اللفظ القرآني، وهذا ما يتضح من خلال هذه الآيات الكريمات:

- يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذُكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُوهِبِهِمْ وَيَتَكُونُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَيْبًا مَا خَلَقْتَهُمْ هَدَايًا مَّا ظَلَمَ سِحَانِكَ فَتَمَّ عَذَابُ النَّارِ﴾<sup>1</sup>.

- ويقول أيضا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ حِبَاءَ ذَاتٍ يَهْبِجُ مَا كَانَ لَكُمْ أَتْنِبَةً وَاشْجَعُوا إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ لِمَنْ هُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>.

- ويقول عز من قائل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>3</sup>.

وهذا الاهتمام بالتوحيد غير مستغرب، إذا علمنا أنه جوهر الإسلام، والمبدأ الأكبر الذي يشمل جميع المبادئ الأخرى<sup>4</sup>.

فما معنى التوحيد؟ وما علاقته بالعلوم الطبيعية؟

## 1- تعريف التوحيد :

- لغة: كلمة التوحيد في اللغة من الفعل وحد، تقول: وحده توحيداً: أي جعله واحداً<sup>5</sup>، وفي مختار الصحاح: "وحد من الوحدة: الانفراد، تقول: رأيتته وحده: أي لم أر غيره"<sup>6</sup>.

- اصطلاحاً: هو اعتقاد وحدانية الله عز وجل، وإفراده بالعبادة<sup>7</sup>. وهو نوعان :

<sup>1</sup> آل عمران: 190-191.

<sup>2</sup> النمل: 60.

<sup>3</sup> العنكبوت: 44.

<sup>4</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، ص 04؛ عبد الحميد أحمد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، ص 115.

<sup>5</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 242.

<sup>6</sup> محمد بن أبي الرازي، مرجع سابق، ص 129.

<sup>7</sup> عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، ص 70.

أ- التوحيد العلمي: أي العلم أن الله عز وجل متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات النقص، لا شبيه له ولا مثال.

ب- التوحيد العملي: ويشتمل على توحيد الله عز وجل في الربوبية وتوحيده في الإلهية<sup>1</sup>.

وهذا المفهوم للتوحيد، يقتضي ما يلي :

أ- وجوب الإيمان بأن الله عز وجل هو الواحد المطلق الكامل، الذي يتصف الإنسان إزاءه بالعبودية، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِلَّا اللَّهُ هُوَ الَّذِي ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَمِينُ ﴾<sup>2</sup>، ومعنى هذا أن الإنسان لم يخلق مجرد الطعام والشراب واللهو واللعب، وإنما خلق لمعرفة الله تعالى حق معرفته، ولعبادته حق عبادته<sup>3</sup>.

والعبادة تعني الخضوع لله عز وجل والالتزام بما شرعه ودعا إليه رسله، أمراً ونهيًا، وتحليلاً وتحريمًا<sup>4</sup>.

ب- الإيمان بأن الله عز وجل هو الوجود الحقيقي، فهو الأزلي الأبدي، وما سوى الله من الموجودات، فوجودها ناقص، وهذا ما يستلزم الشعور الذاتي بالحاجة إلى من يملك الضر والنفع والموت والحياة، ومن له الخلق والأمر، و "الشعور بالعبودية المخلوقة الفانية الفقيرة بالذات أمام الربوبية الخالقة الأزلية المألقة لكل شيء... والمدبر لكل أمر"<sup>5</sup>، ومما يدل على ذلك قوله عز وجل:

- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾<sup>6</sup>.

- ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْفَعُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 71-79، وينظر ابن القيم، مرجع سابق ، ج1، ص 24-25.

<sup>2</sup> الذاريات: 56-58.

<sup>3</sup> يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص 20-21.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ، ص 32.

<sup>5</sup> المرجع نفسه ، ص 37، وينظر عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 11

<sup>6</sup> سورة الإخلاص: 1-4.

<sup>7</sup> فاطر: 03.



ج- الفصل بين الله عز وجل الخالق للكون من العدم، المنفرد بالخلق وتديير المخلوقات، والكون المخلوق الذي يستمد وجوده من الله عز وجل<sup>1</sup>، وهذا ما تشير إليه هذه الآيات الكريمة:

- ﴿الْحَمْلُ لَهُ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَدُوبُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ﴾<sup>2</sup>.

- ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾<sup>3</sup>.

د- الكون لم يخلق عبثاً، وهذا ما أكدته العديد من الآيات القرآنية الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾<sup>4</sup>، ﴿فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ لِينَا لَا تَرْجِعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ إِلَهِهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾<sup>5</sup>.

" فنظام الكون وتنسيقه وتناسقه، كلها تشهد بوحداية الصانع المقدر المدبر الذي يصنع على علم ويبدع على معرفة"<sup>6</sup>، وهو بذلك . أي نظام الكون .، يجلي لنا إرادة الله عز وجل التي تتحقق في جميع المخلوقات بالضرورة، يقول الله عز وجل:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾<sup>7</sup>، أي: " وضع خلقها على نظام كامل لا تفاوت فيه ولا اضطراب، وجعل لكل شيء قدراً وجنسا ونوعاً وشخصاً وعمراً، وبعد ذلك هدى كل مقدور إلى ما قدر إليه"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> محمد المبارك، مرجع سابق، ص 45.

<sup>2</sup> فاطر: 01.

<sup>3</sup> السجدة : 05

<sup>4</sup> الأحقاف: 03.

<sup>5</sup> المؤمنون: 115-116.

<sup>6</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد 06، ص 324.

<sup>7</sup> الأعلى : 1-3.

<sup>8</sup> محمد عبده، تفسير القرآن الكريم (جزء عم )، ص 69؛ وينظر: محمد متولي الشعراوي، المختار في تفسير لقرآن الكريم،

ج3، ص 09.

أما الإنسان فإرادة الله عز وجل تتحقق بالضرورة في جبلته، ولكن ميز عن غيره من الكائنات بإعطائه حرية الاختيار، وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْثَلِجٍ لَمْ يَسْأَلْهُ لَبِيبٌ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكَرًا وَإِمَّا كَفُورًا<sup>1</sup>﴾.

وللإرادة الإلهية التي تتحقق باختيار الإنسان مرتبة أعلى من مرتبة الإرادة المحققة بالضرورة، وهذا هو التفاضل القائم بين القيم الأخلاقية والقيم النفعية<sup>2</sup>؛ فالعمل الصادر عن الطبيعة - أي الضرورة - غير خلقي بمعنى أنه لا يستحق الجزاء لا خيره ولا شره، إذ لا يجزي الإنسان على نفسه أو هضمه أو منكر أكره عليه إكراهها، وذلك بخلاف العمل الصادر عنه مع تمكنه من عدم القيام به أو القيام بعكسه أو بعمل آخر مغاير له<sup>3</sup>.

هـ - الإنسان مخلوق فوق طبيعي، زوده الله عز وجل بالعقل ليكون قادرا على بلوغ النضج القويم والكمال الذي لا يقبل التصور<sup>4</sup>، ولا يتحقق ذلك إلا إذا استخدم عقله لإدراك إرادة الخالق وحيا، بتدبر كلامه عز وجل المعبر عن إرادته، وتعللا بإمعان النظر في المخلوقات لاكتشاف سننها، وهي التي تعبر عن إرادة الله عز وجل<sup>5</sup>.

و- منح الإنسان حرية الاختيار وهيئته لعبادة الله عز وجل، يستلزم محاسبته على ما فعل، إذ بدون ذلك يصير تكليفه بتنفيذ إرادة الله عز وجل بلا معنى، يقول الله عز وجل: ﴿وَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ لِينَا لَآتِجُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ إِلَهِهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ<sup>6</sup>﴾. وشعور الإنسان بالمسؤولية من أقوى الدوافع للاجتهاد من أجل تنفيذ إرادة الله عز وجل، والسعي لنشر الخير والفضيلة.

## 2. التوحيد والعلوم الطبيعية:

<sup>1</sup> الإنسان: 2-3

<sup>2</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، مرجع سابق، ص 05.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>4</sup> علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص 314.

<sup>5</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، مرجع سابق، ص 05.

<sup>6</sup> المؤمنون : 115-116.

الوجود في المنهج الإسلامي ينقسم إلى عالمين:

أ- عالم الشهادة : وهو عالم الطبيعة المتمثل بالإنسان وما يحيط به من مخلوقات.

ب- عالم الغيب: وهو عالم ما وراء الطبيعة. ويشمل كل موجود غير محسوس.

ولقد زود الله عز وجل الإنسان بالوسائل المعرفية التي يدرك بها هذين العالمين، وهي الحواس

والعقل، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُطَوِّنُ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَلَّ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴾<sup>1</sup>.

- ﴿ قُلْ هُوَ الْإِنِّي أَنشَأْتُكُمْ وَجَلَّ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴾<sup>2</sup>.

ودعاه إلى استخدام هذه الوسائل مجتمعة، فالحواس تقدم للعقل المدركات الحسية،  
والعقل يقوم بترتيبها وتنظيمها ثم استنتاج دلالتها المعنوية على ضوء المبادئ الفطرية حتى تتم  
المعرفة<sup>3</sup>.

ففي عالم الشهادة يصل العقل إلى المعرفة التنبؤية، التي ينتفع بها الإنسان في تطبيقاته  
العملية، في مجال المادة والحياة، أما في عالم الغيب، فعن طريق المبادئ الفطرية يتجاوز الإطار  
المادي المحدود إلى العالم الغيبي، حيث يتمكن من المعرفة العلمية بالقضايا الكبرى كوجود الله عز  
وجل والربوبية والإلهية وبعض الصفات الأخرى، والنبوة أو القضايا الكونية الكبرى<sup>4</sup>.

ويتجلى هذا المنهج في كل الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت الظواهر الكونية

<sup>1</sup> النحل: 78.

<sup>2</sup> الملك: 23.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن زيد الزيندي، مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي، ص 497، وتمثل المبادئ الفطرية في:

أ- مبدأ الهوية: الذي يقتضي بأن ما هو هو وما ليس هو ليس هو.

ب- مبدأ عدم التناقض: الذي يقضي بأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون أو لا يكون معا=

ج- مبدأ نفي الثالث: الذي يقضي بأن كل شيء هو إما أ أو لا أ ولا وسط بينهما.

د- مبدأ العلية: أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يكون هناك سبب أو علة محددة، تصلح تفسيراً لحدوثه، وتكون

هذه العلة كافية إذا كانت قادرة وحدها على التفسير الحقيقي الكامل لذلك لحدوث. ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي،

ج1، ص 976.

<sup>4</sup> الزيندي، مرجع سابق، ص 503.

المختلفة، ومن هذه الآيات قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>1</sup>، ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي خَلْقِكُمْ وَمَا يُمُتُّ مِنْ دَابَّةٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذوا حِذْرًا إِنَّكُمْ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ أَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>2</sup>.

يقول الزمخشري : " فالمنصفون من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح، علموا أنها مصنوعة، وأنه لا بد لها من صانع، آمنوا بالله وأقروا بوحدانيته"<sup>3</sup>.

وهذا المنهج لا يتعارض مع منهج العلوم الطبيعية، التي تتخذ من العقل وسيلة لتفسير المعطيات الحسية وفهمها، من أجل بناء النظريات العلمية وصياغة القوانين<sup>4</sup>، فلقد بين العلماء ما للعقل من دور في تكوين الوقائع والقوانين والنظريات العلمية، وأثبتوا أن المعرفة العلمية يرجع أغلبها إلى ابتكار عقلنا لا إلى معطيات العالم الخارجي، كما يزعم الحسيون والتجريبيون والوضعيون<sup>5</sup>.

ولما كان المنهجان يلتقيان عند استعمال العقل للوصول إلى المعرفة، فما سبب التنافر بين العلم والدين الذي ساد لفترة زمنية طويلة؟

لقد تبين لنا في الفصل الثاني، أن ما أثار التعارض هو الافتراض بأن المادة وحدها هي الحقيقة، وهو افتراض ميتافيزيقي، تجاوزه التطور العلمي في القرن العشرين، الذي كشف أن العلم لا يتناقض مع الإيمان، " فنظرية النسبية ونظرية الكم، لا نحتاج فيهما إلى معرفة طبيعة الأشياء التي نناقشها، وإنما نحتاج إلى بنيتها الرياضية فقط...، وبما أننا لم نعد مضطرين إلى الاعتقاد بأن المادة المتحركة هي وحدها الشيء الحقيقي، فإننا لم نعد مضطرين إلى الاعتقاد بأن تجاوزنا مع الجمال، أو أن إحساسنا بالارتباط الخفي بالله ليس لهما نظير موضوعي"<sup>6</sup>، ومعنى ذلك أن المعرفة الإنسانية الإنسانية الموثوق بها، لا تقتصر فقط على المحسوس، وإنما تشمل أيضا على ما يمكن استنباطه بالعقل من المشاهدات الحسية.

<sup>1</sup> المؤمنون: 80.

<sup>2</sup> الجاثية : 3-5.

<sup>3</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج4، ص 285.

<sup>4</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 66؛ وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 30.

<sup>5</sup> عبد الرحمان بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، ص 73.

<sup>6</sup> فيليب فرانك، مرجع سابق، ص 294.

وقد كان لهذا التقدم العلمي أثر كبير في توجيه اهتمامات العلماء إلى ما وراء الطبيعة، ونسج الخيوط بين هذه العلوم وبين كل القيم العليا في حياة الإنسان: الله، الروح...<sup>1</sup>. وبناء على ما سبق، فالإيمان بالله عز وجل ظاهرة، لا تتعارض مع المنطق العلمي؛ فالعلوم الطبيعية تثبت أن نظام العالم لا يخضع لقانون العلة والمعلول الناتج عن الصدفة المحضة، وإنما هناك عقل ذو وعي يدبر شؤون العالم بالإرادة<sup>2</sup>، يقول العقاد "إن الإيمان بالله عز وجل ظاهرة طبيعية في هذه الحياة، فالإنسان غير المؤمن بالله غير طبيعي، فيما نحسه من حيرته واضطرابه وبأسه وانعزاله عن الكون الذي يعيش فيه، فهو الشذوذ، وليس هو القاعدة في الحياة الإنسانية وفي الظواهر الطبيعية"<sup>3</sup>.

ولكن إذا كانت دراسة الطبيعة تؤدي إلى الإيمان بالله عز وجل، فهل تكفي هذه الدراسة لمعرفة الله عز وجل؟

إن العلوم الطبيعية يمكن الاعتماد عليها لإثبات الحقائق الكبرى، كما ذكرنا آنفاً، أما الوصول إلى المعرفة اليقينية المتعلقة بالتفاصيل، كأسماء الله تعالى وصفاته والملائكة وتفصيل اليوم الآخر...، فقد أثبت الجهد الإنساني المبذول فشله، وانتهى إلى الاضطراب والحيرة بين الآراء والمذاهب وزوغان العقل<sup>4</sup>، فقدرات العقل الإنساني محدودة؛ ولهذا لا يستطيع إدراك ما لا واقع محسوس له، أو ما لم يصله بالخبر الصادق.

وعليه فمنهج المعرفة بعد إثبات القضايا الكبرى، يعتمد على ما تحدده النصوص الكثيرة التي جاء بها الوحي<sup>5</sup>، والتي تتضمن بيان موجودات عالم الغيب، وعلاقة الإنسان بهذا العالم.

**3- أثر التوحيد :** بعد بيان دلالة التأمل في الطبيعة ودراساتها على التوحيد، وعدم تعارض منهج العلوم الطبيعية مع منهج الإسلام في إثبات القضايا الكبرى، ينبغي طرح الأسئلة الآتية:

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 288؛ ينظر: وحيد الدين خان في كتابه: - الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، (كله).

- الدين في مواجهة العلم (كله).

<sup>2</sup> وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 43-44؛ روبرت أغروس، جورج ستانيسو، مرجع سابق، من 7 إلى ص 77.

<sup>3</sup> عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، ص 185.

<sup>4</sup> يحي هاشم فرغل، الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، ص 280.

<sup>5</sup> زاهر بن عواض الأملعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 31.

ما هو أثر الإيمان بالله عز وجل على الباحثين في الطبيعة؟

وما أهمية التوحيد بالنسبة للبحث العلمي؟

### أ- أثر التوحيد على الباحث:

يمكن إجمال أثر التوحيد على الباحث، فيما يلي:

. تحقيق التوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد: يتميز الإنسان عن باقي الكائنات بخلقته المركبة من روح وجسد، ولهذا يجب أن يعتني بالبعدين حتى يحقق توازنه؛ فلا يجوز له أن يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد<sup>1</sup>، وهذا ما تدل عليه العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها:

- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ﴾<sup>2</sup>.

- ﴿مَا آتَاهَا النَّبِيُّنَ أَمْثُلًا لِأَسْخَرُوا بِهَا لِمَا تُحَرِّطِينَهَا لِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾<sup>3</sup>.

يقول هربارت بوهان (ت 1841): "توجد فينا ملكات وعواطف لا تجد مجالاً للتجربة وفق إرادتها، وكذلك لا تسكن هذه العواطف بهذه التجربة المحدودة، وعلى هذا لا تحصل لنا الطمأنينة الكاملة إلا بوجود أزلي غير محدود، والملجأ الوحيد لهذه العواطف هو الله تعالى، ولذا توجد في جميع من سلمت فطرته هذه الملكة الدينية"<sup>4</sup>.

والآيات القرآنية المتعلقة بالظواهر الكونية، تجمع بين الدعوة إلى دراسة الظواهر الطبيعية للاستفادة منها في إقامة الحياة المادية، والتأمل فيها لإدراك عظمة الله تعالى، ومعرفة جليل صفاته كالعلم والقدرة وغيرها من الصفات.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلِجَلَالِ اللَّهِ فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَسَخَرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

<sup>1</sup> العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، ص 25.

<sup>2</sup> القصص: 77.

<sup>3</sup> المائدة: 87-88.

<sup>4</sup> الزيندي، مرجع سابق، ص 391.

قَطْمِيرٌ<sup>1</sup>، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ بَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ<sup>2</sup>﴾.

وتعليقا على هذه الآيات الأخيرة من سورة "المؤمنون"، يقول العقاد: "الآيات التي قصر فيها القول على خلق جسد الإنسان، لم تخل مما يوحي إلى المخلوق المسئول أن أطوار خلقه السوي إعداد لما هو أشرف من حياته الحيوانية وبرهان من براهين التبليغ برسالة الغيب، عسى أن ينظر في الخلق، فيرى فيه آثار الخالق الذي لا تدركه الأبصار والأسماع"<sup>3</sup>.

. ضبط سلوك الإنسان : إن الإيمان بالله عز وجل، إضافة إلى أنه فطري، فهو ضروري لتوجيه الإنسان الوجهة الصحيحة في توظيف منجزات العلم وتطبيقاته، إذ " أنه يوجب علينا أن نلحم رغباتنا بلجام القيم، وأن لا نشبعها إلا بعد التأكد من أن إشباعها المطلوب لا ينتهك قيمة، ولا يتعدى حدا...، فالطبيعة ليست شرا كما ادعت المسيحية بل خيرا، فالشر لا يكمن فيها بل في استعمالها، ولذلك بارك الله لنا فيها وأوصانا بعدم الغلو فيها"<sup>4</sup>.

إن دور الإيمان يتمثل في جعل الإنسان ينظر إلى مطلوب الله منه، بوصفه أمينا على الكون لا إلها له، وبالتالي فليس كل ممكن مباح، " فالقوة الناجمة عن تطور المعرفة لا يمكن التحكم فيها إلا من خلال الإيمان بوجود حدود غائية لهذه القوة"<sup>5</sup>.

. أنسنة العلم : مما تفتقر إليه الإنجازات العلمية الراهنة، النزعة الإنسانية فهي - أي الإنجازات العلمية - ترتبط مباشرة بالنزعة المادية التي أساسها رأس المال<sup>6</sup>.

ويتجلى هذا الافتقار فيما يلي:

<sup>1</sup> فاطر: 13.

<sup>2</sup> المؤمنون: 12-14.

<sup>3</sup> العقاد، مرجع سابق، ص 16.

<sup>4</sup> إسماعيل راجي الفاروقي، نحن والغرب، ص 14-15.

<sup>5</sup> وليد منير، أبعاد النظام المعرفي، ندوة: نحو نظام معرفي إسلامي، تحرير فتحي حسن ملكاوي، ص 180.

<sup>6</sup> هاني رزق وخالص جلبي، الإيمان والتقدم العلمي، ص 90.

- استفادة جزء من الناس من نتائج العلم، أما الباقي فلا يزالون يعانون من الأمراض والجهل والتخلف.

- اعتبار الريح المادي هو الهدف النهائي في الحياة، مما دفع بالمتحكمين في العلم إلى استخدامه لصنع آلات القتل والتدمير لملايين البشر.<sup>1</sup>

ولتفادي هذه السلبيات وغيرها، يجب تفعيل دور الإيمان في حياة الناس؛ فالإيمان بالله تعالى ينطوي على الإيمان بالإنسان وحقوقه، ويدفع المؤمن الصادق المخلص إلى العمل من أجل الإنسان، والمشاركة في حمل هموم الناس بصرف النظر عن عقيدتهم<sup>2</sup>، "فكلمة " لا إله إلا الله " تجرد البشر من دعوى الإلهية وحق السيطرة والاستعلاء، وتبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقوقاً مقدسة على غيرهم، وتضع الجميع على مستوى واحد في الحقوق الواجبات"<sup>3</sup>.

**ب- أثر التوحيد على البحث العلمي :** كان الاعتقاد السائد في القرن التاسع عشر، أنه بإمكان العلم التجريبي حل كل المشاكل، وتناول كل الظواهر، ولكن التطورات العلمية، أثبتت عجزه عن التعامل مع المجالات الكبيرة جداً والصغيرة جداً، لاتصافه بالمحدودية، وافتقاده القدرة على التعامل مع كل أنواع الخبرات وجوانبها<sup>4</sup>.

ويتجلى هذا العجز في توقفه عن تفسير الكثير من الظواهر بالمنطق العلمي التجريبي، مما فتح المجال للفلسفة المادية لطرح رؤاها التي لا تثبت أمام المنطق العقلي.

ومن الظواهر التي لا تخضع للمنهج التجريبي :

**1- سيرورات التطور الموجه من الانفجار العظيم وحتى ظهور الإنسان خليفة الله في الأرض؛** فهذه السيرورات تتصف بجمال تناسقها الذي لا مكان للمصادفة فيه، فكل خطوة فيها تؤدي إلى بنية أكثر تعقيداً، وأفضل أداء من البنية التي سبقتها، إلى أن ظهر الإنسان.

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> محمد جواد مغنية، مرجع سابق، ص 31.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 35.

<sup>4</sup> عبدالوهاب الميسري، مرجع سابق، ص 22.



2- حدوث الانفجار العظيم في نقطة يستحيل وجودها وفقاً لقوانين الفيزياء؛ فهذه النقطة أصغر من طول بلانك (أي أقل من جزء من مليون مليار مليار مليار من السنتي متر)، وهو الطول الذي لا يمكن تجاوزه فيما يتعلق بأبعاد الأجسام.

3- التلاؤم المذهل للثوابت الطبيعية بعضها مع بعض، الذي تهيأ به الكون لظهور الإنسان فيه، ويبلغ عدد هذه الثوابت الآلاف، بدءاً من شحنة الكوارك أو الإلكترون ووزنيهما إلى بعد الأرض عن الشمس، ولو حدث تغير ولو طفيفاً في شحنة الإلكترون مثلاً، فسيؤدي ذلك إلى انهيار عناصر الكون كلها<sup>1</sup>.

إن الإيمان بالله تعالى المتصف بالقدرة والعلم والحكمة، هو الطريق الوحيد لتفسير هذه الظواهر وغيرها، فلا يعقل أن تكون المصادفة مقنعة لتفسير ما نلاحظه من النظام المبتوث في الكون والدقة المذهلة التي يتصف بها.

فكثير من الأسئلة تبقى بلا إجابات، إذا لم نكن مؤمنين بالله عز وجل ومنها :

- ما الذي جعل النجوم والكواكب تتحرك بهذا النظام العجيب في الكون ؟

- وما الذي أوجد في حيز مكاني صغير كل ما يحتاجه الإنسان لحياته؟ وكيف نفسر اضطرار كل الأشياء على نهج طرق معينة ثابتة تتلاءم مع حاجات الإنسان؟<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس، يتكامل التوحيد والعلم، في إعطاء الإنسان المعرفة الكاملة بالحقيقة، إذا اعتمد الوحي مصدراً للمعرفة مع الحواس والعقل، وبدون ذلك يكون علم الإنسان ناقصاً، يفتقر إلى الإقناع والطمأنينة.

ولأجل الوصول إلى هذا العلم، قدمت لنا الآيات القرآنية منهجاً متكاملًا، تربط فيه بين الطبيعة وما وراء الطبيعة، وبين الخالق والمخلوق، عند عرضها للظواهر الكونية، يقول الله عز وجل: ﴿وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به

<sup>1</sup> هاني رزق وخالص جلي، مرجع سابق، ص 91-92.

<sup>2</sup> وحيد الدين خاند، مرجع سابق، ص 46-47.

الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض  
لآيات لقوم يعقلون<sup>1</sup>.

### القيمة الثانية: كرامة الإنسان:

تضافت الآيات القرآنية الكريمة على إعطاء الإنسان مكافئة خاصة من بين الكائنات، ومن  
هذه الآيات:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>2</sup>﴾.
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ شَرًّا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ<sup>3</sup> وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي  
فَقَعُوا عَلَيْهِ سَاجِدِينَ<sup>3</sup>﴾.
- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرُوجِ الْحَرِّ وَزَوَّجْنَاهُم مِّنْ لَّطِيفَاتِ فَوْضَلِنَا لَهُمْ عَلَى

<sup>1</sup> البقرة: 162-163.

<sup>2</sup> البقرة: 30.

<sup>3</sup> ص: 71-72.

كثير ممن خلقنا تفضيلاً<sup>1</sup>.

- ﴿أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَلَكَ﴾<sup>2</sup>.

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>3</sup>.

فالإنسان، كما تشير إليه هذه الآيات الكريمة، يتميز بجملة من الخصائص، تجعل منه مخلوقاً متميزاً فريداً من نوعه، ومن هذه الخصائص:

أ/ الاتصاف بالقوة العاقلة المدركة للحقائق، وهي بذلك المفتاح لتسخير الكثير من مظاهر الكون، ولمعرفة الله عز وجل، فتهيئ صاحبها لممارسة العبودية لله عز وجل<sup>4</sup>.

ب/ ازدواجية التكوين، فالإنسان مخلوق من عنصر التراب (الجانب الطبيعي المادي) الذي يتجلى في احتياجاته التي يشارك فيها بقية الكائنات مثل: الحاجة إلى الطعام والهواء والنوم والتناسل...، أما العنصر الثاني فهو الروح الذي يعبر عن نفسه من خلال نشاطات الإنسان الحضارية كاجتماع الإنساني والحس الخلقى والجمالي والديني<sup>5</sup>.

والإنسان من حيث هو جسم يخضع للقوانين الطبيعية وضرورات الحياة العضوية، إذ تسري عليه وعلى بقية الكائنات مجموعة من الآليات والحتميات، ولذا يمكن رصد هذا الجانب من خلال النماذج المستمدة من العلوم الطبيعية<sup>6</sup>.

أما البعد الروحي، فلكونه لا يخضع للقوانين الطبيعية فقد أثبتت العلوم الطبيعية عجزها عن تفسير الحياة النفسية، وهذا ما يظهر من النصوص الآتية المنقولة عن مختصين في العلوم الطبيعية وعلم النفس<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الإسراء: 70.

<sup>2</sup> الانفطار: 6-7.

<sup>3</sup> التين: 04.

<sup>4</sup> محمد سعيد رمضان، البوطي، مرجع سابق، ص 247؛ عبد الحميد أحمد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، ص 120.

<sup>5</sup> عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 12.

<sup>6</sup> الكسيس كاريل، مرجع سابق، ص 133.

<sup>7</sup> علي عزت بيغوفيش، مرجع سابق، ص 66 إلى 72.

- يقول جان روستاند: "حتى الآن لا نعرف على وجه التحديد ماهية الحياة، نحن لا نستطيع حتى أن نقدم تعريفا كاملا دقيقا لظاهرة الحياة".

- ويقول جاسيرز " إن الحقائق النفسية لا يمكن دراستها من الخارج، كما أن الحقائق الطبيعية لا يمكن دراستها من الداخل".

- ويقول عالم الأحياء السويسري جاينو: "على علماء الطبيعة أن يدركوا أننا نحن علماء الحياة قد اجتهدنا في تفسير الحياة بصيغ طبيعية كيميائية، ولكننا ووجهنا بشيء يستعصي على التفسير، إنها الحياة. لقد أوجدت الحياة شكلا منظما، ليس مرة واحدة فحسب وإنما ملايين المرات خلال بلايين السنين. إننا نواجه قدرة على البناء لا يمكن تفسيرها بواسطة علم الطبيعة ولا علم الكيمياء".

وفشل منهج العلوم الطبيعية في دراسة الجانب الروحي يقتضي البحث عن مناهج أخرى لفهم الحياة الإنسانية تتناسب وطبيعة الموضوع، والخطوة الأولى لتحقيق ذلك، تتمثل في الاعتراف بازدواجية العالم الحي.

ج/ الإنسان كائن ذو إرادة حرة له القدرة على اتخاذ القرارات، والتصرف بحرية<sup>1</sup>، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَهْدِيكَ لِمَا تَشَاءُ وَإِنَّا نَهْدِيكَ لِمَا تَكْفُرُ﴾<sup>2</sup>.

وكون الإنسان ذو إرادة حرة، يقتضي توجيه هذه الإرادة نحو الحق والخير والعدل والمصلحة، وهذه هي وظيفة الوحي.

د/ الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أتم مظهر وأحسن تقويم، وهو ما ينفي ما ذهب إليه أنصار الداروينية، من أن الإنسان انتقل خلال تاريخه كله في تطور نوعي، فترقى من فصيلة إلى أخرى، أو تدرج من مظهر نوعي في الهيئة والشكل إلى مظهر آخر<sup>3</sup>.

إن هذه الخصائص وغيرها، تجعل من الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها، فهو قطب الدائرة، "وجميع المخلوقات في تطواف دائم وسعي مستمر، لتتسج له مقومات الحياة الفضلى،

<sup>1</sup> عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، 120؛ روبرت أغروس وجورج ستانسيو، مرجع سابق، ص 37-38.

<sup>2</sup> الإنسان:3.

<sup>3</sup> البوطي، مرجع سابق، ص 251.

وتحيى له متطلباته وحاجاته المختلفة<sup>1</sup>، وهو ما أشار إليه قوله عز وجل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا...﴾<sup>2</sup>.

وهذه النظرة القرآنية للإنسان تتعارض مع رؤية العلم الحديث، التي تنظر إلى الإنسان على أنه شيء زهيد في منظومة كونية، لا نستطيع أن نتصور ضخامتها، وقد ابتدأت هذه النظرة مع اكتشاف كوبرنيكوس أن الأرض ليست مركز الكون، وجاء داروين فكرس هذه النظرة، عندما جرد الإنسان من كل خصائصه، وحوله إلى مجرد حلقة في سلسلة التطور الحيواني<sup>3</sup>.

والرؤية المادية للإنسان يمكن اعتبارها صحيحة، لو كان الإنسان مادة فقط، ولكن التطور العلمي وما يشاهده الإنسان من واقعه، الذي يشكل التدين عنصرا أساسيا فيه، يدحض الرؤية المادية.

### الإسلام والكرامة الإنسانية:

اتخذت الشريعة الإسلامية من المحافظة على كرامة الإنسان مقصدا من مقاصدها، ويتجلى ذلك في الأحكام التي تتضمنها، والتي لها علاقة بإنسانية الإنسان، ومن هذه الأحكام:

أ- وجوب حفظ الفطرة الإنسانية<sup>4</sup> من التبديل والتغيير، وقد دل على ذلك:

- قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا لِدِينِكُمْ لَمَنَ يَعْتَصِمُ بِهِ الْإِنْسَانُ فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>5</sup>، يقول الطاهر بن عاشور: قوله عز وجل "لا تبدل لخلق الله" جملة معترضة، لإفادة النهي عن تغيير خلق الله فيما أودعه الفطرة، فتكون لا تبدل لخلق الله خبرا مستعملا في معنى النهي على وجه المبالغة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 84.

<sup>2</sup> الإسراء: 70.

<sup>3</sup> ناهد القصيبي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص 72.

<sup>4</sup> يعرف ابن عاشور الفطرة الإنسانية بقوله "إنما النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي ما فطر - خلق -

عليه الإنسان ظاهرا وباطنا، أي جسدا وعقلا" الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة، ص 55.

<sup>5</sup> الروم: 30.

<sup>6</sup> الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 93.

- وقوله تعالى ﴿وَلَا مِنْهُمْ فُلْيَعِيٌّ خَلَقَ اللَّهُ﴾<sup>1</sup>، فقد جاءت هذه الآية في ذم المشركين بما يقومون به من أعمال شركية، من بينها تغيير خلق الله في الأنعام، وإذا كان النهي مشددا فيما يتعلق بالأنعام، فإنه يكون أكثر شدة فيما يتعلق بالإنسان<sup>2</sup>.

ولاشك فإن تغيير الفطرة، يتنافى وكرامة الإنسان، عندما يجعل جسد الإنسان عرضة للأهواء والرغبات المتقلبة، وهو ما يطفو على سطح الحضارة الغربية، كإجراء العمليات الجراحية لتغيير الجنس من الذكورة إلى الأنوثة أو العكس، وإجراء العمليات الجراحية لتغيير شكل الوجه أو غيره من الأعضاء، بغير ضرورة تلجئ لمثل هذا العمل، إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والاهتمام بالجسد لا بالروح، أما إذا كان في الإنسان عيب شاذ يسبب لصاحبه ألما نفسيا أو جسديا فلا بأس بمعالجته، مادام الهدف هو إزالة الحرج، فإن الله تعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج<sup>3</sup>.

إن المحافظة على خلقة الإنسان كما أوجدها الله عز وجل، تتضمن إشعار الإنسان بقيمته، واستغلاله على مكونات الطبيعة من جماد وحيوان ونبات.

ب- وجوب المحافظة على توازن ما خلق الله تعالى عليه الإنسان من القوى والمركبات المكونة لفطرته، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>4</sup>، فالحياة الإنسانية تكتمل فقط إذا تم تحقيق التوازن بين الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشري، أما الاهتمام بجانب على حساب جانب آخر، فهو سبب الإخفاقات الإنسانية<sup>5</sup>.

ومن هذا المنطلق، ينبغي أن تكون العلوم الطبيعية وسيلة لخدمة الإنسان بكل أبعاده، لا أداة لتلبية الرغبات المادية فقط، فالإقتصار على الجانب المادي، فيه امتهان لكرامة الإنسان، وحط من قيمته التي تعلو على قيمة الحيوان.

<sup>1</sup> النساء: 119

<sup>2</sup> عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 89.

<sup>3</sup> يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص 86.

<sup>4</sup> القصص: 77.

<sup>5</sup> علي عزت بيغوفيتس، مرجع سابق، ص 28.

### القيمة الثالثة: المسؤولية:

من القيم التي حرص القرآن الكريم على إبرازها، من خلال بيان بعض الظواهر الطبيعية، "المسؤولية الفردية"، فكل فرد مجزي بعمله، محاسب على سلوكياته وأعماله .

يقول الله عز وجل :

- ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبْرُورًا فَكَانَ مِنَ السَّمَاءِ نَسْرًا وَجَبَّ الْجُودُ وَجَبَّ الْحَصِيدَ وَالنَّخْلَ بِأَسْفَاتِهِ نَاطِعًا نَضِيدًا لِرِيقِهِ بَادٍ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُوجُ ﴾<sup>1</sup>.

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْسُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا لَوْ أَنَّ قُلْتُمْ إِنَّا نَكُفِّرُ بِنُورِنَا وَمِنْ بَدِئِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾<sup>2</sup>.

ففي هذه الآيات إشارة واضحة إلى حقيقتين، لهما علاقة بالمسؤولية:

<sup>1</sup> ق: 9-11

<sup>2</sup> هود: 07.

**الحقيقة الأولى:** عملية إعادة الحياة تحدث من حول الناس باستمرار، فالحس يشهد حياة الأرض بعد موتها، بعد نزول المطر، فكذلك خروج الناس بعد الموت، فهي عملية غير مستغربة<sup>1</sup>، فقد دلت القرآن الكريم على الإمكان العقلي للبعث، بإثبات وجوده في الواقع، "فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها، قادر على إحياء الإنسان بعد موته"<sup>2</sup>.

وهذا المنهج في التدليل، لا يتنافى مع المنهج العلمي الذي يقوم على الحواس والعقل معاً، فالحواس تقدم للعقل مادة المعرفة، أما العقل فدوره الاستنباط والقياس والتعميم يقول الفيزيائي ماكس بورن: " لا يمكن وصف أي ظاهرة طبيعية في مجال الذرات إلا بالرجوع إلى المراقب رجوعاً لا إلى سرعته فحسب كما في حال النسبية، بل إلى جميع أنشطته لدى قيامه بالمراقبة وبتركيب الآلات وما إلى ذلك"<sup>3</sup>، ومعنى ذلك أن الفكر يقوم بدور جوهري في البحث العلمي<sup>4</sup>.

ولكن الإسلام لا يدعو إلى الاقتصار على معرفة عالم الشهادة فقط، لتحقيق المنافع المادية، فمعرفة عالم الغيب ضرورية، ويمكن الوصول إلى الحقائق الكبرى التي تشكل هذا العالم بالحس والعقل معاً، " فالمنهج الإيماني لا ينقص شيئاً من ثمار المنهج العلمي في إدراك الحقائق المفردة، ولكنه يزيد عليه ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض، وردها إلى الحقائق الكبرى، ووصل القلب البشري بها، أي وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود"<sup>5</sup>.

**الحقيقة الثانية:** تشير الآيات إلى خلق السماوات والأرض، واتصاف الكون بالنظام والإتقان، وصلاحيته لحياة الجنس البشري، لأجل ابتلاء الإنسان، أي لاختبار الإنسان<sup>6</sup>، يقول الله عز وجل: ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ تَتَذَكَّرُونَ ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد السادس، ص 3358-3359.

<sup>2</sup> الزيندي، مرجع سابق، ص 497.

<sup>3</sup> روبرت أغروس وجورج ستناسيو، مرجع سابق، ص 21.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 23.

<sup>5</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد السادس، ص 3359.

<sup>6</sup> ابن كثير، مرجع سابق، ج 7، ص 215.

<sup>7</sup> الأنبياء: 35.



ويقتضي الابتلاء محاسبة الناس على ما أظهروا من أفعالهم في هذه الحياة، وهذه المحاسبة فردية، فلا يغني فيها أحد عن أحد شيئاً. يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَنْزِرْ وَازِرَةً وَرُزَّ أُخِيَّ وَإِتْدَعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قَبْلٍ﴾<sup>1</sup>.

ويترتب على هذه الحقيقة، أن الحياة الدنيا ليست هي الغاية ولا إليها المنتهى، والمطلوب من الإنسان أن يستصلح للدار الباقية، التي هي دار البقاء والخلود، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>.

فالشعور بالمسؤولية مرتبط بالإيمان باليوم الآخر، الذي يجزى فيه كل إنسان على ما عمل.

### 1/ أثر الإيمان باليوم الآخر: يمكن تلخيص أثر الإيمان باليوم الآخر، فيما يلي:

أ- خضوع المسلم لله تعالى خضوعاً اختيارياً في السر والعلن، إما حياءً منه ورغبة في الثواب، وإما خوفاً من العقوبة<sup>3</sup>.

وهذا الخضوع له أثر حاسم في الشعور الأخلاقي وفي السلوك العملي سواء، فشعور كل فرد بأنه مجزي بعمله، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب<sup>4</sup>.

ولا شك، فإن شعور الباحث بالمسؤولية أمام الله تعالى، وأنه سيحاسب على بحوثه وإنجازاته العلمية، سيجعله حريصاً على استغلال معارفه في خدمة الإنسانية، ابتغاء الفوز في الدار الآخرة بالمتعة الحقيقية.

ب- الإجابة عن السؤال الفطري: إلى أين المصير؟ وهو سؤال ملح أمام ظاهرة الموت التي يعايشها الإنسان في كل حين، فظاهرة الموت تستدعي التساؤل: ما هذا الموت؟ وأين يذهب الإنسان بعد عبوره عالم الدنيا؟ وأين يستقر به المقام؟

<sup>1</sup> فاطر: 18.

<sup>2</sup> العنكبوت: 64.

<sup>3</sup> عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص 30.

<sup>4</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد الخامس، 2938.

وهناك صنف آخر من الأسئلة، يتعلق بما يشاهد في الدنيا مما يبدو تناقضات، فكم من إنسان يقضي حياته في البر والإحسان ومع ذلك يعيش في تعب ومشقة، وآخر سيء الأعمال ظالم، ومع ذلك يعيش عيشة رغيدة.

إن الإجابة الشافية الكافية عن هذه الأسئلة وغيرها، لا توجد إلا في عقيدة اليوم الآخر، ففي التصور الإسلامي تعتبر حياة الإنسان في الدنيا مع ما فيها من كدح ورزق وسعي وعقل وشهوات وأهواء، تمهيدا لملاقاة الله عز وجل، والوقوف بين يديه ليحاسبه على كل ما قدم في الدنيا<sup>1</sup>، يقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>2</sup>.

2. أثر إنكار عقيدة اليوم الآخر: يرى الاتجاه المادي أن العالم أزلي لا بداية ولا نهاية له، ولقد أبطلت العلوم الطبيعية هذا الافتراض، عندما أثبتت أن العالم له بداية، ولا بد أن تكون له نهاية<sup>3</sup>.

ورغم أن عقيدة إنكار اليوم الآخر ليست إلا افتراض، إلا أنها تركت أثر سيئا على الإنسانية، فالأخلاق التي تسود المجتمعات المادية، هي أخلاق الأنانية والنفعية، فالعمل الصالح والخلق الطيب اللذان لا يعودان على الإنسان بالنفع المادي المباشر، يعتبران - وفق الرؤية المادية - مضیعة للوقت، أما الأعمال السيئة والأخلاق القبيحة التي تدر عليه نفعاً مادياً مباشراً، فهي في عرفه عين الحق والصواب!.

والمجتمع الذي تسوده هذه العقيدة، وتحكمه علاقات الأثرة والأنانية، من سماته التي تبرز على سطحه، علاقات الصراع على ملذات الدنيا، فالعالم هو ساحة قتال بين الذئاب من البشر، والإنسان ذئب يفترس أخاه الإنسان، وبين الأمم التي لا بد أن تُصرع بعضها بعضاً لغاية البقاء، فهي حرب الجميع ضد الجميع، ولا توجد قيمة مطلقة لأي شيء، إذ أن ما يحدد القيمة هو القدرة على الصراع والبقاء<sup>4</sup>، والنتيجة المنطقية لهذا التصور، الاهتمام بتطوير الأسلحة الفتاكة ووسائل الدمار، واستنزاف الموارد الطبيعية لزيادة الإنتاج، والترويج للاستهلاك الزائد عن الحاجة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد سعيد رمضان، البوطي، مرجع سابق، ص 340.

<sup>2</sup> الزلزلة: 7-8.

<sup>3</sup> هاني رزق وخالص جلي، مرجع سابق، ص 221.

<sup>4</sup> عبدالوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 103.

<sup>5</sup> أبو الأعلى المودودي، نحن الحضارة والغربة، ص 80.

### القيمة الرابعة: الغائية:

مما قام عليه العلم الحديث، الأخذ بعين الاعتبار العلة الفاعلة فقط، أي البحث عن الأسباب المتحركة في الظواهر من أجل السيطرة عليها عقليا بالفهم والتعليل، وعمليا بالتشكيل والتحويل<sup>1</sup>، أما العلة الغائية فهي في تصور رواد العلم الحديث ومن سار مسارهم غير علمية، بل تعتبر من أهم عوامل تشويه التفكير في موضوع السببية، وفي العلم بأسره، ذلك أنها جعلت الناس يتصورون الحوادث الطبيعية كما لو كانت تستهدف غايات...، وهذا من شأنه أن يصرف الأنظار عن كشف الأسباب الحقيقية<sup>2</sup>.

فالهدف النهائي للعلم، هو وصف مجرى الحوادث، بهدف وضعها في أقل وأبسط الصياغات العامة الممكنة، أما البحث عن الإجابة للسؤال: "لماذا تحدث الأشياء؟"، فهو سؤال غير مناسب للعلم<sup>3</sup>.

والعلم حسب هذا التصور، يحرص فقط في البحث المخبري التجريبي، الذي يدرس الأسباب المباشرة، أي العلة الفاعلة المباشرة.

وهذا المفهوم الذي أعطي للعلم، ينبثق من الاعتقاد بأن الآلية هي التي تتحكم في حركة الكون، "فالكون في نظر العلم لا يسير وفقا لغايات، وإنما تسود مساره الآلية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 39.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32.

<sup>3</sup> السيد نقادي، السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، ص 177.

ولا شك، فإن هذا التصور للعلم يتسق مع النظرة المادية التي تحصر الحقيقة في العالم المحسوس، وتستبعد وجود غايات لا مادية، مما أدى إلى اتخاذ البحث العلمي وسيلة للسيطرة على الطبيعة والإنسان لإشباع الحاجات المادية<sup>2</sup>.

وإذا فحصنا هذا التصور في ضوء القرآن الكريم، فسنجد أن العديد من الآيات القرآنية الكريمة تدل على ما يناقضه، فهي تؤكد على أن كل ما خلقه الله عز وجل، فهو مخلوق لحكمة، ومن هذه الآيات الكريمة:

- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾<sup>3</sup>.

- ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِحَقِّ وَاجِلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُوعُظُونَ ﴾<sup>4</sup>.

- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَلْخَطْنَآهُمَا إِلَّا لِحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَطَّوْعُونَ ﴾<sup>5</sup>.

- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّا بَالِغُونَ فِي ذِكْوَالذِّكْرِ إِيَّامًا وَقَدْ وَدَّ عَلَىٰ جُودِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا مَّبْحُورًا بِحَزَنٍ فَنَقِصْكَ عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>6</sup>.

يقول الطاهر بن عاشور: "كثير في القرآن الكريم الاستدلال بإتقان نظام خلق السماوات والأرض وما بينهما على أن الله حكمة في خلق المخلوقات وخلق نظمها وسننها وفطرها، بحيث تكون أحوالها وآثارها وعلاقة بعضها ببعض متناسبة، مجارية لما تقتضيها الحكمة"<sup>7</sup>.

وإذا تأملنا الآيات القرآنية الكريمة، نجد أنها تقرر أمرين:

<sup>1</sup> فؤاد زكريا، مرجع سابق ص 27

<sup>2</sup> السيد نفادي، مرجع سابق، ص 175.

<sup>3</sup> الأنبياء: 16.

<sup>4</sup> الأحقاف: 03

<sup>5</sup> الدخان: 38-39.

<sup>6</sup> آل عمران: 190-191.

<sup>7</sup> الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج 17، ص 85.

- الأمر الأول: يتعلق بوجود الأشياء، فخلافا لمذهب الشك الذي يعتبر أن ما يدركه الإنسان أوهاما لا حقيقة لها، تقرر الآيات أن للأشياء وجودا عينيا، أدركه الإنسان أم لم يدركه<sup>1</sup>.

- أما الأمر الثاني: فيتعلق بالغرض من وجود الأشياء، فكل موجود إنما وجد لحكمة خاصة به، علمها الإنسان أم لم يعلمها، ولم يخلق عبثا، ولهذا يجب على الإنسان أن يعي هذه الحقيقة<sup>2</sup>.

ودعوة القرآن الكريم لاعتبار الأسباب الغائية، لا يعني إهمال الأسباب الفاعلة، وفي ذلك يقول الله عز وجل:

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بَيْنَ يَدَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>3</sup>؛ فأشارت الآيات إلى أن الماء سبب لنمو الزروع والثمار، كما تضمنت بيان الغرض من إيجاد بعض المخلوقات.

إن اعتبار العلة الغائية لا يلغي اعتبار الأسباب الفاعلة، وهو ما تؤكدته المدارس الكلامية المختلفة، بما فيهم الأشعرية الذين لا ينكرون مبدأ السببية من أصله، ولكنهم يقولون أن ما نسميه سببا، لا يقتضي اقتضاء عقليا ضروريا حصول ذلك الأثر الذي نسميه مسببا، يقول أبو حامد الغزالي: "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا... ولكن استمرار العادة بما مرة بعد أخرى يرسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة الماضية ترسخا لا تنفك عنه"<sup>4</sup>، وهدفهم من قولهم هذا، أن يظل تفكير الإنسان متجها إلى خالق الأشياء، وخالق الخواص والنواميس<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن زيد الزيندي، مرجع سابق، ص 67.

<sup>2</sup> عبد الحميد صديقي، مفهوم إسلامي للتاريخ، محاضرة نشرت في كتاب العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، إعداد إسماعيل راجي الفاروقي وعبد الله عمر ناصيف، ص 70.

<sup>3</sup> سورة إبراهيم: 32-34.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي، تحافت الفلاسفة، ص 126 إلى 169.

<sup>5</sup> ندم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص 99، ص 159، 160.

1 . الغائية والبحث العلمي: ذكرنا فيما سبق، أن العلم الحديث اتجه إلى البحث عن الأسباب الفاعلة مستبعدا الأسباب الغائية، بحجة أنها تتنافى مع العلم، فهل الغائية تحول دون البحث العلمي المجرد؟

إن فكرة الغائية تقوم على أن هناك نظاما يقتضي ترابط الأشياء على نحو ضروري، ومن شأنه أن يجعل الجزء الواحد يتوقف في تركيبه وطبيعته على الجزء الآخر، وعلى هذا النظام تتحدد طبيعة الشيء نفسه من حيث تركيبه وظائفه وأجزائه بعضها إلى بعض من أجل تحقيق كماله<sup>1</sup>.

وتصور الكون منظما بدقة، لم يمنع العلماء في ظل الحضارة الإسلامية، من أن يقدموا خدمات جليلة للإنسانية، ببحوثهم الرائدة في كافة المجالات العلمية، فالبيروني - مثلا - كان يعتقد أن جميع المخلوقات موضوعة من أجل هدف محدد، كي تنسجم مع المخطط الشامل والمتآلف للطبيعة، ويقول: "الحمد لله الذي نظم الخلق، وخلق كل شيء من أجل الأفضل"<sup>2</sup>، وقدم دراسات أصيلة في الجغرافية والفلك وبقية العلوم<sup>3</sup>.

وهذا يبين أن فكرة الغائية لا تؤثر سلبا على التفكير العلمي، كما كان يعتقد ديكارت القائل: "كل ضروب الغائية لا قيمة لها في الأشياء المادية أو الطبيعية"<sup>4</sup>، أو باكون الذي قال: "إن مطلب الغائية يفسد العلوم بدلا من أن يرقى بها"<sup>5</sup>، وإنما توسع من آفاق البحث، وتفتح أمام أمام الباحثين مجالات للمعرفة تتجاوز النظرة المادية الضيقة من خلال ما يأتي :

أ- تفسير الكثير من الظواهر الطبيعية: فظاهرة امتلاك الشيء للعناصر التي يحتاجها فقط، وظاهرة غزارة المياه في الشتاء، بخلاف الفصول الأخرى، وغيرهما من الظواهر، لا يمكن تفسيرها إلا بالبحث عن إجابة للسؤال: لماذا؟، أما الاقتصار على "الكيف"، فلا يتعدى وصف الظاهرة وطريقة عملها.

ب- توسيع مجال البحث: فالإقتصار على البحث المخبري التجريبي، حقق الكثير من المنافع، ولكنه أخفق في أمور أخرى، فلم يستطع إيجاد حلول للعديد من المشكلات، التي تعاني

<sup>1</sup> فهمي محمد علوان، مرجع سابق، ص 85.

<sup>2</sup> سيد حسين نصر، مرجع سابق، ص 93.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، من ص 83 إلى 131.

<sup>4</sup> روبرت اغروس وجورج ستانسيون، مرجع سابق، ص 57.

<sup>5</sup> المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

منها الإنسانية، ويبدو أنه يمكن تفاديها لو أخذت فكرة الغائية بعين الاعتبار، ومن الأمثلة على ذلك:

. مرض السيدا، فمن المعروف أن من أسبابه الشذوذ الجنسي، وهو انحراف عن الطبيعة الإنسانية السوية، إلا أن هذا المعنى يستبعد تماما كعامل يجب محاربه لأجل القضاء على هذا المرض لاعتبارات أخرى كالحرية الفردية، ويركز العلماء جهودهم على كشف الفيروسات المسببة للمرض، والأدوية المناسبة اللازمة لمقاومته، وهذه الجهود مطلوبة، ولكنها تبذل في ظل الفصل بين الجنس وغايته المتمثلة في حفظ النوع الإنساني، وإشباع الغريزة الفطرية، وتحقيق هذين الهدفين يتطلب مراعاة السنة الكونية التي تقتضي أن تكون العلاقة بين الذكر والأنثى فقط، وفي إطار الزواج، وهو العلاقة الشرعية المعروفة منذ فجر التاريخ.

إن اعتبار الانحراف السلوكي سببا رئيسيا للمرض، سيوفر على الإنسانية جهدا كبيرا، ويساعدها على تجاوز الأضرار الناجمة عن المرض من فقد للأرواح، وإنفاق للأموال على توفير الأدوية لتسكين الآلام التي يعاني منها المرضى، وهذا لا يتم إلا إذا نظر الإنسان إلى الوظيفة السامية للجنس في حياة الإنسان، وسلك ما يحقق هذه الوظيفة، وتجاوز النظرة المادية التي تعتبره وسيلة للذة والمتعة.

**ج- الإجابة عن الأسئلة الفطرية:** ما مصدر هذا الكون؟ كيف أتى؟ أهو مخلوق أم قديم؟ ما مكانة الإنسان في الكون وما دوره فيه؟ كل هذه التساؤلات مرتبطة بشكل جوهري بالسؤال: ما مغزى الكون؟<sup>1</sup>.

فلاعتقد بأن للكون غاية، وهو ما يدعو إليه القرآن الكريم، يعني أن له خالقا عظيما مبدعا، وأن الإنسان موجود لغاية تتجاوز المطالب المادية المحدودة، إذ لا يعقل أن يوجد صدفة، وكل مكون من مكوناته له وظيفة محددة تدل على اتصافه بالنظام والدقة في الحركات، والنتيجة المنطقية لهذا الاعتقاد تتمثل في إسباغ المعنى على الحياة، وهو ما تفتقر إليه النظرة المادية التي تعتقد أن الكون عديم المعنى وغير معقول.

**2. غاية المعرفة:** حدد الله عز وجل في أول آية قرآنية، نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الغاية من المعرفة، يقول الله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، مرجع سابق، ص 317.

يقول محمد عبده: " أي إذا قرأت فاقراً دائماً على أن تكون قراءتك عملاً تنفذه الله تعالى لا لغيره"<sup>2</sup>.

وبهذه الغاية، يجعل الإنسان من المعرفة المكتسبة وسيلة لتحقيق ما خلق لأجله، أي عبادة الله عز وجل التي تعني طاعته طاعة كاملة بسبب محبته، وثمرتها الطاعة الانسجام مع نوااميس الوجود وقوانين الكون والحياة والمصير، ثم الإفضاء إلى سعادة الإنسان وخلوده<sup>3</sup>.

ومن الآثار التي تترتب على هذه الغاية، إشاعة السلام والأخوة والوحدة، وتحقيق كمال الإنسان وسعادته وإكرامه<sup>4</sup>.

يقول الأستاذ بابا عمي: "الغاية المتوخاة من العلم في الفكر الغربي، لم تتحقق بل إنها لن تتحقق أبداً، ذلك أن العلم إذا فصل عن مصدره الإلهي، وإذا لم يعترف بضعف الإنسان، وإذا لم يسطر مساره إلى جوار الدين، وباسم الله، فإنه سيزيد من شقاء البشرية، وسيرمي بها في متاهات لا حد لها ولا حصر"<sup>5</sup>.

### القيمة الخامسة: الإعمار:

وهي من أمهات القيم الإسلامية في كتاب الله عز وجل<sup>6</sup>، يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>7</sup>، أي أكرمكم بعمارتهما واستغلال خيراتها<sup>8</sup>.

وقد صرحت العديد من الآيات بهذا المعنى، ولفتت نظر الإنسان إلى ما يزرع به الكون من نعم تتناسب وحاجات الإنسان المادية، ومن هذه الآيات:

<sup>1</sup> العلق : 01.

<sup>2</sup> محمد عبده ، تفسير القرآن الكريم، جزء عم ، ص 126.

<sup>3</sup> الكيلاني، مرجع سابق، ص 233

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 235

<sup>5</sup> محمد موسى بابا عمي، مقارنة في فهم البحث العلمي، ص 63

<sup>6</sup> عبدالحמיד أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص 51.

<sup>7</sup> هود: 61.

<sup>8</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج 2، ص 407، ابن كثير، مرجع سابق، ج 4، ص 194.



- ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ سَعِيرَ الْجَنَّةِ تَلْبَسُوهَا وَتَبْتَ سَوْنَهَا وَتِي  
الْفَلَكَ مَوَاحِرُ فِيهِ بَاتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴾<sup>1</sup>.

- ﴿ فَاْمَشُوا فِيهَا كَادَتْ يَخْرُجُنَّ مِنْهَا رِقَابُهُمْ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا ﴾<sup>2</sup>.

- ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِتُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَمِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴾<sup>3</sup>.

وبينت - أي الآيات الكريمة . أن ما في السموات والأرض مذل للإنسان، مخلوق لينتفع  
ويتمتع به، يقول الله عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لِيُعَلِّمَهُ ﴾<sup>4</sup>، أي  
أي جعلها نافعة للإنسان<sup>5</sup>.

ولكن القرآن الكريم لم يترك الانتفاع بالكون خاضعا لأهواء الإنسان، وإنما ضبطه بمجموعة  
من المبادئ الموجهة للإنسان نحو تحقيق مصلحته، دون إلحاق الضرر بنفسه أو بغيره من  
المخلوقات، ومن هذه المبادئ:

أ. أن الصلة التي تربط الإنسان بالكون، هي صلة تفاهم وتساند ومصالحة، لا صلة صراع  
وتدافع وسرف وابتذال، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ  
بِحَنَاقٍ إِلَّأَ أُمَّةٌ أَلِكُمْ مَّا قَرَضْتُمْ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَوْنَ ﴾<sup>6</sup>، وكلمة دابة  
دابة تشمل كل الأحياء من حشرات وهوام وزواحف...، والطائر يشمل كل الكائنات  
الطائرة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> النحل: 14

<sup>2</sup> الملك: 15.

<sup>3</sup> القصص: 73.

<sup>4</sup> الجاثية: 13.

<sup>5</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج2، ص 97..

<sup>6</sup> الأنعام: 38.

<sup>7</sup> سيد قطب، مرجع سابق، ج2، ص 1039.

والآية الكريمة تشير إلى أن الإنسان والكائنات المختلفة الأخرى تشترك في كونها مخلوقة لله عز وجل، "كتب الله أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتب أرزاق الناس وآجالهم وأعمالهم"<sup>1</sup>، وبذلك فمن حقها أن تحيا، ويحفظ رزقها والبيئة التي تعيش فيها.

وإذا كان الإنسان قد استخلف في الأرض، وسخرت له العناصر الطبيعية، فالواجب يحتم عليه أن يتصرف بالعدل عند تعامله مع الطبيعة، وذلك بعدم تجاوز حدود حاجته في استغلال المخلوقات المختلفة، وقد أشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه المعاني:

- فعن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها"<sup>2</sup> - وعن عمرو بن الشريد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قتل عصفورا عبثا عجز<sup>3</sup> إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، رب، إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة"<sup>4</sup>.

ب . حذر القرآن الكريم من الإضرار بالكون، وأمر بالمحافظة على توازنه وجماله وحسن منظره، يقول الله عز وجل:

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَعُولُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْحَسَنِينَ﴾<sup>5</sup>.

- ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفٰسِلِينَ﴾<sup>6</sup>.

والفساد المنهي عنه في هذه الآيات، لا يتعلق فقط بالفساد الأخلاقي والاجتماعي والديني، وإنما يشمل الفساد الذي يطال البيئة الطبيعية، بحفظها من التلف والتلوث وفرط الاستهلاك<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج2، ص 21.

<sup>2</sup> رواه أبو داود في سننه، باب ( في اتخاذ الكلب للصيد وغيره )، رقم (2845)، ج4، ص467. قال شعيب الأرنؤوط محقق سنن أبي داود: "إسناد الحديث صحيح". المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> عجز يعرج عجيجا: صوت مرة بعد أخرى. محمد بن أبي بكر الرازي، مرجع سابق، ص37؛ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ومجاشيته الإمام الجليل السندي، ص239.

<sup>4</sup> رواه النسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، ج7، ص239.

<sup>5</sup> الأعراف: 56.

<sup>6</sup> القصص: 77.

<sup>7</sup> عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص 207 إلى 234.

ولبيان خطورة إفساد البيئة، جعل الله عز وجل إهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار، والإضرار بالنسل وهو نتاج الحيوانات، من صفات المنافقين، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا بِمَا كَرِهَ اللَّهُ لِيُنزِلَ وَاللَّهُ لُمُحِبُّ الْفَسَادِ﴾<sup>1</sup>.  
وأكد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ورد في القرآن الكريم، فنهى عن الإضرار بالبيئة في العديد من الأحاديث منها:

- ما رواه ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"<sup>2</sup>.  
- وعن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من قطع سدره صوب الله رأسه في النار"<sup>3</sup>، والقطع المتوعد فيه هو الذي يكون بلا سبب موجب له<sup>4</sup>.

ج - نبه القرآن الكريم إلى أن الطبيعة، فيها من الموارد والخيرات، ما يكفل للناس جميعا حاجاتهم، خلافا لما يعتقد المفسرون الماديون، من محدودية الموارد الطبيعية<sup>5</sup>.  
يقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ﴾<sup>6</sup>.

فنعلم الله عز وجل أكبر وأكثر من أن يحصيها فريق من البشر، أو كل البشر<sup>7</sup>، ولذلك فمشكلة الفقر، سببها الإنسان نفسه سواء بظلمه من حيث سوء توزيع الثروة، أو بكفرانه النعمة،

<sup>1</sup> البقرة : 205.

<sup>2</sup> رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ( خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ) رقم ( 3140 )، ج3، ص1205.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب ( في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ) رقم ( 2619 )، ج4، ص2110  
<sup>3</sup> رواه البيهقي في سننه، باب ( ما جاء في قطع السدر )، رقم ( 11758 )، ج6، ص230 ؛ أبوداود في سننه، باب قطع السدر، رقم 5239، ج7، ص523.

<sup>4</sup> ينظر شرح شعيب الأرنؤوط للحديث في سنن أبي داود، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> محمد شوقي الفنجرى، نحو اقتصاد إسلامي، ص 64.

<sup>6</sup> إبراهيم : 32-34.

<sup>7</sup> سيد قطب ، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص 2108.

من حيث إهمال استثمار الطبيعة وعدم استغلاله جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالاً سليماً<sup>1</sup>.

وعلى ذلك ينبغي أن تكون العلاقة بين الناس، هي علاقة التراحم والتعاون، لا علاقة الصراع والاقْتتال المبنية على فكرة "محدودية الموارد الطبيعية".

والعلوم الطبيعية بما حققته من تطور، يمكن أن تقدم للإنسان من الوسائل، ما يستطيع أن يحقق به استثماراً للطبيعة يلبي مطالب الناس المادية.

د. ورد في القرآن بيان للوظيفة التي خلق لأجلها الإنسان، والمتمثلة في ثلاثة أمور:

- 1- العبادة : يقول الله عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>2</sup>.
- 2- الخلافة : يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>3</sup>، ويقول أيضاً: ﴿ وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>4</sup>.
- 3 - العمارة : يقول الله تعالى: ﴿ وَأَسْتَعْمِكُمْ فِيهَا ﴾<sup>5</sup>.

وأداء الإنسان لدوره في الحياة، يتوقف على مدى إنجاز هذه الوظائف الثلاثة، دون تقصير في واحدة منها، ولهذا حرم الإسلام الرهبانية<sup>6</sup>، وأمر الإنسان بالسعي لكسب حاجاته من الطعام والطعام واللباس...، باستثمار خيرات الأرض، في إطار الالتزام بأمر الله عز وجل واجتناب ما نهى عنه.

يقول الله عز وجل:

<sup>1</sup> محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص 65-66.

<sup>2</sup> الذاريات: 56.

<sup>3</sup> البقرة: 30.

<sup>4</sup> الأعراف : 129.

<sup>5</sup> هود : 61؛ الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 82-83.

<sup>6</sup> يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص 164.

- ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ اللَّذَّةَ الَّتِي اللَّهُ أَجْعَلَ بِهَا لَطَائِفَ مَا مَنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُخَالَصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>1</sup>.

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِيهَا كَأَن يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَلَا يُلِيهِ السُّؤْر﴾<sup>2</sup>.

إن الإنسان عليه أن يستشعر أن حاكميته على ما في الأرض، إنما هي بتفويض من الله عز وجل، ولهذا يجب عليه أن يجعل غايته هي تنفيذ ما يريد الله عز وجل، ليكون خليفة في الأرض<sup>3</sup>.

وعلى ذلك، فاستغلال خيرات الكون جزء أساسي من وظيفة الإنسان، لا يجوز التقصير فيها، ولكن هذا الاستغلال يجب أن يكون مضبوطاً بالمبادئ الأخلاقية التي توجه هذا الاستغلال نحو ما ينفع الإنسان ولا يلحق الضرر بمصدر انتفاعه أي الطبيعة.

هـ- ذكر الله عز وجل، أن جميع ما في الكون مسخر للإنسان، يقول الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لِيُعَلِّمَهُ الْإِنْسَانَ بِمَا كَلَّمَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>4</sup>.

يقول الأصفهاني: " واعلم أن كل ما أوجد في هذا العالم، فإنما أوجد لأجل الإنسان"<sup>5</sup>.

ولكن هذه الموجودات، لا يعرف الإنسان منافع بعضها، وهذا ما جعل بعض العلماء يعتقدون أن بعض الأجسام فقط، هي التي وضعت بصفة تخدم وجود الإنسان<sup>6</sup>.

إن هذا الاعتقاد يتعارض مع منطوق الآية الآنف الذكر، والتي تصرح بأن كل ما في السماوات والأرض مسخر للإنسان، وهو ما يتناسب مع حكمة الله عز وجل المنزه عن العبث<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> الأعراف: 32.

<sup>2</sup> الملك: 15.

<sup>3</sup> يعرف الأصفهاني الخلافة بقوله " هي الإقتداء بالباري تعالى على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة"، الأصفهاني، مرجع سابق، ص 83.

<sup>4</sup> الجاثية: 13.

<sup>5</sup> الأصفهاني، مرجع سابق، ص 79.

<sup>6</sup> جمال ميموني ونضال قسوم، مرجع سابق، ص 282.

العبث<sup>1</sup>، وفي ذلك يقول الأصفهاني: " ليس جهلنا بمنافع بعض الأشياء، قادحا في حكمة الله عز وجل"<sup>2</sup>.

ومن الواضح، أن جهل الإنسان بمنافع بعض الموجودات، يدفعه إلى البحث والاستكشاف بغرض معرفة ما يجمله، واستغلال ما يصل إليه من معرفة في خدمة الحياة الإنسانية، ولكن في إطار المبادئ الأخلاقية، بخلاف ما عليه العلم في ظل الحضارة الأوربية، المتحرر من الأخلاق والقيم<sup>3</sup>.

### القيمة السادسة: الجمال:

ينبه القرآن الكريم الباحث في العلوم الطبيعية، والمتأمل في الكون إلى ما تزخر به المخلوقات من جمال، تترين به كل أجزائها.

يقول الله عز وجل:

- ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا فِيهِ إِلَّا لِبَشْقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَشَاقِقُونَ رَحِيمًا خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَالْحَمِيرَ تَرْكِبُ وَهُوَ مِنْ نَسَبٍ وَخَلَقَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿4﴾
- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّكَ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿5﴾
- ﴿ وَزَيْنَا السَّمَاءِ الذُّنُوبِ بِأَمْصَابِيحٍ وَحِفْظًا لِّكَ تَقْلِيدِ الْعَوَائِدِ طَبِيبِ ﴿6﴾
- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿7﴾

فما هو مفهوم الجمال؟، وما هي العلاقة بين هذا المفهوم والعلوم الطبيعية؟

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص 30.

<sup>2</sup> الأصفهاني، مرجع سابق، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> ينظر: الفصل الثاني من هذا البحث.

<sup>4</sup> النحل: 5-8.

<sup>5</sup> الكهف: 07.

<sup>6</sup> فصلت: 12.

<sup>7</sup> التين: 04.

**1- مفهوم الجمال :** تعددت تفسيرات الجمال بتعدد المنطلقات الفلسفية والنقدية والإبداعية والعلمية والإنسانية، فهي تماثل في صعوبتها كلمات مثل: السعادة والموهبة والفن، وذلك لأن هذه الكلمات غالباً ما تعني أشياء كثيرة<sup>1</sup>.

ولهذا سنقتصر على المفهوم الذي يشير إليه القرآن الكريم، والذي يعني الإتقان والتناسق والترابط بين أجزاء الكون<sup>2</sup>، وربط ذلك بالنفع، يقول سيد قطب " إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه، ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدي عن طريق جمالها، من ذلك أن الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفرش مع الرائحة الخاصة التي تفوح، ووظيفة النحل والفرش نقل اللقاح...، وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها"<sup>3</sup>، وفي تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ يُرْجُونَ وَحِينَ تَسْجُونَ ﴾<sup>4</sup> يقول: "فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح؟، قلت: لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة أهلها"<sup>5</sup>.

وتكرار إشارة القرآن الكريم إلى جمال الكائنات المختلفة، لها قيمتها في بيان نظرة الإسلام للحياة، فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، يشكل جزءاً من نعمة الله تعالى على الناس، فهو يلي حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان"<sup>6</sup>.

إن القرآن الكريم خطاب من الله عز وجل للإنسان، ولذا تشتمل عناصر الخطاب على كل أبعاد الإنسان الروحية والعاطفية والمادية، وتتجلى هذه العناصر عند تناوله للظواهر الطبيعية:

- فيلفت إلى الجمال الذي تتصف بهما، لإيقاظ حاسة الذوق الجمالي العالي.
- وبنبه إلى ما تزخر به من خيرات لإشباع حاجات الإنسان المادية.
- ويدعو إلى التفكير في مصدر هذا الجمال الذي يتراءى للناظر، في هذا الكون الفسيح، يقول الله عز وجل :

<sup>1</sup> شاکر عبد الحمید، التفصیل الجمالی، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، ص 14 إلى 17.

<sup>2</sup> منتصر محمود مجاهد، مرجع سابق، ص 36.

<sup>3</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد، ص 2943.

<sup>4</sup> النحل: 06.

<sup>5</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج2، ص 594.

<sup>6</sup> سيد قطب، مرجع سابق، لمجلد الرابع، ص 2161.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ فَاغْثًا رَّابِحًا حَلَاءً قَدْ ذَاتَ نَهْجَةٍ  
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئًا إِلَّا لَهُ مَعَّ اللَّهُ لَمْ يُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>1</sup>؛ "فإيجاد الحقائق المختلفة  
الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسناتها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه  
إلا الله عز وجل"<sup>2</sup>، فلا الضرورة ولا الصدفة، يمكن أن نفسر بهما جمال الطبيعة الخلاق، فليست  
هناك أي ضرورة تفرض أن تشمل الظواهر الطبيعية على البساطة والتناسق.<sup>3</sup>

ولو كان الجمال نتيجة الصدفة للزم أن يكون نادرا، ولكن الواقع خلاف ذلك، فالطبيعة  
تزخر بالجمال، فكل ما يمكن العثور عليه في الطبيعة من أشياء يتبدى عن شيء من الجمال.<sup>4</sup>

## 2- الجمال والعلوم الطبيعية: كان الاعتقاد السائد أن الجمال صفة كيفية وليست

كمية، فهو خاصية من خواص المراقب، لا صفة من صفات الأشياء الطبيعية، وعليه فلا يدخل  
في اختصاص العلم الذي يدرس خواص المواد القابلة للتكسيم، كالوزن والحجم والشكل والعدد<sup>5</sup>،  
والعدد<sup>5</sup>، ولكن التطور العلمي في القرن العشرين، اعتبر الجمال عنصرا أساسيا، فهو المقياس  
للحقيقة العلمية، وهذا ما يشير إليه اينشتاين، بقوله: "لا علم من غير الاعتقاد بوجود تناسق  
داخلي في الكون"<sup>6</sup>.

وإعادة الاعتبار للجمال كعنصر أساسي في الكون، يدل على أن العلم في تقدمه يقترب  
من الرؤية الإسلامية<sup>7</sup>، التي تعتبر الجمال عنصرا أساسيا في الكون، لا ينبغي تجاهله، لما له نتائج  
طبية على الباحث في العلوم الطبيعية، ومن هذه النتائج:

- تثبيت التوحيد في النفوس، ومعرفة الله عز وجل.
- إيقاظ حاسة الذوق الجمالي؛ فالإحساس بالجمال كامن في شعورنا، يتطلب لتنميته إيقاظ  
حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه  
في الذرة والثمرة والعالم الخارجي الشاسع<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> النمل: 60.

<sup>2</sup> الزمخشري، مرجع سابق، ج2، ص 594

<sup>3</sup> روبرت أغروس وجورج ستانسيو، مرجع سابق، ص 71.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 73.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 45.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 49.

<sup>7</sup> محمد فريد وجددي، المستقبل للإسلام، ص 107.

<sup>8</sup> سيد قطب، مرجع سابق، المجلد 5، ص 2942؛ الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، ص



- الشعور بالسعادة والمتعة والاطمئنان إلى هذا الكون، فلا يجيش فيه القلق لشيء من الظواهر الكونية<sup>1</sup>، يقول ألكسيس كاريل: " أولئك الذين يستشعرون مجرد الإحساس البدائي بالجمال في عملهم، أكثر سعادة من أولئك الذين ينتجون لأن مجرد الإنتاج يمكنهم من الاستهلاك"<sup>2</sup>.

- ترسيخ التصور الصحيح للكون القائم على الانسجام، المحكوم بقوانين تعمل على منوال ثابت<sup>3</sup>.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

<sup>1</sup> سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 347.

<sup>2</sup> الكسيس كاريل، مرجع سابق، ص 144.

<sup>3</sup> صلاح قنصوة، فلسفة العلم، ص 156.

## المبحث الثالث: خصائص القيم القرآنية:

إذا تأملنا القيم السالفة الذكر، نجد أنها تتميز بجملة من الخصائص منها:

1. القداسة: تتصف القيم القرآنية بالقداسة، لصدورها عن الله عز وجل، فهي مستمدة من الوحي المنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما يجعلها محترمة ومهابة من قبل المؤمنين بها، وهذا ما يؤدي إلى الالتزام بها وعدم تجاوزها ولو مع القدرة على التجاوز.

وهذه الخاصية مفتقدة في القيم التي يضعها البشر، فكم من دعوة صدرت من علماء وجمعيات تنادي بضرورة الحفاظ على البيئة، وتدعو للحفاظ على كرامة الإنسان<sup>1</sup>، إلا أن كل هذه الدعوات تذهب سدى، ولا تجد الاستجابة الكافية لدى الباحثين والجامعات.

إن احترام القيم القرآنية والالتزام بها، هو النتيجة المنطقية لدى من يؤمن بأنه عبد لله عز وجل، وأن الله تعالى يتصف بالعلم والحكمة، فلا يشرع إلا ما فيه المصلحة للإنسان.

2. الشمول والتكامل: ترتبط القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية، بكل علاقات الإنسان؛ فقيمة التوحيد تحدد العلاقة مع الله عز وجل، والإعمار يوضح العلاقة التي يجب أن تكون بين الإنسان والطبيعة، وقيمة "الكرامة الإنسانية" تقدم صورة صحيحة للإنسان، تتجاوز النظرة الضيقة التي وقعت فيها الديانة المسيحية التي اختزلت الإنسان في الروح، أو التي وقعت فيها الفلسفة المادية التي أنكرت تطلعات الإنسان الروحية وحصرت اهتماماته في الاحتياجات البيولوجية<sup>2</sup>، وقيمة "المسؤولية"، لها أثر مباشر على السلوك الإنساني، إذ تجعله يتوجه نحو خدمة الإنسانية، وبيتعد عما يلحق بها الضرر.

أما قيمة الجمال وقيمة الغائية، فإنهما تسبغان على حياة الإنسان والكون معنى.

<sup>1</sup> ينظر البيان الذي أصدره 1500 عالما، تحت عنوان: تحذير إلى الإنسانية. « warning to humanity », سنة

1992، موقع:

www.deoxy.org.

<sup>2</sup> علي عزت بيغوفيتش، مرجع سابق، ص 40.

والقيم بهذه المعاني تغطي كل جوانب الحياة الإنسانية.

3- الوسطية: يظهر من التحليل السابق لخاصية " الشمول والتكامل"، أن القيم القرآنية تحقق التوازن بين مطالب الجسد وأشواق الروح.

4- الإطلاقية: فهي صادقة في كل زمان ومكان، لأنها صادرة من الله عز وجل، ولأنها تتناول حقائق لا تتخلف بمرور الزمن، فالتوحيد والمسؤولية وغيرهما قيم، تعبر عن الحق وتهدف إلى تحقيق الخير للإنسانية جمعاء، وهذا ما تجلّى لنا عند تحليل هذه القيم وبيان أثرها على مسار العلوم الطبيعية.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الخاتمة

---

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

## خاتمة:

بعد هذه الجولة القرآنية الممتعة والمفيدة، بحثنا عن القيم القرآنية ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية، من خلال الآيات التي تناولت الظواهر الطبيعية، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- مفهوم العلم في القرآن الكريم، شامل لكل جوانب العلوم المفيدة، سواء كان مصدرها الوحي أم كان مصدرها العقل أو الحس والتجربة.

2- استعمال القرآن الكريم لمناهج متعددة يتضمن دعوة إلى استخدام المنهج المناسب لطبيعة كل موضوع، فمنهج عالم الشهادة غير منهج عالم الغيب، ومنهج العقليات غير منهج الحسيات.

3- المنهج القرآني في تناول الظواهر الطبيعية، يقوم على دعامين:

الأولى: تتمثل في الملاحظة والتجربة.

الثانية: تتمثل في القيم المرتبطة بهذه الظواهر.

وهو بهذا، يتميز عن المنهج القائم على الرؤية المادية، الذي يجعل من الكشف عن القوانين التي تحكم الظاهرة الطبيعية، والاستعمالات الممكنة لهذه القوانين في عالم الإنتاج غايته النهائية.

4- الغاية النهائية من دراسة الطبيعة تتمثل في الكشف عن دلائل وحدانية الله عز وجل ومظاهر قدرته، واستغلال ما تزخر بها من نِعَمٍ لتحقيق حاجات الإنسان المادية بلا إسراف ولا تبذير، وإبراز آيات الجمال في العناصر الطبيعية المختلفة.

5- القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية ضرورية، لمعالجة السلبيات والأضرار الناجمة عن التطور العلمي القائم على الرؤية المادية للكون والإنسان والحياة؛ فالعلوم الطبيعية وسيلة يمكن استخدامها في الخير كما يمكن استخدامها في الشر، ومن هنا تأتي الحاجة إلى القيم القرآنية، كغاية من دراسة الطبيعة، وموجهة لها نحو تحقيق المثل العليا في حياة الإنسان.

6- القرآن الكريم كتاب هداية، يشتمل على ما يحقق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويحتوي على ما يمكن أن يعالج ما أفرزه العلم المعاصر من مشكلات.

وهذا ما يجعلنا نوصي بما يلي:

تصحيح منهج تدريس العلوم الطبيعية بإدراج القيم القرآنية، والآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية في الأقسام المتخصصة، لتكوين باحثين قادرين على استيعاب العلوم الطبيعية الحديثة، ومن ثم صياغتها وتوظيفها وفق الرؤية القرآنية.

الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية

# قائمة المصادر

## والمراجع

جامعة الأزهر  
القائمة للمراجع  
الإسلامية

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً: الكتب

- القرآن الكريم.
- إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992، ط2.
- ابن القيم الجوزية:
- 1- الروح، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، بدون طبعة.
- 2- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر المعاصر، الجزائر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988، بدون طبعة.
- أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1991، ط1.
- أبو الفضل جمال الدين مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- أبو الوليد محمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تقديم وتعليق: أبو عمران الشيخ وجلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، بدون طبعة.
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط3.
-



● أبو حامد الغزالي:

- 1- إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - 2- جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، بدون تاريخ، ط3.
  - 3- تحافت الفلاسفة، قدم له وضبط نصه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط2.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، طبعة خاصة.
  - أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي والجليل السندي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، موفم للنشر ودار الهدى بعين مليلة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ط2.
  - أحمد الصيداوي، البحث العلمي بنماذجه الأساسية: مقدمة المقدمات للبحوث التربوية والاجتماعية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بدون مكان النشر، 2001، ط1.
  - أحمد زكي بدر، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، بدون طبعة.
  - أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية للنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، 1997، ط1.
  - أحمد محمد حسين الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار الفكر دمشق، 2002، ط1.

- إسماعيل راجي الفاروقي وعبد الله عمر ناصيف، العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، شركة كتاب عكاظ، السعودية، 1984، ط1.
- إسماعيل راجي الفاروقي:
- 1- جوهر الحضارة الإسلامية، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 2- نحن والغرب، دار الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، 1406هـ، ط2.
- الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد رفيق، مكتبة المعارف، بيروت، 2003، ط1.
- باحمد ارفيس، مراحل الحمل والتصرفات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، بدون ناشر، الجزائر، بدون تاريخ، ط2.
- برهان الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، موفم للنشر، الجزائر، 1990، بدون طبعة.
- بوشنسكي إم، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، بدون طبعة.
- بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد زكريا، دار نضضة مصر، القاهرة، 1973، بدون طبعة.
- بيتر كونزمان وزملاؤه، أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، 1999، ط8.

- بيير بلانشي، نظرية العلم، ترجمة: محمود اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، بدون طبعة.
- توبي أ هف، فجر العلم الحديث: الإسلام- الصين- الغرب، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000، ط2.
- توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن: عالم صنعه القرآن، دار المنار، القاهرة، 1984، ط2.
- جان بول رزقير، فلسفة القيم، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ط1.
- جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994.
- جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، على حاشية مختصر تفسير الطبري، للعلامة أبو يحيى محمد بن صمادح النجيب الأندلسي، تحقيق: نخبة من علماء الأزهر، مكتبة مصر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- جمال ميموني ونضال قسوم، قصة الكون (من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم)، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، بدون طبعة.
- جورج سارطون، مقدمة في تاريخ العلم، ترجمة: توفيق الطويل ورفاقه، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- جون كلوفر مونسيما، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار السلام للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، 2005، بدون طبعة.
- حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، بدون تاريخ، ط1.

- الراغب الأصفهاني:

1- الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد يزيد العجمي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، 2007، ط1.

2- المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.

- راف ن وين، قاكوس جون ديوي للتربية: مختارات من مؤلفاته، ترجمة: محمد علي العريان، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 1964، بدون طبعة.

- الربيع ميمون، نظرية القيمة بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1980، بدون طبعة.

- روبرت م أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال الخلايلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، بدون طبعة.

- روجيه دي باسكويه، إظهار الإسلام، مكتبة الشروق، القاهرة، 1994، بدون طبعة.

- زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، بدون ناشر، بدون مكان النشر، 1400هـ، ط2.

- زغلول النجار:

1- قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، شركة نهضة مصر، القاهرة، 2008، ط3.

2- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ج3، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2003، ط4.

- زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، مكتبة انجلو مصرية، القاهرة، 1963، بدون طبعة.

- زيني بن طلال بن حامد الحازمي، النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي (من منتصف القرن 2هـ إلى القرن 7هـ)، بحث مقدم لنيل درجة

الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006، غير منشور.

● سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984.

● سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ترجمة: سيف الدين القصير، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1991، ط1.

● سيد قطب:

1- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ، ط6.

2- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2003، ط32.

● سيد محمد نقيب العتاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ترجمة: محمد الطاهر الميساوي، المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية-ماليزيا- ودار النفائس-عمان- الأردن، 2000، ط1.

● السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، 2006، ط1.

● سير روي كالن، عالم يفيض بسكانه، ترجمة: ليلي الجبالي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996، بدون طبعة.

● شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي: دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، بدون طبعة.

● الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: مصطفى أبو يعقوب، مؤسسة الحسن، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1.

● صلاح الدين بيوني أرسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1990، بدون طبعة.

- صلاح قنصوة، فلسفة العلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، بدون طبعة.
- الطاهر بن عاشور:
- 1- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 2- مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ودار السلام، القاهرة، 2006، بدون طبعة.
- طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ط1.
- طه عبد الرحمان، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1.
- عباس محمود العقاد:
- 1- الإنسان في القرآن الكريم، مكتبة رحاب، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 2- التفكير فريضة إسلامية، مكتبة رحاب، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 3- الفلسفة القرآنية، مكتبة رحاب، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- عبد الحميد أحمد أبو سليمان:
- 1- أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1992، ط2.
- 2- الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بدون مكان النشر، 2009، ط1.
- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، تحقيق: محمد الحسن فضلاء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985، ط1.
- عبد الرحمان بدوي:
- 1- خلاصة الفكر الأوروبي: نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ط5.

2-مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ، بدون طبعة.

3- مناهج البحث العلمي، النهضة العربية، القاهرة، 1963، بدون طبعة.

● عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ط1.

● عبد الرحمان بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومكتبة المؤيد-الرياض، 1992، ط1.

● عبد الكريم زيدان، خصائص الإسلام، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.

● عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.

● عبد الله العمر، ظاهرة العلم الحديث، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، بدون طبعة.

● عبد المجيد النجار:

1-مباحث في منهجية التفكير الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط1.

2- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ط1.

● عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ط2.

● عبد الوهاب المسيري:

- 1- إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد: فقه التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998، ط3.
- 2- العلمانية والحداثة والعولمة، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حربي، دار الفكر، دمشق، 2010، ط2.
- 3- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2003، ط1.
- علي شريعتي، العودة على الذات، ترجمة: إبراهيم الدسوقي، الزهراء للإعلام العربي، بدون مكان النشر، 1986، بدون طبعة.
  - علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ألمانيا، 1997، ط2.
  - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004، ط1.
  - عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1395هـ، ط2.
  - فاطمة إسماعيل، منهج البحث عند الكندي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998، ط1.
  - فؤاد زكريا، التفكير العلمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987.
  - فؤاد سركين، محاضرات في تاريخ العلوم، بدون ناشر، الرياض، 1979، بدون طبعة.
  - فاروق الدسوقي، الإسلام والعلم التجريبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة الخاني، الرياض، 1987، ط1.
  - فهمي محمد علوان، القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، بدون طبعة.



- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ط2.
- فيليب فرانك، فلسفة العلم: الصلة بين العلم والفلسفة، ترجمة: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ط1.
- قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي، بيان الحاجة إلى الطب والأطباء وآدابهم ووصاياهم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط1.
- لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، دار المريخ، الرياض، 1982، ط1.
- ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ودار الفكر، دمشق، 1987، ط4.
- مجموعة من الكتاب، كتاب العربي: دمار البيئة.. دمار الإنسان، الناشر: مجلة العربي، 2002، ط1.
- محمد الغزالي:
- 1- كيف نتعامل مع القرآن، مدارس أجراها معه عمر عبيد حسنة، دار الانتفاضة للنشر، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 2- نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، منشورات بغدادية، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- محمد المبارك:
- 1- الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، 1978، ط1.
- 2- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار البعث، قسنطينة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، القاهرة، 1329هـ، ط1.

- محمد بن حزم، رسالة في مراتب العلوم، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية في علم التفسير، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1930، بدون طبعة.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ط8.
- محمد جواد مغنية، الإسلام بنظرة عصرية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ط2.
- محمد سعيد رمضان البوطي:
- 1- كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، ودار الملكية للإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، 1402هـ، ط8.
- 2- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق، 1998، ط1.
- محمد شديد، قيم الحياة في القرآن الكريم، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- محمد شهاب الدين الندوي، بين علم آدم والعلم الحديث، دار الصحافة للنشر، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1986، بدون طبعة.
- محمد شوقي الفنجري، نحو اقتصاد إسلامي، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1981، ط1.
- محمد عابد الجابري:
- 1- قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ط1.
- 2- مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ط4.
- محمد عبده:

- 1- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، موفم للنشر، الجزائر، 1987، بدون طبعة.
- 2- تفسير القرآن الكريم: جزء عم، دار الكتب، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- محمد عزيز نظمي سالم، المنطق الحديث وفلسفة العلوم ومناهج البحث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2002، بدون طبعة.
  - محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة رحاب، الجزائر، 1990، ط4.
  - محمد علي بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1991، ط3.
  - محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1986، ط1.
  - محمد فريد وجدي، المستقبل للإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - محمد متولي الشعراوي، المختار في تفسير القرآن الكريم، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1986، بدون طبعة.
  - محمد مرتضى الزبيدي، شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ط1.
  - محمد موسى بابا عمي:

- 1- مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان، معهد المناهج- الجزائر- وثرى للنشر والتوزيع، 2007، بدون طبعة.
- 2- مفهوم الزمن في القرآن الكريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ط1.
- 3- مقارنة في فهم البحث العلمي، معهد المناهج، الجزائر، 2007، بدون طبعة.
- محمود الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، مؤسسة الإسرائ، قسنطينة، الجزائر، 1991، ط1.
  - محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1987، ط3.
  - محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.
  - مساعد بن عبد الله الحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، 1992، ط1.
  - مشهد سعدي العلاف، مقدمة في فلسفة العلم: بناء المفاهيم بين العلم والمنطق، دار عمان، عمان، الأردن، 1991، بدون طبعة.
  - مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، دمشق، 1977، ط2.
  - منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ط1.
  - مهدي كلشني، من العلم العلماني إلى العلم الديني، دار الهادي للطباعة، بيروت، 2003، ط1.

- نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع: دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، دار الشروق، جدة، السعودية، 1980، ط1.
- نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، دار التربية للنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992، ط1.
- هاني رزق وخالص جلي، الإيمان والتقدم العلمي، دار الفكر، دمشق، 2000، ط1.
- وحيد الدين خان:
- 1- الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، المختار الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ط4.
- 2- الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، 1987، ط4.
- وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1986، ط1.
- وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بدون مكان النشر، 1987، بدون طبعة.
- يحي هاشم فرغل، الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، مطبعة دار القرآن، القاهرة، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- يوسف القرضاوي:
- 1- العبادة في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، بدون تاريخ، بدون طبعة.
- 2- العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996، ط1.
- 3- تيسير الفقه للمسلم المعاصر، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999، ط1.

#### 4- الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر، 1988، ط20.

##### ثانيا: الدوريات:

- إبراهيم ماسلو، خطر الانشقاق بين العلم والدين، ترجمة: ماجد عرسان الكيلاني، مجلة الأمة، تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر، العدد: 3، السنة: 1981.
- طه عبد الرحمان، الممارسات الدينية ونقد العقلانية، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد: 23، السنة: 2000.
- عبد الوهاب المسيري، الفكر الغربي: مشروع رؤية نقدية، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد: 05، السنة: 1996.
- فتحي حسن ملكاوي، التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد: 54، خريف 2008.
- قلم التحرير، مجلة عالم الفكر، العلوم عند العرب، مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الإعلام في الكويت، العدد: 01، ابريل مايو يونيو 1978.
- لؤي الصافي، إسلامية المعرفة: من المبادئ المعرفية إلى الطرق الإجرائية، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد: 03، 1995.
- محمد ظاهر، التطور: نظرية داروين الثورية، مجلة العربي الكويتية، العدد: 516، فبراير 2010.
- مصطفى بن الناصر وينتن، الوحدة في توحيد الأصول الإيمانية، الجمع العلمي، نشرة علمية تصدر عن الجمع العلمي لمعهد المناهج بالجزائر، العدد: 03، أبريل 2010.

##### ثالثا: الندوات والمحاضرات:

1- محمد أبطوي، من علم الحيل إلى علم الأثقال: ولادة ثانية للميكانيكا، (ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، بعنوان: مفهوم التقدم في العلم)، تنسيق: سالم يافوت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ط1.

2- محمد الحسن بريمة، الظاهرة الاجتماعية في القرآن الكريم، (ضمن بحوث: ندوة نحو نظام معرفي إسلامي، المنعقدة في عمان، الأردن، يومي: 10-11 يونيو)، تحرير: فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، 2000، ط1.

#### رابعا: المواقع الالكترونية:

- Warning to humanity, www.deoxy.org.

#### خامسا : المراجع الأجنبية:

- 1-Le petite Larousse, 2009
- 2-Maurice Bucaille, la Bible le coran et la science, seghers, paris, 14 édition.

## الفهارس

- الآيات.

- الأحاديث.

# الموضوعات

## فهرس الآيات:

الصفحات	أرقام الآيات	السورة	نص الآية
100	22-21	البقرة	يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ. لَا تَجْهَلُوا لَهُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١-٢٢﴾
126-97	30	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِمَّةِ اجْعَلِي فِي الْأَرْضِ لِيُفْتِنَهُنَّ﴾



97	32- 31	البقرة	﴿إِذْ نَالَ رَبُّكَ مُلَأَ تِكَّةَ بِنِي جَاعِلٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَطَّحُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾
26	146	البقرة	﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾
124-55	164-163	البقرة	﴿وَإِلَهُكُمْ لَهُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ نَّ فِي خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ أَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّهَا لَمِنَ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
17	269	البقرة	﴿يُرِي قِيَّةَ كِمَّةٍ مِّنْ شَاءَ وَمِنْ نُوتِ دِكِمَّةٍ فَقَدِي خَيْرًا كَمِيرًا﴾
87	189	البقرة	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِيَّةِ نَبَلٍ هِيَ وَاقِيَةٌ لِّنَّاسٍ الْحَجِّ وَلِيَسْأَلُوا بِنَاتِ الْوَالِيَّةِ وَتُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتَّقَى الْوَالِيَّةِ وَتُوتِ مِنْ أُوْبَاهِمَا﴾
143	205	البقرة	﴿وَإِذَا تَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ يَفْسِدُ فِيهَا نُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾
103-79	255	البقرة	﴿يُعَلِّمُ مَا يَن يَن لِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَشَاءٍ﴾

17	272	البقرة	﴿ وَمَا تَنْقُوتَ مِنْ خَيْرٍ فَلْأَنْفُسِكُمْ ﴾
12	75	آل عمران	﴿ مَا هَتْ عَلَيْهِ آذِمْ ﴾
-17-3	110	آل عمران	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَّقُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾
89	159	آل عمران	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
89	179	آل عمران	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ طُلُبًا عَلَيْكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ بَطْنِهِمْ مَنْ يَشَاءُ ﴾
-113 136	191-190	آل عمران	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خِتْلَافٍ يَبِينُ وَالنَّهَارِ لَا يَتْلُو الْأَمْثَالَ أَبَ ابِ الْبَيْنِ يَذُكُّو اللَّهَ فِي أَمَامٍ وَقَعُودًا وَعَلَى جُودِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ مَا خَلَقْتَ هَذَا بِلَا إِطْلَاقٍ حَازِلًا فَقَدْ آ عَذَابِ النَّارِ ﴾
12	05	النساء	﴿ وَلَا تَزُولُ أَرْجُلُهُمْ السُّفَهَاءُ أَمْوَالِكُمْ آتِي جَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
88	11	النساء	﴿ وَيُؤْتِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا حُظًّا الْأُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾
13	34	النساء	﴿ الرَّجَالُ قَوَاهُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾
79	83	النساء	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ مِنْهُمْ ﴾
129	119	النساء	﴿ وَلَا يُؤْتِيهِمْ فَلَاحٌ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ ﴾

87-5	15	المائدة	﴿ نَدَّ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ تَابَ مُبِينٌ ﴾
121-67	88-87	المائدة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِبُوا بَنَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُوا إِلَى اللَّهِ لَا يَحِبُّ الْمُحْضَلِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿
79	116	المائدة	﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾
81	37	الأنعام	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ اللَّهُ بَيِّنَاتٍ مِنَ رَبِّهِ نَلْنَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
142	38	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَائِرٍ بَرٍّ نَاجِيٍّ إِلَّا لَهُ أُمٌّ أُمَّةٌ مِمَّا رَزَقْتُمْ مِمَّا قَرَضْتُمْ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشُونَ ﴾
92	142-141	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْحَةَ لِمْأَاكُلِهِ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مِنْ شَجَاهَا وَغَيْرَ مِثْلِهِ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفِئَاةٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
11	161	الأنعام	﴿ دِينًا مِمَّا ﴾
12	31	الأعراف	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

145	32	الأعراف	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَخْرُجَ بِأَيْدِي نَبِيِّاتٍ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لِخَالِصَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
143	56	الأعراف	﴿ وَلَا تَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا إِدْعَاءَ وَهْوَ خَوْفٌ وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
145	129	الأعراف	﴿ وَيَسْتَخِفُّونَكُمُ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُ بِهِمْ لَبِيفٍ تَعْمَلُونَ ﴾
85	185	الأعراف	﴿ أَوْ أَمْ نَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾
95	122	التوبة	﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ بَلَدٍ مِّنْهُمْ لَمَاءً نَّجَسًا يَنْتَفِسُونَ فِي الذَّلِيلِ يَنْبُؤُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَنَهُمْ يُجَدُّونَ ﴾
80	55	يونس	﴿ أَلَا إِنَّ لِي لَمَعَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
101	101	يونس	﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
131	07	هود	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْسُوتُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾
-141 145	61	هود	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
103	76	يوسف	﴿ نَزَّاعٌ كَرَّاجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ نَبِيٍّ عِلْمٌ ﴾

			عَلَيْهِمْ
91	08	الرعد	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ مَّعَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثَّقیْلَ وَيَسْجُرُ الرِّجْحَ حَمَلَهُ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتُوهُ بِرِيسَالٍ الصَّوَاعِقُ فِيهِ صُيُوبٌ لِمَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَاهِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَلِيدُ الْمَحَالِ﴾
90	13-12		
-137 144	34-32	إبراهيم	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ تَتَجَرَّى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ لِكُلِّ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾
86	22	الحجر	﴿وَأَرْسَلْنَا بِرَاحٍ إِقْحَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً وَهَاتَتْ لِي لِحْزَانِ بَيْنَ﴾
-147 148	8-5	النحل	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا نَفْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْجُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا لَهَا غَیْبَةً إِلَّا بَشِقِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ تُنْقِبُونَهَا وَلِيْنَةً وَخَلَقَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
141	14	النحل	﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا رِيبًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَنَبًا وَسَوْنًا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرًا فِيهِ يَتَغَاوْنَ مِنْ ضُلَيْهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

112	14-5	النحل	<p>﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا نِافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْحَمُونَ وَحِينَ تَسْجُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا لَهَا غَنِيَةً إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَشَوُوفٌ رَّحِيمٌ خَلَقَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْحَمِيرَ لَتَتَّكِبَنَّ وَهَافِزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاءُورٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَلَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسَيِّوْنَ نَبَتْ لَكُمْ بِهِ الزُّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فِي ذَٰلِكَ آيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ حَبًّا لَمَّا نَالَتْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ لِحْمَ الْجِبْرِيتِ أَكَلُوا مِنْهُ لِحْمَ طَيْرٍ مَا تَدْرُسُونَ خَرَجُوا مِنْهُ حَيَاتٍ تَلْبَسُونَهَا وَتِي الْفُلْكَ مَا خَرَفُوا بِهِ بِتَغْوَاهُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾</p>
-98-97 117	78	النحل	<p>﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ طُورٍ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ سِيْمَاءً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾</p>

87-25-4	09	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ حَقِّهِمْ لِئَلَّا يَتَّبِعُوا مِثْلَ مَا خَلَقْنَا لِقَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَمَلًا وَمَزَقْنَا لَهُمُ لَلْطَيْبَاتِ مِثْلَ مَا خَلَقْنَا لِقَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿تَفْصِيلًا﴾ ﴿أَقَامِ الصَّلَاةَ لِلْمَلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَلَأْتِ بَيْتَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
-126 128	70		
41	78		
102-99	85		
147	07	الكهف	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ سَاءًا لِّمَنْ يَكْفُرُ﴾ ﴿عَمَلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لِئَلَّا يَهْتَدُوا﴾ ﴿أَعْمَاهُمْ فَلَا نَزِقُ لَهُمْ جِزَاءً وَإِن يَبْتَغُوا صَوْلَةً فَلاَّ نَبْتَلِيهِمْ﴾
13	105		
136	16	الأنبياء	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعْبَادِينَ﴾ ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشُّرُوحِ الْخَفِيَّةِ وَاللَّيْلِ مَا تَهْجُونَ﴾
132	35		
102	114	طه	﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾
-111 122	13-12	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ نَدَاهُ نَسْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَاقَةَ نُطْفَةً فَخَلَقْنَا الضُّعْفَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ

118	80		<p>نَشَأَنَاهُ خَلْقًا آخَرَ بِأَرْكَ لِلَّهِ أَحْسَنُ لَخَالِقِينَ ﴿١١٨﴾</p> <p>﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾</p> <p>﴿١١٦﴾ 6 ﴿حَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ لِينَا لَّا تَرْجِعُونَ﴾</p> <p>﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ إِلَهِهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾</p>
-115 117	116-115		
91	43	النور	<p>﴿أَأَتْرَأَنَّ هَٰ زُجُجِي سَحَابًا ثُمَّ وُؤلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يُجِطُّهُ رَكَامًا فَبِئْسَ الْوَدْقَ يُخْرَجُ مِنْ حَلَالِهِ﴾</p>
91-86	02	الفرقان	<p>﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾</p>
98	80	الشعراء	<p>﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾</p>
-113 149	60	النمل	<p>﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَاءً ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرًا إِلَهِ مَعَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَوْمٌ يَطْلُونُ﴾</p> <p>﴿إِلَهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾</p> <p>﴿قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾</p>
80	64		
90	65		
141	73	القصص	<p>﴿وَمِنْ هَمَّتْ هَٰ جَلَّ لَكُمْ يَوْمَ لَ وَالنَّهَارِ : سَكُنُوا فِيهِ﴾</p> <p>﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَن تَغْوُوا مِنْ فِرْعَوْنَ وَآلِهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ﴾</p> <p>﴿وَأَتَّبِعْ فِي مِمَّا آتَى اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ لِيَوْمِكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ﴾</p>
-121-31 -130 143	77		



101-95	20	العنكبوت	﴿ قُلْ بَرُّوا فِي الْأَرْضِ نَظُرُوا كَيْفَ مِمَّا خَلَقَ ﴾ ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾
113	44		
132	64		
81	7-4	الروم	لِئَلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ بَدَلٍ وَمِنْ بَدَلٍ وَيَوْمَئِذٍ فِيحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِّمَلْحِيَةِ مَا آتَا الدُّنْيَا لَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِّمَلْحِيَةِ مَا آتَا الدُّنْيَا لَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَتَذَكَّرْهُ فَإِنَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ لَهُمْ جُزْءٌ مِّنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِشُرِّ تَنَتُّ شَيْئُونَ ﴾
-109 111	8-7		
111	20		﴿ وَلَمَّا تَبَيَّنَ لِمَنْ لَّدُنْهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِ بِلَا فُلْسِنَاتٍ لِّكُمْ وَأَلْوَانٍ لِّكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾
80	22		﴿ فَأَقَامَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾
129-90	30		
115	05	السجدة	﴿ يَدْعُبُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ لِّقَعِهِ بِمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾

111	9-7		<p>مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ سَلْسَلَةً مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ يَلَا مَا تَشْكُونَ ﴿١١١﴾</p>
91	62	الأحزاب	<p>﴿وَلَنْ نَحْدُسِنَّهُ لَلَّهِ لَيْلًا﴾</p>
115	01	فاطر	<p>﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ سُلَالًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ زيدٍ في الخلق ما يشاء الله على كل شيء قدير﴾ ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْفِقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾</p>
115	03		<p>﴿يُورِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَاطِرٍ مِّنْ سَاطِرٍ﴾</p>
121	13		
132	18		<p>﴿لَا يَزِيدُ وازِرَةً وَزِدَ أَخِي، إِنَّ بَعْثَ ثِقَلَةَ إِلَى لَدَاهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُوَّةٍ﴾</p>
91	40	يس	<p>﴿لَا الشَّمْسُ غَرِي لَهَا أَنْ تَلْزَمَ الْقَمَرَ وَلَا يَبْصُرُ بِسَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ سَبْحُونُ﴾</p>

126	72-71	ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ شَرًّا مِنْ طِينٍ إِذًا سَوِيَّةٌ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
11	06	فصلت	﴿نَاسِتُمْ قِيَوْمًا﴾
147	12		﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءُ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا لَكَ تَقْلِيرِ الْعَزِيزِ الطَّيِّمِ﴾
31	53		﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ آيَاتُنَا لَا تُفِي﴾
89	38	الشورى	﴿وَأَمْهُمْ شُورَى يَنْهَمُ﴾
136-81	39-38	الدخان	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
13	51		﴿إِنَّ الْحَقِّينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾
118	5-3	الجنات	﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّاتٍ لِيَتَّقُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ شِرْكٌ بِاللَّهِ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخِيبُوا بِهِ الْأَرْضَ بَدْوً وَهِيَ أَرْضٌ بَارِيَّةٌ فَلْيُفَكِّرُوا وَلْيُتَّقُوا اللَّهَ وَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
141-85	13		﴿وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾
-115 136	03	الأحقاف	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا الْحَقَّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُّعْضُونٌ﴾
	13		﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا فَلَا خَوْفَ لِيَهُمْ﴾

12			﴿لَا هُمْ يُحْزَنُونَ﴾
85-80	8-6	ق	﴿أَفَلَمْ نَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُوجٍ وَالْأَرْضِ مَلَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٍ تَبَصَّرْتَهُمْ كَيْفَ يَدْرَأُونَ﴾
131	11-9		﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا لِنَحْيِيَ النَّبَاتَ بِهِ وَالْحَبَّ الرَّزْقَ بِهِ وَأَنْبَتْنَا بِهِ لَهَا لَأْسًا لِيَكُلُوا مِنْهَا وَأَعْيُنُهُمْ يَشَهُونَهَا كَبِرَتْ أَجْنُاسُهُمْ لِقَابِ رَبِّهِمْ فَنُزِّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ لُجُجًا كَثِيرًا سَاقِطًا فِي أَوْدَانِهِمْ فَكُفُّوا أَعْيُنَهُمْ فَذُرُّوا حَتَّىٰ أَصَابَهُمُ الْبَصِيرُ﴾
144-93	56	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
114	58-56		﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِلَّا اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
98	05	الرحمان	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِسُبْحَانِ﴾
26	10	المتحفة	﴿فَإِنْ عَلِمْتُمْ خَوَافَهُمْ فَوَدَّعُوا﴾
-141 145	15	الملك	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَلْبًا وَالسَّمَاءَ سَدًّا وَمَنْ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ خَلْقًا وَسَعَةً أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
117	23		
13	16	الجن	﴿وَأَلَّوِ اسْتَقْبَهُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْبًا﴾
90-80	27-26		﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُلِهِ﴾

128	03	الإنسان	﴿ تَا هَلْدِنَا ه لَسْبِيل إِمَّا نَاكِ رَاوِ إِمَّا كُفُورًا ﴾
116	3-2		﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ لَدَيْهِ فَجَعَلْنَاهُ مِعْيَا صَيْرًا إِنَّا هَلْدِنَا ه لَسْبِيل إِمَّا نَاكِ رَاوِ إِمَّا كُفُورًا ﴾
86	25	المرسلات	﴿ أَمَا نُجْهِلِ الْأَرْضَ؛ فَنَاتَا. ﴾
126	7-6	الانفطار	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَّوَاكَ فَعَلَّكَ ﴿
116	3-1	الأعلى	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَلَى ﴿
89-4	20-17	الغاشية	﴿ أَفَلَا نَنْظُرُونَ لِي لِإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلِحْبَابِ الْكَيْفَ نَصَبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ ﴿
-126 147	04	التين	﴿ لَقَدْ طَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿
139-80	5-1	العلق	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ﴿
133	8-7	الزلزلة	﴿ فَحَنَّ يَعْجَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَوْمَ وَمَنْ يَعْجَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَوْمَ ﴿
115	4-1	الإخلاص	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ أَلَدٌ وَوَلَدٌ وَوَأَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿

## فهرس الأحاديث:

- دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.....143
- لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها.....142
- من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة، يقول : يا رب، إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة... ..142
- من قطع سدره صوب الله رأسه في النار .....143

## فهرس الموضوعات

- 03.....المقدمة
- الفصل الأول: تحديد المفاهيم
- 11.....تمهيد
- 11.....المبحث الأول : تعريف القيم
- 11.....المطلب الأول : التعريف اللغوي للقيم
- 12.....المطلب الثاني : القيمة في الاصطلاح القرآني
- 13.....المطلب الثالث : مصطلح القيمة في الفكر المعاصر
- 13.....1 . مفهوم القيم في الدراسات الفلسفية:
- 15.....2 . مفهوم القيم في الدراسات الاجتماعية :
- 16.....3- مفهوم القيم في الدراسات النفسية والتربوية :
- 16.....4مفهوم القيم في الفكر الإسلامي.

- 17.....أولاً: مفهوم القيم في التراث الإسلامي.
- 18.....ثانياً: مفهوم القيم في بعض الدراسات الإسلامية المعاصرة.
- 20.....المطلب الرابع : مفهوم القيم في هذه الدراسة.
- 21.....المبحث الثاني: مصدر القيم.
- 21..... أ - مصدر القيم في الفكر الأوروبي المعاصر.
- 24..... ب . مصدر القيم في الفكر الإسلامي.
- 26.....المبحث الثالث : مفهوم العلوم الطبيعية.
- 26.....المطلب الأول: تعريف العلوم.
- 28.....المطلب الثاني : تعريف الطبيعة.
- 29.....المطلب الثالث : تعريف العلوم الطبيعية .
- 30.....أولاً: العلوم الطبيعية في الحضارة اليونانية.
- 30.....ثانياً: العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية.
- 32.....المطلب الرابع: مشكلة المصطلح:
- 34.....المطلب الخامس: العلم والتكنولوجيا.
- الفصل الثاني: العلم الحديث ومشكلاته
- 37.....تمهيد:
- 39.....المبحث الأول: نشأة العلوم الطبيعية الحديثة.
- 40.....أ-عوامل نشأة العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية.
- 42.....ب-عوامل نشأة العلم الحديث.
- 44.....المبحث الثاني: أسس العلوم الطبيعية الحديثة.

## الأساس الأول:

- 46.....المادية.....
- 52.....الأساس الثاني: المنهج التجريبي.....
- 56.....الأساس الثالث: السيطرة على الطبيعة:.....
- 57.....المبحث الثالث: صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم.....
- 65.....المبحث الرابع: أزمة العلم الحديث أو مشكلات العلوم الطبيعية الحديثة.....
- 66.....أ- العجز على تقديم الإجابات عن الأسئلة الكلية.....
- 66.....ب- الخواء الروحي.....
- 67.....ج- مشكلات البيئة.....
- 71.....د- الإخفاق في فهم الإنسان.....

## الفصل الثالث: القرآن الكريم والعلوم الطبيعية

- 77.....تمهيد:.....
- 79.....المبحث الأول: العلم في القرآن الكريم.....
- 84.....المبحث الثاني: العلوم الطبيعية في القرآن الكريم.....
- 94.....المبحث الثالث: حكم البحث في العلوم الطبيعية:.....
- 97.....المبحث الرابع: قيمة العلوم الطبيعية.....
- 99.....المبحث الخامس: خصائص المعرفة العلمية في القرآن الكريم:.....

## الفصل الرابع: قيم العلوم الطبيعية في القرآن الكريم

- 105.....تمهيد:.....
- 106.....المبحث الأول: ضرورة القيم القرآنية في العلوم الطبيعية.....



110.....	المبحث الثاني : القيم القرآنية للعلوم الطبيعية.
112.....	القيمة الأولى: التوحيد.
114.....	1- تعريف التوحيد.
117.....	2- التوحيد والعلوم الطبيعية.
120.....	3- أثر التوحيد.
126.....	القيمة الثانية: كرامة الإنسان.
131.....	القيمة الثالثة: المسؤولية.
135.....	القيمة الرابعة: الغائية.
141.....	القيمة الخامسة: الإعمار.
147.....	القيمة السادسة: الجمال.
151.....	المبحث الثالث: خصائص القيم القرآنية.
154.....	الخاتمة.
157.....	قائمة المصادر والمراجع.
	الفهارس
175.....	1- فهرس الآيات.
189.....	2- فهرس الأحاديث.
190.....	3- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الملخص

بداية أتقدم بالحمد والثناء لله تعالى على إيمانه بإتمام هذا العمل، راجيا منه تعالى القبول والتجاوز عن التقصير والخطأ.

كما أتقدم بخالص الشكر والثناء، للجنة الموقرة التي تفضلت بقبول مناقشة الموضوع، ولما قدموه لنا في فصول الدراسة، ولأستاذي الفاضل الدكتور مصطفى وينتن خالص الشكر والتقدير على جهده في التوجيه لإنجاز هذا العمل الذي بين أيديكم لتقييمه وتقويمه وبيان ما يمكن أن يكون فيه من خطأ أو قصور.

يتناول البحث القيم المتعلقة بالعلوم الطبيعية في ضوء القرآن الكريم.

فلقد ورد في القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الكريمة، تصل إلى أكثر من ألف آية قرآنية صريحة<sup>1</sup>، تتضمن إشارات إلى مكونات الكون وظواهره، وتكشف عن حقائق علمية وسنن طبيعية.

ولقد استثمر بعض العلماء التطابق بين ما جاء به القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرنا، وما كشف عنه العلم الحديث لإثبات إعجاز القرآن الكريم في المجال العلمي، للاستدلال به على أنه كلام الله عز وجل، موظفين ذلك في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

وإذا كان هذا الجانب مهما لارتباطه بإثبات صلاحية كتاب الله تعالى لكل زمان ومكان، فإن البحث عن القيم والمثل العليا المرتبطة بالعلم والتفكير العلمي في ضوء كلام الله عز وجل، تفرضه التطورات الهائلة في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقات هذه العلوم في الميادين الصناعية العسكرية والمدنية والصحية...؛ فالتقدم العلمي أفرز مشكلات وأخطار بيئية وصحية واجتماعية وسياسية تهدد الإنسانية في وجودها، عوض أن يوفر لها ما تحافظ به على بقائها، ويساهم في رقيها نحو الأفضل.

<sup>1</sup> زغلول النجار، الإعجاز العلمي في السنة، ج1، ص10.

إن العلم نشاط إنساني راق، لا ينفصل عن النظرة الكلية للإنسان والكون والحياة، والنظرة التي يبني عليها العلم الحديث، تعتبر القوة أو المنفعة هدف العلم، فهي تصور العلم إما محاولاً غزو طبيعة معادية والسيطرة عليها، وإما ساعياً وراء نعيم مادي مثالي على الأرض من خلال مخترعات علمية باهرة<sup>1</sup>، وتحقيق هذه الغايات اقتضى تجريد العلم من الأخلاق والقيم الإنسانية.

وهذا ما أفرز مخاطر جمة على الإنسان، كالتلوث بكل أشكاله، واستنزاف موارد الطبيعة، والإسهام في انقراض التنوع، واختراع الأسلحة الفتاكة (النووية والهيدروجينية) التي تنذر بتدمير الحياة الإنسانية.

وأمام عجز العقل عن تقديم رؤية متكاملة، رغم كل ما أنتجه من أفكار وفلسفات، وقصوره عن ضبط السلوك الإنساني في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، بما يتوافق والمصلحة الحقيقية للإنسان، تظهر الحاجة إلى اعتماد الوحي الذي حدد غايات الإنسان، ورسم له المعايير، ووجهه نحو الأهداف التي تتناسب وفطرته، وتتوافق مع السنن الكونية التي أقام الله عليها الكون، يقول الله عز وجل: ﴿لَنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِمَآ تِي هِيَ أَقْمُ<sup>2</sup>﴾.

إن الطبيعة خاضعة لقوانين عامة، يمكن كشفها بوسائل المعرفة من حس وعقل، وقد أمر الله عز وجل بالنظر في مكونات الطبيعة، يقول الله تعالى "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت"<sup>3</sup>، وإذا كان الإنسان قد استطاع كشف الكثير من القوانين الكونية، وتقدم علمياً، فإن هذا التقدم يحتاج إلى الترشيد عقائدياً وأخلاقياً، ولا شك فالقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، هو الأقدار على القيام بوظيفة الترشيد والتوجيه، فهو ليس كتاب رياضيات ولا كتاب فيزياء ولا طب ولا فلك، وإنما كتاب هداية، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

<sup>1</sup> روبرت م أغروس وجورج ستانيسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال الخلايلي، ص105.

<sup>2</sup> الإسراء: 09.

<sup>3</sup> الغاشية: 17-20.

مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ  
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾

إن القرآن الكريم لما يذكر الظواهر الطبيعية، إنما يذكرها في سياق بيان قدرة الله تعالى على هداية الإنسان إلى الحمد والشكر، ودلالة الخلق على الخالق وبيان وظيفة الإنسان، وعلاقته بالكون، ولا يذكرها مجردة كما نجد في كتب الفيزياء والطب....

إن الفقر المدقع للقيم العقائدية و الأخلاقية الذي نلمسه في مجال العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، يقتضي إبراز هداية القرآن الكريم في هذا المجال في نسق عقلي ومنهج علمي، حتى تكون العلوم الطبيعية في خدمة الإنسان، ووسيلة لتحقيق مصلحته ودفع المفسدة عنه.

**الإشكالية:** تتعلق الدراسة بما يوفره القرآن الكريم من قيم للعلم الطبيعي، تجعله يتفادى مزالق العلم الطبيعي الوضعي، وما تسبب فيه من مأس، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

1. ما هي القيم الحاكمة للبحث العلمي الحديث؟
  2. ما هي المشكلات الناتجة عن المنهج العلمي الطبيعي الحديث، والتي تحتاج إلى قيم من خارج النسق القيمي الغربي؟
  3. ما هي قيم العلوم الطبيعية في القرآن الكريم؟
  4. كيف تساهم القيم القرآنية في توجيه العلم الطبيعي لخدمة الإنسانية؟
- أسباب اختيار الموضوع:** يمكن تلخيص الأسباب، فيما يلي:

- 1- نقص الدراسات التي أفردت القرآن الكريم بالبحث حول هذا الموضوع.
- 2- تقديم حلول للأضرار الناتجة عن تجريد العلم الطبيعي من القيم التي يرشد إليها الوحي.
- 3- البحث عن أسباب المفاسد الناجمة عن التطور العلمي الحديث.

4- اكتشاف القيم القرآنية المؤسسة للبحث العلمي بما يحقق مصلحة الإنسان.

### الأهداف المتوخاة من البحث :

1. الكشف عن هداية القرآن الكريم في مجال العلوم الطبيعية، وإبراز مدى حاجة البشرية إليها.
2. ربط العلوم الطبيعية بالرؤية التوحيدية .
3. الكشف عن القيم الحاكمة للعلوم الطبيعية الحديثة.
4. ترشيد العلوم الطبيعية لتكون في خدمة الإنسان والإنسانية .

### منهج الدراسة:

لما كانت الدراسة تهدف إلى الكشف عن القيم الكامنة في القرآن الكريم والمتعلقة بالعلوم الطبيعية، فإن المنهج المناسب يتمثل في المنهج التحليلي المقارن، حيث يقتضي الموضوع استنباط القيم من القرآن الكريم وتحليلها، وإبراز ما تضمنته من مثل وأهداف، ومقارنتها بقيم العلم الطبيعي الحديث.

ولقد قمت بتقسيم البحث إلى أربعة فصول وخاتمة.

### الفصل الأول: تحديد المفاهيم، تناولت فيه النقاط الآتية:

الأولى: تحديد مفهوم القيم، ومفهوم العلوم الطبيعية.

الثانية: تحديد مصدر القيم؛ هل هو الله عز وجل أم الإنسان؟

### الفصل الثاني: العلم الحديث ومشكلاته، وتناولت فيه المباحث الآتية:

الأول: نشأة العلوم الطبيعية الحديثة، والعوامل التي ساهمت في ذلك.

الثاني: أسس العلوم الطبيعية الحديثة، وفيه محاولة للكشف عن القيم والتوجهات والتصورات المتعلقة بالإنسان والكون والحياة، التي يقوم عليها العلم الحديث.

الثالث: صلة العلوم الطبيعية الحديثة بالقيم: ناقشت فيه العلاقة بين العلوم الطبيعية والدين باعتباره مصدرا للقيم الروحية والإنسانية.

الرابع: مشكلات العلم الحديث، يتضمن بياناً لما أفرزه العلم الحديث من مشكلات تتعلق بالإنسان والبيئة.

### الفصل الثالث: القرآن الكريم والعلوم الطبيعية: ناقشت من خلاله النقاط الآتية:

الأولى: هل تناول القرآن الكريم "العلوم الطبيعية"؟ أم اكتفى بالحث على تعلمها؟

الثانية: ما هو حكم العلوم الطبيعية؟ وما قيمتها؟ وما هي خصائص المعرفة العلمية من خلال القرآن الكريم؟

الفصل الرابع: بينت فيه ضرورة القيم، لمعالجة ما أفرزه العلم الحديث من مشكلات، ثم شرعت في بيان القيم القرآنية ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية، والتي استخرجتها من الآيات القرآنية التي تناولت الظواهر الطبيعية، إذ لا تخلو آية منها من قيمة عقائدية أو خلقية، وبينت كيف أن هذه القيم ذات أثر في ترشيد النشاط العلمي للإنسان في العصر الحديث.

### خاتمة:

وبعد هذه الجولة القرآنية الممتعة والمفيدة، بحثنا عن القيم القرآنية ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية، من خلال الآيات التي تناولت الظواهر الطبيعية، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- 1- مفهوم العلم في القرآن الكريم، شامل لكل جوانب العلوم المفيدة، سواء كان مصدرها الوحي أم كان مصدرها العقل أو الحس والتجربة.
- 2- دعوة القرآن الكريم إلى استعمال المنهج المناسب لطبيعة كل موضوع، فمنهج عالم الشهادة غير منهج عالم الغيب، ومنهج العقليات غير منهج الحسيات.
- 3- المنهج القرآني في تناول الظواهر الطبيعية، يقوم على دعامتين:

الأولى: تتمثل في الملاحظة والتجربة.

الثانية: تتمثل في القيم المرتبطة بهذه الظواهر.

وهو بهذا، يتميز عن المنهج القائم على الرؤية المادية، الذي يجعل من الكشف عن القوانين التي تحكم الظاهرة الطبيعية، والاستعمالات الممكنة لهذه القوانين في عالم الإنتاج غايته النهائية.

4- القيم القرآنية المتعلقة بالعلوم الطبيعية ضرورية، لمعالجة السلبيات والأضرار الناجمة عن التطور العلمي القائم على الرؤية المادية للكون والإنسان والحياة؛ فالعلوم الطبيعية وسيلة يمكن استخدامها في الخير كما يمكن استخدامها في الشر، ومن هنا تأتي الحاجة إلى القيم القرآنية، كغاية من دراسة الطبيعة، وموجهة لها نحو تحقيق المثل العليا في حياة الإنسان.

5- القرآن الكريم كتاب هداية، يشتمل على ما يحقق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويحتوي على ما يمكن أن يعالج ما أفرزه العلم المعاصر من مشكلات.

وهذا ما يجعلنا نوصي بما يلي:

تصحيح منهج تدريس العلوم الطبيعية بإدراج القيم القرآنية، والآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية في الأقسام المتخصصة، لتكوين باحثين قادرين على استيعاب العلوم الطبيعية الحديثة، ومن ثم صياغتها وتوظيفها وفق الرؤية القرآنية.

وبعد هذه الرحلة مع كتاب الله تعالى، الهادفة إلى إبراز ما تضمنه كلام الله تعالى من قيم، يمكن بها معالجة ما تسبب فيه التقدم العلمي في دراسة الطبيعة، من مشكلات وأخطار على الإنسان والبيئة المحيطة به، أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا العمل، وأرجو أن أكون قد وفقت لتحقيق الأهداف المسطرة، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.